حكاية روح

حكاية روح : قصص
الكاتب: إيمان حسين
تصميم الغلاف: رامي عاطف
تصميم خارجي: شادي عزت
تدقيق لغوي: محمد فهمي
رقم الإيداع: 2017/21619
الترقيم الدولي: 4 - 47 - 6596 - 977 - 978

"جولدن بوك للنشر والتوزيع"

رئيس مجلس الإدارة : معاذ محمد
المدير التنفيذي : مي زيادة
مدير التوزيع : طارق عبدالحميد

Tel.: **01025254243**
Tel: **01226849743**

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

حكاية روُح

قصص من غزل الواقع

إيمان حسين

إهداء

إلى روح أبي السيد/ حسين إسماعيل حسين الحمامصي.

الذي علمني أن الحياة درب لابد أن نسلكه بحلوه ومُره والفائز من يعيش بنفس قنوعة راضية بما قسمه الله لها، محافظًا على عزة نفسه وكرامته،

وعلمني أن أعرف شيئًا عن كل شيء..

كنت لي خير سند.

صغيرتك إيمان

تنويه

كاتبة المجموعة القصصية تنتمي لأبناء "برج الجوزاء" برج الازدواجية الذي يبتسم ويعبس بآن واحد ، فستشعر عند القراءة أنك ستبتسم وستعبس، وستنبهر وستسأم، وتنجرف بمشاعرك نحو الشخصيات وتبتعد عنهم، فأبناء هذا البرج يجيدون السيطرة على الآخرين والاستحواذ على عواطفهم أو ربما أخدعك .

ولكن تأكد أيها القارئ أن الكاتبة تقمصت كل شخصية من شخصيات المجموعة وغاصت بهم وعاشت دورهم، وشعرت بمشاعرهم وأحاسيسهم، لذلك ستشعرك أنها قصص حقيقية كأنها واقع عاشته .

إمضاء

"monsh"

كبرياء رَجُل

ظَل طوال النهار يُحدث أصدقاءه بالعمل ويُردد أغنية "لا مش أنا اللي أبكي ولا أنا اللي أشكي يا ظالمني معاك". وزاد غناه أيضًا من موجة التحدي التي بدأ بها وقال أغنية منير" أنا عمري عيني ما دمعت إلا علي كل شيء غالي...".

فنظر إليه أصدقاؤه وأحسوا منه نبرة التحدي والبرود واللامبالاة، مدعيًا أنه جبل لا يهزه ريح، وأيقنوا من نظراته وأدائه أنه قادر على الهجر، ثم تركهم وذهب إلى الكشك الموجود أمام محل عمله واشترى علبة سجائر" الميريت" التي اعتاد تناولها، فالسجائر بنسبة له علاج ناجع لألم الصداع الذي ينتابه منذ أن تركت زوجته المنزل، وتخفيف من وقع بلادة وبرود المستهلكين والمندوبين عليه ممن يتعامل معهم في العمل. دفع النقود وأخذ بالباقي علكًا بالنعناع، كعادة الباعة المصريين الذين يساوون الفكة بالعلكة، فهي في حد ذاتها فكة.

استقل سيارته التي اشتراها مؤخرًا مستعملة بعد ترك زوجته له، فلقد شعر بحاجته لفعل شيء جديد بحياته يستطيع أن يثبت به لها وللجميع أنه قادر على بناء ذاته وأنها ستندم على تركها له فَاشترى تلك السيارة المستعملة "هيونداي أكسنت" فهي على قدر الأموال التي وفرها وما دبرت له أمه من

تلك الجمعيات التي فرضتها عليه...

هبط من سيارته ودخل منزله المكون من ثلاثة طوابق، الطابق الأول لوالدته وأخيه الأصغر، والطابق الثاني له، والطابق الثالث لم ينته بناؤه لأخيه الأصغر، أما البنت فلها حق البناء، وميراثها من ميراث أبيها محفوظ، ولكن بعد أن تزوجت من ابن عمها تركت البيت.

دخل على أمه وجدها كعادتها بالمطبخ، تُعد الطعام ومعها إحدى الجارات تثرثر عن أخبار الشارع وما يحدث ببيوت الجيران، وكيف أن أم سعاد قامت ببناء عِشّة جديدة فوق سطح "سِلفتها" وكيف أن زوج أم سعاد يُطعيها في كل ما تريد، وتعالت ضحكاتهما، حتى لم يشعرا بأنه موجود إلا من صوت النحنحة وطرق حسام علي الثلاجة كي تشعر به أمه، وعندما رأته قالت له بعفويتها وبساطتها بحوارها معه: أهلًا بك ولدي يا غالي يا بن الغالي - رحمه الله - يا عبد الغني أهديتني بابني الغالي الذي يطيعني ويرضيني دومًا..

فقام بتقبيل جبينها قائلًا: كيف حالك يا أمي، وكيف حالك يا أم فاطمة؟

وكيف حال ابنتك فاطمة؟

- بخير يا بني.

أجابته الجارة وأكملت: ابنتي في المدرسة الآن والحمد لله بخير، ولكن كيف حال ابنتك "لوجي" وزوجتك "أمنية"؟ أدعو الله أن يعودا إليك سالمتين يا أستاذ حسام ويهدي سركما ويخزي الشيطان الذي دخل ما بينكما.

فقالت أم حسام بنبرة عاليةً مقاطعة إياها: ما هذا الهراء؟ تعود أو لا تعود، هي حُرة، ليس لنا شأن بها، فهي من تعَالت علينا متباهية بذاتها، وهي من قامت بالرحيل وتخلت عن الحياة معنا، ولكن الخطأ خطئي، أنا زوجتها له، ولكن بالغد سوف أزوجه من ملكتها.

فقام حسام يزفر أنفاسه وقال لأمه: تريدين شيئًا مني يا أمي؟ سأذهب إلى شقتي، فسألته: هل تتناول الغداء معنا؟

_لا.. أحتاج أن أرتاح قليلًا، لدي أعمال أريد أن أُنجزها وطلبيات أقوم بتسجيلها على الحاسوب ومعي عينات وكراتين، لا أريد الطعام الآن أحتاج إلى النوووووم.

فدعت له أمه قائلة: ربنا يريح قلبك يا بني.

تركهم حسام وصعد السلالم، إلى أن وصل لباب شقته، فشعر بنغزة بصميم قلبه، وسمع صدى صوت أمه وهي تقول "فهي من تعَالت علينا متباهية بذاتها، وهي من قامت بالرحيل وتخلت عن الحياة معنا، ولكن الخطأ خطئي، أنا زوجتها له، ولكن بالغد سوف أزوجه من ملكتها"..

فشعر بخفقان قلبه وسرعة دقاته واختناق شديد أضعف قواه، فأسرع ودخل شقته وجرى إلى حجرة نومه، وقذف سجائره ونظارته الطبية على السرير، وفتح ضلفة دولابه وأخرج ألبوم صور زوجته أمنية، وأجهش

بالبكاء، بكاءً شديدًا أشبه بالنحنحة، ونظر إلى عينيها، يلمس بأنامله ثغرها وشفتيها، وأخذ ينظر إلى الصور في نظرة عتاب ويحدث الصورة، قام بعتابها في حنو تارة، وثورة وغضب تارة، وتهديد وتوعد تارة أخرى، والكبرياء يغلب على كل المشاعر والأحاسيس.

ومع التقليب في الألبوم هدأ من حدة بكائه، وترك الألبوم وأخذ يمعن النظر إلى المكان الذي كانت تغفو به زوجته، ونظر إلى الحائط، فوجد صورة زفافه، فوقف أمامها وقام بخبط الحائط بيديه، فأراد أن يُهدئ من حدة توتره فذهب للكومود، فوجد الراديو الصغير الذي كانت تستمع إليه أمنية إذاعة القرآن الكريم والأغاني القديمة التي تحبها، فشغله وانطلقت إذاعة الـ fm ليستمع لأغنية تامر عاشور.

"أنا مافيش حد غيرها ملاني جراح أنا بعاتب صورها ساعات عشان ارتاح واسألها سؤال إحساسنا زمان فين راح وفين راحت وعودنا وأحلى كلام وإيه استفدنا بإيه وبكام معقوله خلاص عشنالنا يومين والسلام".

فبكى بشدة عند المقطع:

"حاولت كتير أستغنى عنها واعوّد قلبي على بعدها لكن فشلت محاولاتي وجودها مهم بحياتي وبحبها."...

قام وقذف المفاتيح على صورة الزفاف وكسر الزجاج وسقط على الأرض، فأغلق ذلك الراديو اللعين الذي كسر بخاطره، وذهب إلى مكتبه وأخرج من

درج مكتبه تلك الأجندة اللعينة التي يسجل فيها خواطره السلبية والذي قام سالفًا بسب ولعن وشتم زوجته داخلها، فتح صفحة فارغةً، وجلس ينظر إلى الورقة البيضاء، فأخذ يفكر بماذا يبدأ؟ كيف يشجع نفسه مثل كل مرة اعتاد الكتابة في تلك الأوراق، وكيف يتقن التقليل من شأنها وسبها ولعنها في حضورها وغيابها، وكيف جعلت منه إنسانًا مهزومًا! فأتت له أفكار سوداوية وشتائم، فتوعدها بخياله، أراد الانتقام منها على الورق، فشرع بالكتابة بالفعل، فوجد نفسه يكتب بوسط السطر أغنية رمضان البرنس

ارجعي..

ارجعي الشتا يدق البيبان..ارجعي

رجع الربيع يكسي العيدان..ارجعي

ارجعي محتاج لكي ارجعي غلبت اشتكي..ارجعي

لو شفتي حالي هتدمعي...ارجعي

ظلت دموعه تتساقط على الورق دمعة تلو أخرى وتثاقلت يده في الكتابة، وفجأة دق جرس الباب، فقام ولملم شتات نفسه وارتدى نظارته الطبية وذهب إلى الباب، نظر من العين السحرية فوجد أخاه الأصغر أحمد، فتح الباب وبادره: ماذا تريد يا أحمد؟ ألم أقل أني مُتعب وأريد أن أنام؟!

فأجابه قائلًا: أمي تريدك يا أبيه حسام.

_اهبط أنت سوف أتبعك... وبالفعل هبط إلى شقة أمه وقال ماذا تريدين يا أمي؟

عفوًا يا بني، فقد نسيت أن أُبلغك أني بحاجة إلى أموال الجمعية لأن أم محمد طلبتها مني كثيرًا، وهي امرأة ثرثارة لا تيأس في طلب الشيء.

_حاضر يا أمي، سوف أحضرهم لكِ، ولكن أرجوكِ اتركيني آخذ قسطًا من الراحة ولا يوقظني أحد، فسوف أستيقظ وحدي.

فقامت بالدعاء له: ربنا يرضى عنك يا حبيبي ويريح قلبك ويرزقك ببنت الحلال التي تقدرك وتصون عرضك وتب... قاطعها وقال: يا أمي يا أمي، أنا متزوج ومعي ابنة جميلة، لماذا يا أمي تريدين هدم بيتي؟!

فأجابته الأم بمسكنة وتأثر واستنكار: أنا أريد هدم بيتك؟! يعلم ربي أني أريد لكَ الخير دائمًا، ولكن أنت من تهوى خداع ذاتك، وتريد أن تتعلق بحبال الهواء الذائبة، هي لو كانت وفية لك وتعلم قدر قيمتك، لكانت عادت إليك وعاشت بمحاذاتك وجانبك كزوجة أصيلة نالت قسطًا من التربية، لكن زهوها بذاتها واغترارها بحبك وتدليلك لها هو ما أعطاها ثمنًا لتتمنع.

علت نبرته وقال لها: كفاكِ يا أمي، لقد تركت المنزل وأنا ما زلت أحبها ولن أستطيع العيش دونها. ثم تركها مسرعًا وصعد إلى شقته وهو يزفر أنفاسه. جلس على السرير وقد خاصمه النوم وغابت عنه البسمة بعد أن تركته أمنية، فظل يحدث نفسه: لماذا يحدث هذا معي، لماذا لا تسير حياتي كما خططت لها؟! سعيت لتكوين بيت هادئ مليء بالحب والرومانسية، من كان السبب ومن أخطأ في حق الآخر؟! أخذ يرجع بذاكرته وتذكر أيام حياته مع أمنية وكيف افتعلتها هي حتى تفاقمت بينهما المشاكل، تذكر المشكلة التي نشبت بينهما وعلى أثرها تركت أمنية منزلها وتركت له كل شيء ولم تأخذ شيئًا معها، لم تترك له أثاثًا وأوعية فقط، بل تركت له جراحًا ومرارةً وقسوة أيام، وتجربة الوحدة التي عاشها بعد أن قررت الغياب. أخذ يسترجع حياته السابقة وكأنها فيلم واستخدم خاصية الفلاش باك...

تذكر يومًا قد مضى، عندما عاد من عمله، كان من عادته أن يُكمل باقي طلبيات العمل بالمنزل ويحضر الطلبيات التي تطلبها الشركة في منزله، فهو يكره الاستيقاظ مبكرًا، فيذهب إلى عمله صباحًا على مضض، لذلك ينجز باقي أعماله في منزله، فيفضل أن يغفو وقت العصاري ويستيقظ يكمل ويسجل على الحاسوب على موقع الشركة من منزله. كانت هذه حياته قبل الزواج، فأراد أن يصير على نفس النهج.

عاد يومها محملًا ببعض البضائع المطلوب فرزها وتسجيلها على موقع الشركة، كان يشعر بصداع، فدخل شقته ورأى زوجته تجلس في الصالة تعاني من الصداع لعدم نومها بسبب ابنتهما لوجي، فطلبت منه أن يمسك الابنة حتى تتمكن من خطف بضع ساعات قليلة لمواصلة باقي اليوم وتتحمل السهر والتعب، لكنه عندما رآها برابطة على رأسها، صاح فيها وقام بالتهكم عليها والاستهزاء منها والمزاح كعادته في الأوقات الصعبة.

_أنا متزوج من أمُّنا الغولة..ما هذا؟! ثم إني عائد من عملي متعبًا أريد زوجة تُدللني كي أستريح وأعاود إنجاز أعمالي.

أجابته بوهن: أنا مرهقة بسبب قلة النوم، وابنتك توقظني طوال الليل، ثم لماذا تحدثني بهذا الأسلوب؟

_ وبماذا أحادثك؟

فنظرت إليه نظرة عاتبة وتركت الابنة مستلقية على كرسي الصالون وذهبت إلى المطبخ تُحضر له الطعام حتى لا يقوم بجرحها بكلماته الفظة، وبعد دقائق أعدت له السفرة وجلس بملابسه وتناول وجبة الغداء، ودخل غرفة النوم ليغفو وتركها دون أن يسأل عن شأنها، وبعد ساعتين قام ووجدها كما تركها بالصالة وابنته مستيقظة تلهو وتلعب بألعابها الصغيرة

على أنغام موسيقى طيور الجنة وأمنية تلبي لها ما تريده كي تكف عن البكاء وما زالت الرابطة فوق رأسها، فذهب إليها وقَبَّلَ جبينها ثم قال: حبيبتي ما زلت مستيقظة ولم تغفي؟!

أجابته بنبرة حزينة: أجل.. فهي إلى الآن مستيقظة.

_ حسنًا سوف أجلس معها، واذهبي أنتِ للنوم حتى تستريحي.. نظرت إليه بتعجب وتساءلت مستنكرة: ما أبدل حالك وماذا حدث لك؟!
_عذرًا حبيبتي، كنت متعبًا من العمل ومعاملة زملائي وضغطهم عليَّ بالعمل سبب عصبيتي.

- هوِّن عليك، كل عمل به متاعبه.. ودخلت غرفتها لكي تأخذ قسطًا من الراحة.

أخذ يدلل ابنته وأجلسها بجانبه، وأخذ يفرز الكراتين بعناية خوفًا من أن يُتلف الزجاجات، فهو يعمل في شركة مستحضرات التجميل، ثم يقوم بتسجيلها على الحاسوب، وأثناء تسجيلها صرخت الابنة وصاحت، فقام بحملها وتدليلها بألعابها، ولكن دون جدوى، احتار ماذا يفعل، فأمنية في سُبات عميق وهو لا يعلم كيفية إسكاتها! فكَّر أن يذهب بها إلى أمه. وبالفعل ذهب إليها وطرق الباب ثم دخل وسلم عليها، وقال لها أنجديني، لا أستطيع

إسكاتها، فقامت الأم بالامتعاض ومصمصة شفتيها وتنهدت، وقالت: أعطني البنت، أكيد أنها تبكي لأنها جائعة.

_ولكن أمنية قامت بإرضاعها قبل أن تغفو ولم يَحن موعد إرضاعها.

- إذن قد تكون فعلتها، صحيح أمهات آخر الزمن، تغفو وتترك أبناءها!

_يا أمي لا تجني عليها، فأمنية كانت مستيقظة مع البنت طوال الليل ولم تنم، فأرادت أن تأخذ قسطًا من الراحة.

فقاطعت حديثه وقامت بلكزه في يديه، وقالت أعطني الحفاضة أو البامبرز التي تجعلك تشتريه بأغلى ثمن، بلا راحة بلا قسط.

فقام وأحضر لها حفاضة من حقيبة الابنة التي هبط بها وغيرت لها، فاستكانت الابنة وابتسمت لجدتها، فأعطتها ببرونة بيبي درينك ونامت. جلس حسام يحكي ويثرثر مع والدته، فأعطته درس كل مرة، بأنه يقوم بتدليل زوجته، ويجب عليه أن يتعامل معها بخشونة ورجولة، فأخذ يستمع لنصائحها كالطفل الصغير، حتى جاءه تليفون من أحد أصدقائه بالعمل الذي أفلته من جلسة التأديب، وأخذ هاتفه وصعد إلى شقته وترك الابنة بجوار والدته، فوجد أمنية تستيقظ من سُباتها وتسأل عن ابنتها.

_إنها نائمة عند جدتها، وهو ما زال على هاتفه يسرد لصديقه عن عدد الصناديق وكراتين وأسماء المنتجات، وبعد أن أنهى الحوار قال لها: كل هذا وأنتِ نائمة وتاركة ابنتك تصيح وتبكي، فأنزلتها لأمي لتقوم بتغيير الحفاض وإرضاعها فغفت.

صمتت قليلًا حتى تستفيق، ثم قالت: لماذا تركتها طالما نامت؟

فصاح عاليًا: أنتِ أم؟! تتركين ابنتك وتدخلين لتنامي ثم تقومين بلومي على تركها؟! استنكرت علو صوته وتركته ودخلت الحمام وارتدت زى الصلاة وهبطت إلى حماتها لتأخذ ابنتها وتحملت الهمز واللمز ولم ترد عليها، واستأذنتها وصعدت شقتها لصلاة ما فاتها وجلست مع ابنتها تدللها.

توالت الأيام وحان موعد زفاف ابنة خالتها، وكل الأهل والأقارب يقدمون المساعدة في تجهيز شقة الزوجية، ابنة خالتها إيمان هذه من المقربين لها وصديقتها، فكان يجب عليها أن تذهب لمساندتها، فطلبت من حسام أن تذهب لوالدتها وتجلس عندها أيامًا لموعد الفرح ومساعدتهم، فسمح لها ولم يمانع في الذهاب. وبالفعل جهزت حقيبتها وذهبت في الصباح الباكر إلى والدتها، وذهب هو إلى عمله وعاد إلى شقته، وعندما جاء موعد الغداء هبط إلى أمه ليتناول معها الغداء، وكالعادة أخذ يسمع من أمه على زوجته نفس القصيدة ذاتها، أن تدليلها زاد عن الحد، وأنها تقوم بتبديد أمواله على

أقاربها والهدايا، وأنه من المفترض أن يدخر أمواله بجمعية أخرى للزمن وكفى تبديدًا على لا شيء. فأطاع أوامرها كالمعتاد، ودخل الجمعية الجديدة من راتبه الذي بالكاد يكفي حاجة منزله بعد إنجاب ابنته لوجي ومتطلباتها.

مر يومان ولم يرفع الهاتف ليسأل عن أمنية أو حتى ابنته، وفي اليوم الثالث اتصل وسأل على لوجي. كانت أمنية تشعر بالبرود واللامبالاة في تعامله معها، كانت تحدثه أنه لابد أن يتعامل معها أفضل من ذلك لكي يتجدد الحب والمودة بينهما، فالمشاعر الطيبة تهوِّن مصاعب الحياة وتخفف من مشقة المسؤوليات الزوجية:

"أنا لا أريد منك غير الكلمة الطيبة". فكان حسام يتعامل ببرود، ويرى نفسه "سي السيد" لابد أن يأمر فيُطاع، ولكنه كان ضعيفًا أمام والدته ويلبي كل أوامرها، فهو يرى أنها بعد وفاة أبيه تحملت مشقة تربيته هو وإخوته، وأنها تحملت مسؤوليات عديدة، فكان يتعامل أحيانًا مع أمنية مثل ما كان يرى والده في زمانه.

مرت أيام الفرح، ورجعت أمنية شقتها وكانت مرهقة ومريضة اليوم التالي، وهو كان في يوم إجازته الأسبوعية، فاستيقظ حسام مبكرًا كعادته فلم يجد إفطارًا، فأخرج سيجارة يزفر فيها أنفاسه وانتظرها لتستيقظ فلم تقم، فذهب إليها وقام بإيقاظها، فأجابته بأنها متعبة ولا تستطيع تحضير الطعام،

وطلبت منه أن يحضره لنفسه، ولكنه زفر ورفع صوته قائلًا إنه لم يتزوج ليحضر الإفطار لنفسه.. أنا متعبة وابنتك تس..

فزفر أنفاسه وخرج من الغرفة وركل الباب بقدمه وهبط إلى والدته يتناول الإفطار، وصنع كوب النسكافيه بذاته، وكعادة الأم، قذفت زوجته بحديثها اللاذع، بأنها تسهر طوال الليل تشاهد التلفاز وتحدث صديقاتها وأقاربها، وبعد ذلك تصحو متأخرًا ولا تحضر لزوجها إفطارًا ولا تقوم بواجباتها الزوجية، فغلت الدماء بعروقه وصعد لشقته مرة أخرى بعد أن جاء موعد صلاة العصر، فوجد أمنية تحيط ابنتهما بمسند وتصلي العصر، فهدأ وجلس بالصالون وانتظرها، وبعد أن انتهت من صلاتها سألها: ماذا سنتناول في الغداء اليوم، أم أنكِ لن تعدي لنا غداء ولن نتناول إياه أيضًا مثل الإفطار لأن السيدة ساهرةٌ طوال الليل تحدث صديقاتها؟!!

نظرت إليه باستغراب ودهشة، ثم قالت: لماذا أنت غاضب، وماذا حدث لتحدثني بتلك النبرة؟! لماذا لا تراعيني إذا يومًا كنت متعبة ولم أحضر لك إفطارًا؟ فالزواج مودة ورحمة قبل أن يكون مسؤوليات وطلبات، فابنتك تقوم بإيقاظي طوال الليل وأنت نائم، ونومها متقطع، كما أني متعبة ومرهقة من تجهيزات الفرح.

فقاطعها: وما ذنبي بأنكِ بذلتِ مجهودًا أكثر من اللازم في فرح ابنة خالتك؟ كما أنكِ سيدة متزوجة وعليك واجبات لابد أن تتميها، ولكِ زوج له حقوق عليك يا هانم وأنتِ تتركيني وحيدًا.

فزفرت وتنهدت وذهبت إلى المطبخ دون أن تنبس ببنت شفة وتركته يتحدث، فعَدا خلفها مسرعًا بغضب شديد قائلًا: أنا أُحادثك، كيف تتركيني وأنا أُحادثك؟

فلم تجب عليه، وأكملت ما تفعله بالأواني.

- لماذا لا تجيبني؟

- لأنك تحادثني بأسلوب غير لائق وأنا لم أعتد الرد على هذا الأسلوب المتدني في الحوار.

غضب وقام بسبها ولعنها بأبويها، وكاد يقذفها بآنية من المطبخ، ولكن الابنة صاحت وارتفع صوت بكائها، فجَرَتْ إليها وهي تبكي، فذهب خلفها مكملًا حديثه القاسي: أنتِ هنا لتلبية حاجاتي وطلباتي، فلم آتِ بك هنا لتُحدثي أقاربك ليلًا وتنسي حمارًا يستيقظ صباحًا له متطلبات، سوف أعلمك الأدب وكيف تجيبين عليَّ حين أُحادثك.
ركل الباب وخرج، ونزل إلى والدته يحكي لها ما حدث، فقامت بتهدئته وهي

تشعله بكلماتها على أمنية، فالغيرة تحرقها منذ أن علمت أن أمنية تستحوذ على حب ابنها، وأنه قام بالمستحيل لكي ترضى بالزواج منه، لا تنسى له أنه أغضبها يومًا حين استمات في طلبه بالزواج منها وترك رغبتها بالزواج من ابنة خالتها "تحية" ولذلك دائمًا تريد التفرقة بينهما، ولا تفوِّت فرصة تشعل النار بينهما، حتى جاءت أخته "أم باسم"، فرأت وجه حسام غاضبًا، فقالت له ماذا بك أخي؟

فردت الأم وأخذت تسرد بطريقتها.

لماذا تشعلين النار بينهما يا أمي؟ أمنية بنت حلال، سأصعد لها وأرى ماذا حدث، وبالفعل جلست معها وقامت بتهدئتها وأخذت تقول لها إن الشيطان دخل بينهما، وأنها يجب أن تحافظ على بيتها وأن ترعى حسامًا، وأقنعتها أن تهبط معها للتخفيف من حدة المشكلة، ووافقت أمنية وهي مكسورة الخاطر وقلبها مجروح، وقامت بحمل ابنتها وهي شاردة، كيف أنها تحملت كل هذا ولم تخبر أهلها، وكيف أن هذا الإنسان هو الذي ضحت من أجله بالكثير، وكيف تعب ليتزوج منها؟!

جلست معهما يتبادلون الأحاديث بينما هي صامتة شاردة، حتى جاء الليل وذهبت أخته وصعدا لشقتهما، فدخلت غرفة نومها لتضع الابنة بمكانها، فدخل خلفها..

أخذ يقترب منها ويلامس ملابسها وجسدها وهي تبتعد عنه ولا تريد الاقتراب، وهو يقترب أكثر وأكثر، فقامت بالبكاء، فمسح دموعها المتساقطة وقال لها لا تغضبي مني. وحاول أخذها بحضنه ولكنها أفلتت نفسها، وقالت بصوت عالي النبرة: ما هذا البرود، تقوم بسبي وجرحي نهارًا وتريد أن تحتضني ليلًا؟! كيف لي أن أصفو لك بلحظة وقد نلتُ منك كل تلك الإهانات ولم يحدث مني شيء يذكر إلا أني كنت مريضة ولم أستطع تجهيز الإفطار؟! ولكن واضح أنك ممتلئ ومعبأ الرأس من جانبي.

_ومن عبأ رأسي وماذا تقصدين؟

اسأل نفسك....

_ انتهينا... لا تغضبي، أنا أحبكِ وأريدكِ الآن.

- وأنا لا أستطيع أن أبادلك شعورك الآن، اتركني حتى أهدأ.

فاقترب منها وقام بتقبيلها قائلًا: أمنية، أنا أريدك الآن، فامتنعت، فسحبها بشدة نحوه ومزّق ملابسها وهي تبكي في توسل أن يتركها ولا يزيد في جراح قلبها، ولكنه استمر وسَبَّها وقال أنا زوجك ولي حق عليك يا ابنة...
وقام بمضاجعتها رغمًا عنها، أحست وقتها أنه ينفذ عليها حكم الإعدام شنقًا دون رحمة، وبعد أن زفر أنفاسه المتلاحقة تنهد، ثم أسرع إلى الثلاجة لتناول

عصيره المُسَكَّر، وأخذ يشرب منه ويروي ظمأه، وتركها على السرير والدموع تملأ عينيها ولم يسأل عنها، وسهر بالصالة ينفث سجائره وهو يشاهد التلفاز ويقلب بصفحته على الفيس بوك وينتقل ما بين الصفحات، إلى أن شعر بالنعاس فدخل إليها، ولم تكن أمنية قد غفت، ولكن ادعت النعاس حتى لا يرى سيل الدموع، فنام جوارها وكأن شيئًا لم يحدث وراح في سُبات عميق.

استيقظ حسام وارتدى ملابسه، وذهب للعمل وأمنية تنظر إليه دون أن يدري، فبعد خروجه اتصلت بأمها وأخبرتها بما حدث، وطلبت وأرادت أن تُحدث مشكلة له، فطلبت الاتصال بعمها وخالها، فهي لديها عم واحد وخال واحد، وليس لديها إخوة، فهي وحيدة تحتمي بهما بعد وفاة أبيها، هما من قاما بتزويجها، خصوصًا خالها، فهو قريب منها.

فأخذت تسرد لها بالهاتف أن الحياة صعبة في منزلها، وكيف أن حماتها تترصدها وغيرت معاملته معها، لكنها استحت أن تقص عليها ما فعله بالأمس، واكتفت بالعام وقسوته معها وأرادت أن تطلب من خالها أن يأخذها وهي منهارة بالبكاء، ولكن أمها قامت بتهدئتها وقالت احتسبي واصبري ولا تتركي منزلك، وأنا سوف آتي وخالك وعمك نتحدث معه،

ولكن استعيذي بالشيطان ولا تهدمي بيتك في لحظة شيطان، فأحست أمنية بانكسار داخل روحها وأنها لا سند لها غير التضرع إلى الله، فهو سند

المظلومين ووكيلهم، فأخذت تدعو لها ولزوجها بالهداية، وأن تعيش معه في سلام، وأن تعيش في سلام نفسي، فهي لا تريد غير سلامها النفسي، فكبتت مشاعرها وعاشت معه وهي تتحمل جرح كرامتها من سب ولعن وشتائم لم تعتد سماعها في بيت أبيها، فهي كانت مدللة، كما أنها على خلق طيب ورقيقة، كان من طموحها تأسيس مشروع صغير في الأزياء وتأمل فتح أتيليه تعرض فيه ما تُجيد عمله من التصميمات والباترونات، ووعدها حسام في خطوبتهما أن يحقق لها آمالها، ولكن ذهبت الوعود بعد شهرين من الزواج وأصبحت سرابًا، كعادة بعض الرجال، كثرة التجمل والوعود مع الفتيات قبل الزواج ثم يقتلون أحلامهن بعد الزواج بعد أن تصبح مضمونة ببيته. عاشت معه وهي تكتم بكاءها كل ليلة، تحاول بشتى الطرق أن تحافظ على بيتها وتُعيد حبه لها، فأخذت تناقشه يوميًا أن للزوجة حقوقًا عليه وأن الزواج ليس استعبادًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {رفقًا بالقوارير}.

ويقول تبارك وتعالى:

{وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون }

فالأم لها حق الطاعة، وأن يكون الابن بارًا بها، ولكن دون أن يتعدى على حقوق وكرامة زوجته.. إلخ. طلبت منه أن يتضرع إلى الله ويتجه إليه

ويدعوه، وأن لا يفشي أسرار البيت لأحد، وأن يكون بينهما مناقشة وعتاب قبل الغضب والخطأ، وأن يسامح لكي تسير المركب.

فكانت ترى منه استجابة وحنوًّا يظهر في عينيه، برغم ما يحاول أن يبدي من قسوة وخشونة، تلك الصفات التي أرضعته إياها أمه وربته، على أن الرجل الشرقي يجب أن يكون "سي السيد" كما كان يرى أبيه، يأمر ويُطاع بزمانه، لذلك كان حسام يفتعل المشكلات معها ثم يطلب منها بكل برود ألا تغضب.

مرت أيام ما بين الشد والجذب، إلى أن جاء موعد تطعيم الابنة، فنبهته ليلًا، قال لها أنا متعب ولا أستطيع الذهاب معكِ، سيذهب معك أخي أحمد.

فتعبت من كثرة الحديث معه ومناقشته دومًا عن مسؤولياته وعلى ما يجب وما لا يجب فعله، وأن هناك أمورًا لا يصح معها البرود. نامت واستيقظت بالصباح الباكر ليصحبها أخوه إلى وحدة التطعيم، وبعدها ذهبت إلى عيادة لتعيد الكشف على الابنة، وطُلب منها العديد من التحاليل التي أرهقتها، وبالنهاية عادت إلى المنزل متعبة، فوجدته يجلس على حاسوبه يقلب بصفحات الفيس بوك، فسألها: ماذا فعلتِ، وكيف حال لوجي بعد التطعيم؟

كانت أمنية تنظر له وتجيبه على مضض، فلا قدرة لديها على استيعاب بروده هذا، فقال لها:

- أمنية أريد عصير ليمون ساخنًا، أعاني من برد شديد والتهاب بالحلق.

- سوف أحضره لك، ولكن سأغير ملابسي وملابس لوجي وسأخرج الطعام من الثلاجة.

دخلت المطبخ وغفلت أمر تحضير العصير وانشغلت بتجهيز الطعام ثم تركته ليُطهى، ودخلت لتستريح بحجرتها، فدخل خلفها بدقائق ينظر لها بعتاب ويتحدث ببرود: لماذا لا تطيعيني، لماذا لا تسمعين كلامي، أتريدينني أن أكسر رأسك لتكفي عن طبع العناد معي وتتعلمي أن لكِ زوجًا يجب أن يُطاع؟! فأنا متحمل منكِ أشياء كثيرة وإهمالك لي في طلباتي واحتياجاتي، فلا تقومين بتدليلي أو مراعاتي في مرضي، كما تنفقين أموالي في هدايا ومجاملات فارغة وصمت وأعطيتك الحرية، تهملين نظافة المنزل، كما لا تُعطيني حقوقي الزوجية عليكِ، وتتحججين بحجج فارغة، تارة مُرهقة، وتارة الابنة مستيقظة، ولا ترتمي بحضني إلا رُغمًا، فقد طفح الكيل ونفد صبري عليك.

قاطعته أمنية بصوت حاد قائلة: ألم تسأل نفسك لماذا وصلت معك لهذه الحال؟!

برقت عيناه وصرخ بها قائلًا: أنا لا أسأل نفسي، أنا أسألك أنتِ يا زوجتي المصونة، مع من تتحدثين في الهاتف طوال الليل، ولماذا تستيقظين متأخرة و...؟

فصرخت بوجهه قائلة: أتجرؤ وتتهمني بخيانتك.. وأيضًا تراني امرأة مهملة وغير مطيعة؟! ألا تشعر بنفسك أنك لا تقوم بواجباتك كرَجُل من الأساس وليس كزوج يا سيدي؟ فالرجال يتحملون المسؤولية وينفقون على زوجاتهم من جميع النواحي، وأنت نصف راتبك في جمعيات مع الست الوالدة، فكنت أدبر ملابسي ومتطلبات ابنتي ومصاريف البيت أحيانًا من مالي الخاص، من الميراث الذي تركه لي أبي دون أن تعلم أو أشعرك بهذا..

أنت تراني امرأة مُبذِّرة لا أحافظ على أموالك وأنا أبدد ميراثي في مصاريف المنزل وأنت تدخر أموالك بالجمعيات، ما تعطيني إياه بالكاد يكفي احتياجات منزلنا، كما أنك لا تتحمل مرضي وتعبي، حتى لا تتحمل مرض ابنتك ولم تتحمل مسؤولية تطعيمها والتحاليل اللازمة لها، وأسقطت مسؤولياتك على أخيك الصغير، ولن أنسي عندما كنت حاملًا ولم تذهب معي لطبيب النساء وتحججت والدتك بالسفر إلى أختها، وتركتني وحدي أذهب وأنت تعلم بأن أمي كانت مريضة، وأيضًا أسقطت مسؤولياتك على أخيك الصغير مسؤولية توصيلي.. لماذا لا ترى برودك معي؟ أنت رجل؟! أنت لا تعلم أبسط واجباتك وتطالب بحقوقك!

فقام من مجلسه بسرعةٍ رهيبةٍ وصفعها على وجهها صفعة قوية أدمتها وهو يهذي بكلمات السُّباب واللعن، ثم قال: سوف أُربيكِ كي تتعلمي الأدب وتتحدثي معي جيدًا، فأنتِ جارية لديَّ وسوف أعاملك معاملة الجواري وليس لديك عندي حقوق، تقولين إني لست رجلًا! سوف ترين أني سيدك وسيد الرجال.

فبكت بكاء أشبه بالصراخ والدماء تتساقط على ثغرها، صرخت "أنت كلب ولم يُحسن تربيتك"، ركلها بقدميه بكل قسوة، فاستيقظت الابنة على صراخهما وبكت، ولم يهتم لبكاء وصراخ ابنتهما وأكمل وصلة السُّباب، في حين الباب يرتج من هول الطرقات، لقد صعدت أم باسم وزوجها ووالدته بعدما وصلت لهم معركتهما وأصوات الصراخ العالية والبكاء، فتح الباب وعاد يجري نحوها ليُكمل سُبابه ولعناته أمام الحضور كنوع من إذلالها وإهدار كرامتها أمام أهله، فغابت عن الوعي والتفت حولها والدته وأم باسم في محاولة لإفاقتها وتهدئتها، وقام عبد الرحمن زوج أخته وابن عمه بسحبه خارج الشقة لكي يهدأ ويستعيذ من الشيطان، أفاقت أمنية بعد محاولتهم وصرخت بوجههم قائلة:

اتركوني أذهب إلى أهلي، أنتم لا تحبونني، أنتم تكرهونني وأنا لا أستطيع العيش معكم، فأخذتها أم باسم بحضنها قائلة، اهدئي الصباح رباح، سوف نتصل بهم باكرًا ولكن اهدئي. مرت الساعات العصيبة على أمنية بمفردها

في الشقة، وهو بات عند والدته بعد أن أقنعه ابن عمه بأن يترك زوجته تهدأ.

لم يعد مفر لأمنية من ترك المنزل وترك كل شيء في سبيل الخلاص بنفسها وكيانها وكرامتها التي أُهدرت. عندما أشرقت الشمس قامت بمسح دموعها وإزالة ما بوجهها من دماء، لم تكن قد نامت دقيقة واحدة، أحضرت حقيبة صغيرة تحمل بها أوعية لوجي وبعض الأوعية المنزلية لها وتركت كل شيء بالمنزل، حتى أنها لم تفكر في ارتداء مصوغاتها الذهبية أو أخذ شيء معها، لقد كان كل تفكيرها في الخلاص والفرار من هذا البيت اللعين الذي اختنقت أنفاسها به وأُهدرت كرامتها داخله، وأن تتخلص من لسان حماتها والمكائد التي تنصبها لها ومن ظلم وإهانة زوجها الذي تسبب لها بجرح كبير كفيل بتعقيدها مدى الحياة.

بالفعل لملمت حقائبها وخرجت دون أن يراها أحد، واستقلت تاكسي لكي تذهب إلى بيت أبيها وتذكرت بالطريق والدها الذي إذا كان على قيد الحياة ما كان رضي لابنته الإهانة والمذلة، وتذكرت كيف كان يحنو عليها ويدللها ويُعلي من شأنها، فنزلت قطرات الدموع على وجنتيها في اللحظة التي رن محمولها عدة رنات من حسام فلم تجب، كانت ترى اسمه وتتجاهله، حتى اضطرت أن تغلق المحمول لتتخلص من صخب رناته المستميتة، وهناك وجدت أمها جالسة بالصالة، فدخلت عليها، وحين رأتها الأم بشكل مفاجئ

صرخت: ماذا حدث لكِ؟! ارتمت بحضنها وأجهشت ببكاءٍ يشبه النشيج ووالدتها تسألها ماذا حدث؟ أجابتها..

- تركت له البيت، قام بضربي وسبي ولعني بأقذر الشتائم. وأكملت بكاءها.

- ولماذا تركتِ البيت ولم تتصلي بنا نأتِ إليكِ؟

- ماذا تقولين يا أمي؟! أقول لكِ قام بضربي وإهانتي.

- اهدئي...

أجابتها بغضب:

- لن أهدأ، لا أحد يشعر بي، ولا أحد يفهم ما أوصلني إليه.

فضمتها أمها ضمة قوية فسكنت وكفت عن البكاء عندما قرأت لها آيات قرآنية بُغية رقيتها وتهدئتها وقالت لها: "اهدئي ابنتي الحبيبة وادخُلي استريحي وسوف أتصل بخالك وعمك ونتصرف". وبالفعل ارتمت أمنية على السرير بحجرتها وراحت في سبات عميق، والأم تحمل ابنتها من جانبها حتى لا تستيقظ أمنية إذا بكت، وأخذتها معها لكي تستريح.

مرت ساعات واستيقظت أمنية وهي تتساءل عن ابنتها، فخرجت، وجدت خالها يحادث والدتها، فسلمت عليه وارتمت بحضنه وقالت له: "أنجدني يا خالي، أنا لا أستطيع العيش مع ذلك الشخص، أنا أريد أن أُطلق منه، سوف أنتحر إذا لم تخلصوني منه ومن العيش معه"، فوضعت أمها كفها على فمها وقالت: استعيذي بالله، كل الأزواج يحدث بينهم خلافات، وكل البيوت مليئة بال...

صرخت أمنية: أنتِ لا تشعرين بما أنا فيه، أنا لا أستطيع التحدث أو أن أسرد لكما المزيد، هذا الإنسان حطمني داخليًّا، أنهى كرامتي و.. صمتت وبكت فقالت الأم: "ما رأيك يا مصطفى؟". أجابها: "سوف أتصل به لأجلس معه وأتصرف". أنهى حديثه ثم استأذن وخرج.

طلبت أم أمنية من ابنتها أن تأكل شيئًا، فهي لم تذق الزاد منذ أمس، ولكنها رفضت، فاستحلفتها بالله ومن أجل ابنتها التي تقوم بإرضاعها، فتحملت على ذاتها وتناولت الفُتات من الطعام وشردت، وتذكرت ما كان يفعل معها حسام، وبعض الذكريات الأخرى، فقامت مسرعة إلى الحمام لتفرغ ما في معدتها والأم يعتصر قلبها على ابنتها الوحيدة.

اتصل خالها بحسام وجلس معه لكي يستمع إليه ويحاول الإصلاح بينهما، فاستمع إلى الكثير والكثير من حديثه، ولكن لم يصل خالها لنقطة فاصلة، ولم يتخلص حسام من كبريائه وعناده، وظل يردد أنه لم يخطئ، بل هي التي

أخطأت، وزادت من جسامة أخطائها بترك البيت.

مرت الأيام ما بين مناوشات بين حسام وأمنية عبر الرسائل التليفونية تارة والإلكترونية تارة لكي ترجع منزلها وكأن شيئًا لم يحدث، ولكن أمنية تجاهلته تمامًا، فكانت قد اتخذت قرارها ولن تتراجع عنه مهما حدث منه.

مرت أيام كثيرة، عاد حسام من عمله يشعر بالملل، فأراد أن يكسر من حدته، فقرر أن يسافر إلى مكان بعيد عن صخب الأفكار ويخفف من ألم الوحدة والفراغ الأسري، فاتصل بأصدقائه القدامى وذهبوا إلى الإسكندرية وقضوا ثلاث ليالٍ، ثم عاد إلى منزله الفارغ من دفء صوت أمنية ومرح ضحكات ابنته البريئة، فأصابه الفراغ. أخذ يقرأ ويتجول بالشقة ويشاهد التلفاز ويقلب بحاسوبه ثم الفيس بوك وفيديوهات، ويضعف أحيانًا ويقلب بالصور التي تجمعه مع أمنية وفيديو سبوع لوجي ويفكر بأمنية حتى يغلبه النوم. وهكذا مرت الأيام، حتى جاءته لحظة ضعف وخضوع لم يستطع تمالك نفسه واشتياقه، فأرسل رسالة لأمنية..

"حبيبتي زوجتي العزيزة، اشتقت إليكِ، واشتقت لضمك إلى صدري، واشتقت لابنتنا الجميلة، لماذا تركتِ منزلنا الذي شهد على حبنا وعلى بسمتنا وفرحنا وحزننا، لماذا أدخلتِ الشك بقلبي وأهنتني وجعلتني أخرج عن شعوري وأمد يدي على من ملكت قلبي؟ أمنية.. أنا سامحتكِ لأني أحبك أكثر مما تحبيني وأريدكِ بجانبي، أرجوكِ عودي إلى قلبي، فبغيابك تذوقت

مرار الوحدة وألم الاشتياق".

على الجانب الآخر، تجاهلت أمنية الرسالة ولم ترسل له ردًّا يروي ظمأ حنينه لها، فكانت ثابتة على موقفها، لم تسامحه على ما كسر به من شعور، رتبت حياتها بدونه، وعاشت في حلمها القديم بفتح مشروع صغير (أتيليه) لتتحرر منه نهائيًّا، تركت له كل شيء لتزيد من آلامه وعذابه ولتشعره بأنه لا شيء بالنسبة لها، تركت كل شيء، لتُبين له أنها استغنت عنه، فالمرأة حينما تبيع تضحي بكل شيء من أجل أن تشتري ذاتها، كانت تريد الفرار فتركت كل شيء، وأصبح كل شيء رخيصًا بالنسبة لها في سبيل التحرر.

حزن حسام على عدم ردها، ومرت عليه أيام لا يرى فيها النوم بدون أخذ منوم. كان يشعر بألم وصداع مستمر ولا يستجيب لأي مسكن، فكلما تذكر غياب أمنية كان يشعر بخفقان بقلبه، تُهد كيانه فيبكي بكبرياء، ويتوعد بأنه سوف ينساها ويتركها ويحمد الله على أنه ما زال قادرًا أن يعيش ويُكمل من غيرها، وسرعان ما يتبدل حاله ويبكي أكثر. وذات مرة أمسك هاتفه واتصل بها ولم ترد، أكثر من خمس عشرة مكالمة لم ترد عليها، فأرسل لها رسالة يقول: "أمنية.. أنا لا أستطيع العيش دونك، سوف آتي إليك لكي نكمل العمر سويًّا، ولكن احذري، هذا آخر نداء لكِ، إذا كابرتِ فلن أسأل عنك مرة أخرى، وسوف تندمين على تركِكِ لي".

أرسلها وأحس براحة لأنه أفرغ مشاعره في رسالة، وتذكر أنه لم يتناول شيئًا منذ الصباح، فذهب إلى الثلاجة وأخرج الطعام، ولكنه لم يستطع تناوله فاكتفى بالعصير.

رأت أمنية رسالته المستفزة لكيانها، فردت عليه مستنفدة كل مراحل الصمت والصبر، وقالت له: "أنت كما أنت ولا شيء يُغيرك، تُكابر دومًا ولا تعترف بخطئك؛ لأنك تعودت دومًا الإساءة وأنا أصمت وأسامحك، ولكن نفد صبري معك وسقطت من نظري، عندما مددت يدك عليَّ وأسأت استخدام جسدي وأنت تدري ما كنت تفعله معي لإذلالي وإهانتي، كنت أنظر بعينك فأرى انتصارًا غريبًا وكأني عدوتك وانتصرت عليها، لقد كرهت الحياة معك، وكرهت أيامي التي قد مضت معك، أرجوك اتركني وطلقني، فأنا لا أريد منك شيئًا وسأتولى تربية طفلتي ولن أحرمك منها، فإذا أسأت اختيارك كزوج فسننفصل، ولكن بالنهاية أنت والدها وستظل والدها، أما أنا فأريد التحرر منك، إذا كنت صادقًا بأنك كنت تحمل لي حبًّا فاتركني أتنفس دونك".

قرأ رسالتها وجُنَّ جنونه وزادت عصبيته، وأخذ ينفث في سجائره واحدة تلو الأخرى، ثم قام واتصل بصديقه المقرب وقابله بالكافيه الذى اعتاد الجلوس به معه، وأخذ يهذي بأي حديث ويكلمه بالكرة والسياسة، فرأى صديقه عدم اتزانه، فقال له ماذا بك يا حسام؟

_لا شيء...

فرد صديقه: أنا أعرفك جيدًا، أما زلت بمشاكل مع زوجتك؟ لم يصلح بينكما أحد؟

صمت قليلًا وقال: لا أحد يستطيع، فهي عنيدة وتضخم المشكلة.

- ماذا حدث لكل هذا؟! لابد أن أسمع من زوجتك وجهة نظرها، ولماذا لم تعد إلى بيتها بعد كل هذه الفترة؟ سوف أدبر ميعادًا وأحاول الإصلاح بينكما.

وبالفعل دبر ميعادًا مع أهل أمنية وأخذ يستمع إلى ما لا يعرفه عن صديقه وماذا فعل، حتى تغيرت ملامح وجهه وصُدم في صديق عمره الذي يظهر بمظهر آخر، وخرج من عندهم وهو يشعر بألم مما سمعه، ووعد أمنية أنه سوف ينصحه بتلبية مطالبها، ودعا لهما بإصلاح ما بينهما.
اتصل صديقه مؤمن به وأخبره أنه يريد التحدث معه، فواجهه بأفعاله، وقال: ماذا فعلت بك أمنية لكي تعاملها بهذا الأسلوب؟ الزواج مودة ورحمة، وإذا لم تستطع أن تعاملها المعاملة الحسنة التي أمرنا بها الله ورسوله فطلقها، فالله يقول في كتابه:
{الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ }

- ماذا تقول؟! أنا لا أريد أن أطلقها، فما زلت أحبها، وأريد أن تشاركني حياتي وتتربى ابنتنا بيننا.

- إذا كنت كذلك، لماذا لجأت للضرب والإهانة في كل صغيرة وكبيرة؟ يا حسام لم يأمرنا الله بذلك.

- بلى... أمرنا بتأديب نسائنا يا مؤمن، فالشرع يبيح للزوج أن يؤدب زوجته إذا ما خرجت عن الصواب، هي عنيدة، رأسها يابس، كنت أريد إصلاحها فضربتها كي تطيع زوجها، طاعة الزوج من طاعة الرب.

- يا حسام أنت تخلط الأمور وتمنهج الشرع بهواك، الإسلام لم يشرع الضرب إلا بشروط بُغية الإصلاح وليس في كل الأحوال، فالله تعالى يقول:

{وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا }.

والنشوز هنا يعني الترفع والعصيان، وهذا غير مقصور على المرأة فقط. فالرجل إذا أساء معاملة زوجته يكون ناشزًا أيضًا؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر كلًّا من الزوجين بحسن المعاملة.

قاطعه: "ولكن هي تعصاني بأمور خاصة بيننا وتستفزني جعلتني أضربها، وطالما ذكرت لكَ وأفشت أسرار بيتنا، فهي قالت لي بأني لست رجلًا، وأنت تعلم وطأة هذا الكلمة على أي رَجُل، خصوصًا إذا كانت من فِيِّ زوجتك".

- وإذا قالت لكَ هذا تلجأ لضربها وسَبِّها ولعنها بألفاظ نابية، أهذا إظهار لرجولتك؟! عفوًا يا صديقي، فهذا الضعف بعينه، أمرنا الله بالضرب بعد مراحل الإرشاد والوعظ، ثم الهجر في الفراش، ثم الضرب والتحكيم، يعني ثالث شيء الضرب وليس أول شيء يلجأ له الرجل،

يا صديقي لا تنسَ أن زوجتك تركت منزلها وعزها وأهلها وائتمنتك على حياتها وشرفها وكل ما تملك من مشاعر، في كثرة الشِّجار بينكما ولجوؤكَ للضرب يعطيها الحق في الانفصال عنك ويعطيها هذا الحق الشرع والقانون أيضًا، لابد أن تستعين بالله وتتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يضرب امرأة قط، كما يشهد الله أن زوجتك كانت صامتة أغلب الوقت والدموع تتساقط من عينيها، وكان يسرد لي خالها ووالدتها كما أن حالها ظاهر على وجهها يا حسام، لا أخفي عليك، شعرت بالصدمة فيك يا صديق العمر!

شعر حسام بالخجل والضيق أمام صديقه لما فعل، فقد واجهه صديقه بأفعاله، وقال له كلامًا لاذعًا بالأدلة فلم يطق تحمله؛ فعاد إلى البيت مهمومًا حزينًا.

أشرقت شمس اليوم التالي ولم يقدر أن يستيقظ من التعب، فمرض حسام وأصيب بنزلة شعبية حادة ألزمته الفراش وتعب نفسيًّا، أخذ إجازة من عمله أسبوعًا فتعالج جسديًّا ولكن لم يتعالج روحيًّا من أثر غياب زوجته، أهمل ملابسه، وترك لحيته، وقل حديثه، وشعر بالاكتئاب حتى انتهت إجازته، فحاول أن يُلملم شتات نفسه، فقام بتهذيب لحيته وهندمة ملابسه وذهب إلى العمل بعد حوارات مع النفس، غلب عليها طابع الكبرياء أنه قادر على مواصلة حياته من دونها.

بالمصادفة جاء إلى الشركة صديق له منذ زمن عندما عُين بها قبل أن يُنقل إلى فرع آخر، وبعد التحيات الحارة وتبادلهما الحديث، سرد له أنه قرر السفر إلى الخارج وأنه سأم الحياة هنا، فالمستقبل خارج مصر أفضل، فعرض عليه العمل معه في الشركة التي يذهب إليها للحاجة إلى محاسبين للعمل بفرعها بالسعودية وحسام خريج تجارة بالأساس، فأخذ حسام يسأل عن التفاصيل، أعجبته الفكرة، فظروفه تُحتم عليه السفر بعد ما حدث له، طلب منه أن يُملي عليه شروط الوظيفة وأن يدبر له واسطة كي يُقبل بالوظيفة.

وبالفعل صديقه وعده بذلك، وبعد أن أنهى حسام حواره مع صديقه، أنجز بعض مهامه، ولم يستطع فرز باقي الكراتين وتسجيلها على حاسوبه كالمعتاد، فحملها معه إلى منزله وعاد، فوجد أمه بالمطبخ كعادتها مع إحدى جاراتها، فصعد إلى شقته....

بعد مدة شرود ليست بالقليلة، أفاق حسام من استعادة ذكرياته مع أمنية، وقرر في التو واللحظة أن يهبط إلى أمه ليخبرها أنه قرر نهائيًّا السفر إلى السعودية، فهو لم يحقق شيئًا هنا، ولم يستطع مواجهة حياته، كما لا يستطيع أخذ قرار الطلاق والانفصال نهائيًّا عن أمنية والعيش دونها، ولا هو قادر على مواجهة أمه وما ربته عليه وزرعته داخله في تعامله مع زوجته؛ فأراد بكل كبرياء وعناد أن يثبت لنفسه قبل الجميع أنه يستطيع أن يعيش وحيدًا ولا يهزه ريح، وهو يعلم بقرارة نفسه أنه يهرب؛ لأنه غير قادر على المواجهة، يقول في ذاته لعل الله يحدث أمرًا.

انتهت.

2016/11/ 20

* * *

أحلام هاوية

ذات نهار من أيام وليالي الغربة، امتلأ بدخان كثيف، وانتشرت رائحة التفاح في أنحاء الغرفة. كان سالم جالسًا في غرفته المخصصة له في السكن المنقسم بينه وبين زوج ابنته وصديقه بالعمل والذي احتمى به واستند عليه بأيام غربته الأولى. كانت ابنته بغرفتها وكان هو جالسًا منفردًا يشعل الفحم ويضبطه بالماشة لتشغيل نارجيلته التي يفضل تناولها بطعم التفاحتين المشهور بالكويت بفخامة جودته ونكهته. فأخذ يشد اللّي ويزفر أنفاسه داخل غرفته على أنغام الست ويدندن معها كلمات وهي تقول:-

ودارت الأيام، ومرت الأيام
ما بين بعاد وخصام
وقابلته نسيت إني خصمته
وسامحت عذاب قلبي وحيرته
ما اعرفش ازاي أنا كلمته
ما أقدرش على بعد حبيبي
أنا ليا مين أنا ليا مين إلا حبيبي

كانت غرفته واسعة وبها حمام لاستخدامه الشخصي، وتشتمل على حجرة نوم صغيرة وشاشة كبيرة وحاسوبه المحمول، ومجلس أرضي يفضل الجلوس به ليزفر نارجيلته بمزاج وهو يشاهد حفلات الست ويدندن مع أم كلثوم، فأغانيها تشعره بأيام شبابه وليالي السهر وشوارع مصر العتيقة وحواريها، ويشعر بالأصالة والشجن لغربته عنها تلك السنين. وأثناء دندنته مرت ابنته أمام حجرته لتدخل المطبخ دون أن تنبس ببنت شفة كأنها متعمدة ألا يراها، ولكنه رآها من مرآة دولابه ونادى عليها: أحلام.. أحلام.

لكنها ادعت عدم السمع، فزفر دخانه في ضيق شديد وتساءل: كيف لا تجيبه وهو أبوها، كيف تتجاهله وهو من رباها؟! إذا كانت غاضبةً منه لأي سبب لابد أن تجيبه وتتحمل ما يفعله بها، رن جواله، فكان زوجها أبو محمد (عاهد) يسأل لماذا لا تجيب أحلام على جوالها؟ فأجابه أنها بالمطبخ ولم تسمع، فطلب منه أن تتصل به لأمر ضروري، فسأله عن ذلك الأمر، فقال له عن تحويلات بنكية، وكم تريد وضع أموال؟ فأجابه أنه سوف يُبلغها. وضع اللّي على نارجيلته، وقام لما رآها قد رجعت إلى غرفتها ومعها الجوال تكتب وتتحدث "واتساب" أثناء سيرها من المطبخ إلى غرفتها، فنادى عليها: أحلام، لماذا لا تجيبين ندائي إليكِ؟

- ما سمعت يا بابا.. قال لها بابا: أتذكرتِ أني أبوكِ؟! زفرت وقالت: ماذا حدث؟

_ إذا كان جوالك معكِ، لماذا لم تجيبي على زوجك؟

- سوف أتصل به حالًا.

_ أجيبيني طالما معكِ جوالك، لماذا تجاهلتِ رناته، ومع من تتحادثين؟

فزفرت زفرة كبرى وقالت:

الجوال كان على وضع الصامت، وما كنت مستيقظة. هلا فِقْت، دخلت أسوي لي قهوة ثم أتصل بزوجي، فوجدت رسالة من رفيقتي أنها سوف تمر عليَّ بسيارتها تأخذني لأن عاهد لم يترك لي السيارة.

_أكيد ميرفت !!

- نعم...فعلَت نبرات صوته وقال:

- ألم أقُل لكِ اقطعي علاقتك بتلك المرأة اللعوب التي سوف تخرب عقلك وتفسدك؟

- يا أبي أنتَ دائمًا تظلمني وتظلم رفيقاتي، والله البنت طيبة وشهمة، ووقفت معي بكل مشاكلي ولا الزلمه، وأنت دائمًا تشكو منها لأنك لا تحبها، كم أنك دومًا تهاجمني وتجعلني مخطئة! لماذا لا تشعر بي وما أصابني، لماذا لا تجعلني آخذ حريتي وأعيش شبابي؟!

فقاطعها بصوت حاد قائلًا:

- أحلام.. أنتِ من اختار هذه الحياة بإرادتك ولم أغصب عليكِ شيئًا ولا أحد أثر عليك، أنتِ من اخترتِ عاهد بكل ظروفه، وأغرتكِ الأموال وحياة التَّرف والبيت ذو الطابقين بالأردن، ولم يهمك أنه رجل كان متزوجًا ومعه أولاد، حتى السن، أنتِ تعلمين أنه أكبر منكِ بعشرين عامًا، ومع ذلك عشتِ معه الحب، وأنجبتِ منه أربعة أطفال، ولم يقصر معكِ بشيء، فلمَّا أصابته كبوة بعمله ولم يعد يصرف ببذخ ويبذر أمواله عليكِ تريدين انفصالك عنه وتتسكعين مع ميرفت، تلك العاهرة التي علمتك كيف تتحدثين مع الرجال؟!

فصرخت أحلام قائلة:

- اتركني بحالي ولا دخل لك بي، أنا الآن بعصمة عاهد وهو من يتحكم بي، وأنت ليس لك عليَّ سلطان لأنك لم تشعر بي وبما أصابني، ولأنك رجل لا تعلم حجم مشاعري وتقسو عليَّ دومًا.

تصاعدت رنات الجوال مرة أخرى وكان عاهد، فمسحت دموعها وأجابته، وقالت بصوتها الرقيق المنخفض كعادتها: "مرحبًا روحي، كيفك؟ اشتقت لك". وحبست دموعها وكأنها لم تكن، وهي كدموع التماسيح!

صمد سالم كالصبار صلبًا، لا يعلم ولا يدرك ما هذا الابتلاء الذي ابتلي به -ابنته-! وكيف تفعل معه ذلك بعد أن كانت مقربةً له ومطيعة رقيقة ولا تقدر على إغضابه، كيف تبدلت أحوالها، لماذا أصبحت جشعة ولا تبالي بمشاعر أبيها؟! فهي أم الآن، كيف يكبر الأبناء ويجحدون وينسون فضل أبويهم. رغم حياة التَّرف والانفتاح التي عاشها سالم بالكويت ومنحه الحرية لأبنائه، لكن كان لديه الوازع والمظهر الديني، فهو يحتفظ بلحيته منذ عقده الخامس، كثة بيضاء وطويلة، يلبس جلبابه الأبيض الخليجي ويتطيب بالعود.

أفاق من شروده ودخل غرفته ليغير النار ويزفر هموم وثقل ما يتحمله من مسؤولية أبنائه، الذي تغرب وترك بلده من أجل مستقبلهم.

كان سالم مصري الجنسية، متزوجًا من فاطمة، عرايشية الأصل، وهو إسماعيلاوي المنشأ، قد تزوج منها واستقر ببلدها العريش، تركها بعد أن أتته فرصة السفر للعمل بشركة الإنشاءات بالكويت، وبعد عامين من سفره

استطاع أن يستجلب فاطمة معه إلى منزل صغير بالكويت بفضل عمله وإثبات جدارته فأحبه كفيله.

وبفضل صداقته مع عاهد، فكان أقدم منه بالعمل، وله أقارب بالكويت هو فلسطيني المنشأ، ولكن عاش حياته بالأردن وأعماله كانت بالكويت، متزوج ولديه خمسة أبناء، محمد وعمار وأنس ونشوى ورانيا. كانت زوجته امرأة جميلة ومن عائلة كريمة بالأردن، ولكن كانت من عائلة مُحافظة، امرأة تقليدية لا تتماشى مع متطلبات العصر، ولكنها طموحة للبناء وضمان مستقبل أولادها، لذلك أدخلته بمشاريع كثيرة أرهقته، واضطر أن يسافر إلى الكويت لتنفيذ خططها بمساعدات أهلها، وبمرور الوقت نشبت خلافات بينهما بعد أن ضاعت أموالها وأمواله وكثرة خلافاتهما، وطلبت الطلاق منه بعد معارك تدخل بها الأهل، فهددها بأنه سوف يأخذ رعاية الأطفال، وتركتهم له بالفعل، واستطاع أن يقف على قدميه مرة أخرى بعد انفصاله عن زوجته ولكن بالكويت.

فأقام هناك وترك أولاده مع إخوته بعد أن وصلوا لسن الرشد، عدا أنس ورانيا، كانوا صغارًا ولكن تربوا في كنف إخوته وأخواته، استطاع أن يثبت أقدامه بالكويت وزاد دخله، وبدأ بمساندة سالم، وكبر أولاده، وذات مرة عزمه سالم بمنزله، فذهب عاهد محملًا بكل أنواع الحلويات الشرقية والشامية، وخصوصًا البرازق وذهب إلى منزل سالم.

شخصية خفيفة الظل، مرح، يعشق الخفة والدلال، يحب الحياة، أنيق الملبس، مصفف الشعر، يهتم بحاله وهندامه، فلا تعطيه أكثر من الأربعين، عمره تعدى الواحد والخمسين، ولكنه محتفظ برونقه وشباب قلبه، رحب به ترحيبًا حارًّا، وكانت أسرته تحب عاهد لأنه كثير الهدايا خفيف الظل، وكان سندًا لربِّ أسرتهم سالم في أوائل غربته، نشأت صداقتهما على محبةٍ متبادلةٍ.

كانت أحلام تحضر بنفسها السفرة وتقوم بتزيين الطعام وتهيئة وهندمة المكان، ترتدي فستان ميني دريس أسود قطيفة، به لمعة ناعمة، وترتدي بوتًا عاليًا، وشعرها منسدل إلى كتفيها يغطي نصف ظهرها، أصفر اللون، لها قوام متوسط وقصيرة، عيونها عسلية، وأهدابها طويلة، تجذب الناظرين، شفتاها أشبه بالكريز، وكان على ثغرها حمرة تشع أضواء تدل على وجه جميل رباني، أما صوتها، فيشبه عزف كمانجات، صوتها رقيق وعذب، يأسر مستمعه ليشعر أنه داخل لحن رقيق هادئ مُعد لنوم، لها ابتسامة صافية، يشع من خلالها ضوء ولمعان وصفاء اللؤلؤ، فرآها عاهد بتلك الطّلة، ولم تكن المرة الأولى التي يراها، ولكن ليس بهذا الرونق والجمال الطاغي، فاقترب منها قائلًا: شو هال الجمال... شو هالجسد يا أسد!!

ابتسمت ابتسامة خفيفة، فأجابت والدتها أنها حبيبتها، ابنتها الكبرى التي تعينها بكل شيء في المنزل، فقال: ولكن هي تفاح أمريكاني. قالت له حقًّا، هي

فاكهةٌ والفاكهة نضجت يا عاهد وطلبت الأكال!

قال: وما أطيب ما شاء الله!

ابتسمت أحلام ابتسامتها الرقيقة، ولكن اشتعلت غيرة حنان أختها الصغرى لإبداء إعجابه بأحلام وكأنها لم تكن حاضرة، وهي التي تحمل عودًا فرنسيًّا وشعرًا لا يقل جمالًا عن أحلام، وبياضًا ناصعًا، ولكن تحمل عيونها بعض الحَور الخفيف، وملامحها بها جمود طفيف، ولم يُبدِ إخوتها أي تعليق غير تبادل الضحكات.

كان ياسر الأخ الأكبر، خفيف الظل، يحب المزاح والحوار، وكان يتبادل دائمًا النكات مع إخوته ولا يأخذ أي شيء على محمل الجد ولا يثيره أي شيء، هادئ لدرجة البرود أحيانًا، وسيمًا، طويلًا، يحمل ملامح أجنبية، يحب ارتداء الكاجول. على نقيضه كان أخوه أمجد، رزينًا بضحكاته، وابتساماته بحساب وفي مكانها، شديد البياض، يميل إلى الحُمرة، يرتدي نظارة طبية، شعره متطاير يقترب إلى الصلع، أنيق بملابسه الكلاسيكية، وكان قريبًا إلى أخته الصغيرة وصديقًا لها وتحمل أسراره.

ظل عاهد يتناول وجبة العشاء وهو مستمتع بالطعام الذي أعدته أحلام ولم يرفع نظره من عليها وكانت الأم مراقبةً للموقف، كانت تعلم أن ابنتها أحلام تحمل سحرًا يجذب الرجال، فأرادت أن تمهد الأرض وتفرش شباكها على ذلك الرجل الثري الذي سوف يحقق لها ما تتمناه ويقوم برفع مستوى

الأسرة أكثر وأكثر، كعادة العرايشية، السياسة والتخطيط واستغلال كل الفرص للحصول على ما تصبو له أحلامهم، فهم أكثر الناس معاشرة لليهود، ويعلمون كيف يمهدون الطريق وفرشه بحلو الحديث والتسهيلات في معاملاتهم، حتى تدخل الفريسة الشباك ثم تغلق شباكهم وتحاط فريستهم بكل أسلحتهم.

كما طبع أسرة سالم، الاستغلال والتقتير، فكانوا يصرفون على طعامهم وعزوماتهم لأنهم يعلمون أنهم سيحصدون هدايا أكثر مما صرفوه. ظل سالم وعاهد يتحدثان في مجلسهما عن أعمالهما، وأحوال الكويت والبترول والتصدير والمشاريع، وياسر وأمجد يشاركانهما الحوار، وقدمت أحلام القهوة مع الحلوى، فقال لها: أنا أحب القهوة دومًا بهذا الوقت مع سيجارة وبرازق، وأخذ يتفحصها ولم يستطع كف نظره عنها.

انتهت السهرة، وعاد عاهد إلى منزله وقد قرر في الصباح أن يطلب أحلام للزواج، فهي سكنت خاطره وحركت رجولته، وأحس أنها تجمع ما بين الجمال والرقة والنغش، بالإضافة إلى أنها ربَّة منزل من الطراز الفريد، فرأى بنفسه اهتمامها بتفاصيل مائدة الطعام ورائحة المسك وكل شيء تقدمه، شعر بشيء غريب دغدغ روحه، فسرح وسهد الليالي، وشغل أغنيته المحبوبة ومطربه الأردني المفضل " فؤاد حجازي".

أنا المتيم... مشاني الحب ع دروبك جول لي ويش مطلوبك أتمنى أكون محبوبك والشوق الشوق ما يرحم أنا.. أنا المتيم يحلالى أكتير أطلع وبسحر عيونك أتمتع والله الكلام ما ينفع لما النظرات تتكلم...

وظل يدندن كأنه صبي بسن المراهقة، وأخذت تتجلى بخاطره حتى تملكت خيالاته. ففي الخيال كل شيء مباح. أشرق الصباح وعاهد مستيقظ يفكر بأحلام التي استوطنت عقله واحتلت روحه، حتى رن المنبه، فارتدى ملابسه وذهب للدوام وهو جامع كباح عقله وفكره، متخذ القرار بأن تكون أحلام رفيقة دربه وأن يعيش ما تبقى من حياته معها، سحرته منذ أن رآها تختلس النظر إليه بدقة وكأنها أول مرة يراها. كانت تمر بخاطره كحلم بعيد المنال ولم يجرؤ على اتخاذ خطوة للإمام؛ لأنه يعلم فارق السن، وأن لديه أولادًا وكم الصعوبات التي قد تقابله، ولكن نظراتها أعطته دافعًا قويًّا، وكلمات والدتها جعلته يتخيل أنه فارس أحلامها، برغم فارق السن، ولكنه يحمل قلبًا شابًّا ينبض بالحس المرهف، ويحمل شخصية مرحة وعقلًا متفتحًا ومتطلعًا.

أخذ يدندن ذات الأغنية وهو بسيارته، إلى أن وصل الشركة، ألقى السلام على الموظفين بابتسامة تكسو وجهه، وجلس بمكتبه وحمل جواله واتصل بسالم: كيفك يا زلمه وينك؟

أجابه سالم: أنا بالسيارة بالطريق إليك.

- احضر إلى مكتبي حين تصل يا غالي.

وصل سالم إلى مكتبه والقلق يبدو على وجهه وقال:

- إيش بك يا أبا محمد؟

- روق يا أبا ياسر، ما في شيء مفزع، أنا مبسوط كثير وأريدك بشيء.

وما الشيء الله يرضي عنك، أخبرني ماذا حدث؟

- عقلي وقلبي في صراع كبير وايت وايت..

- ربي يريح قلبك يا أبا محمد..

- آمين.. إنت بيدك أن تريح قلبي وبيدك ضربه بطعنات دامية..

- يا زلمه اشنو بيدي؟

-أنا أريد أتزوج يا أبا ياسر...

- يا هلا والله الله يريد لك الخير ومين العروس؟

- ابنتك أحلام.. بريدها تكمل معي حياتي وتبقى زينة قلبي ونور أيامي.

اندهش لما رآه من صديقه وسمعه منه، وكيف يقول شعرًا! ثم ابتسم وقال: لقد فاجأتني يا عاهد.

- خذ وقتك يا سالم في التفكير، فلك كل الحق إذا رفضتني، فقد أكون بنظرك خِتيارو..

قاطعه سالم قال:

- حاشا لله يا زلمه، أنت ريال قوي ولساك شباب، ما بتختير الحين ما بقدر أقطع لك رأي دون أن آخذ رأي أم ياسر وأحلام فهي صاحبة الشأن.

- خذوا وقتكم، ولكن أتعهد أنا عاهد الشريف أني سوف أسعد ابنتك ولا أجعلها تحتاج لشيء. سوف أجعلها ملكة متوجة على عرش قلبي وأميرة قصري ورفيقة دربي، ولا تخشى لائمة لائم، فأولادي سوف يحبونها وتكون أختًا كبيرة لهم، فهي صبيةٌ وستظل في صباها، حبي لها سوف يسقي فؤادها فيجعله نابضًا بالحياة.

أجابه سالم بأنه فرح بما يسمعه، وسأله: مُذ متى أصبحت شاعرًا؟!

- بعدما رأيت أحلام صرت أكثر رقة، أصبحت أسمع أغاني وأدندنها يا سالم. ابنتك أحلام أصبحت حلمي الكبير الذي أمسي وأصبح به داعيًا الله أن تكون لي وطنًا وسكنًا، فمنذ أن رأيتها في أول مرة تمنيت أن أملك قلبها و..

قاطعه: ألا تخشى وأنت تتحدث مع أبيها؟! فابتسم وقال: ما عليك يا سالم، ولو أنا بريدها بالحلال أنت تعلم أخلاقي.

- كنت أمزح معك.

انتهى حديثهما، وعاد سالم إلى محل عمله واستأنف عمله، وظل عاهد يدندن أغانيه. عاد سالم إلى منزله، فوجد أحلام بالمطبخ تطهو، وحنان تقوم بترتيب المنزل. لم يكن بالبيت خادمة، وكان ياسر خارج المنزل، وأمجد بحجرته، وفاطمة بالمجلس تشاهد التلفاز على مسلسلها الأثير، فألقى عليها السلام، فردت بلهجتها المصرية التي لم تتغير مع مرور إقامتها بالكويت وقالت: وعليكم السلام يا أبو ياسر، حمد الله على سلامتك.

- الله يعطيك العافية يا أم أحلام.

- أظن أن بك شيئًا غريبًا، يبدو بوجهك شيء غريب!

-لا عليك، ماذا عن الطعام؟

- أحلام تحضره..

- أحلام بالمطبخ؟..

- نعم.

تنهد وأمسك لحيته؛ دليلًا على إحراجه من شيء، أو أنه يريد أن يفتح موضوعًا هامًّا.

نظرت له زوجته وقالت:

- يا أبا ياسر، أنا أعرفك، تريد أن تخبرني شيئًا، فعشرتي الطويلة لك تجعلني أقرأ ما يجوب بخيالك.

- أنتِ أحلي عشرة، امرأتي العظيمة، صمدتِ معي بكل قوتك في صعوبات الحياة، وكل المنحنيات التي مررت بها، كنتِ ونعمَ الزوجة! أدامكِ الله عليَّ نعمة، ويرزق أولادنا بزوجة مثلك.

- اللهم آمين، ويرزق بناتنا بزوج مثلك يا سالم، أنت كل شيء لي، أخي وأبي وزوجي وحبيبي وأبو أبنائي.

- أما زلتِ تحببني بعد؟ أنا خِتيرت.

- حبك بقلبي مثل الربيع الذي يأتي يمنح للزهور الحياة.

قاطعتهما حنان وقالت:

ما كل هذا النغش يا أمي.. تغازلين أبي أمامنا؟!

فأجابتها: تعلموا يا بناتي أن تمنحن الحب لأزواجكن دومًا، تحصدن دفئًا ورعايةً وطمأنينةً، فالرجل حين يشعر بحبك المتجدد له سوف يعطيك ما يملك ولا يبخس عنكِ بشيء، مشاعره، أمواله، أحلامه، حتى دقات قلبه، أليس كذلك يا سالم؟

أجابها أنه لم يرَ مثلها ولا أحب غيرها مع مرور الزمن.

كانت أحلام تستمع لحديثهم من خلف الستار، ثم قالت لأبيها: أنت محظوظ يا أبي لأن معك زوجة تعلم مداخل الرجال ومخارجها، تعلم كيف تأسر قلبك وتملك جيبك، ثم ضحكت. نظرت لها أمها نظرة عاتبة لما سمعته، لامتها:

- أهكذا تريني يا أحلام، متملّقة؟!

قالت أحلام: كنت أمزح مع أبي، فأنا طهوت الطعام وصنعت له أكلته المفضلة "القبوط". قال سالم أنتِ حبيبة قلبي، ابنتي ذات القلب الكبير وقرة عيني. فلبثوا يتناولون الطعام دون ياسر الذي كان خارج البيت فقال سالم:

- لدي موضوع مهم أريد أن أتحدث معكم به، ولكن كالعادة، ياسر لم يحضر، كعادته هارب، يقضي وقته مع أصدقائه أكثر من أهله، الله يهديك يا بني.

رددوا خلفه اللهم آمين. قالت أحلام في تلهف:

ما الموضوع يا أبي؟ يا رب يكون خيرًا. نظرت أمها إليها وكأنهما توقعتا ما يريد قوله، أو نجاح خطتهما سويًّا، فلقد خططتا لرمي الشباك على عاهد دون اتفاق مسبق، فباطنيًّا كانت أحلام الصورة الأكثر تطابقًا لأمها، تشبهها بكل شيء من خصالها، كانت قريبة الملامح من أبيها، ولكن حملت خصال أمها، فكانت تقرأ أفكارها دون أن تتفوه بحرف، ليست كأم تفهم ابنتها، ولكنها تفهم ما تصبو لها أفكارها، فترى أحلام قطعة مصغرة منها، لها نفس التطلعات والأمنيات.

- فأجاب: خيرًا يا حبيبتي، فهو موضوع خاص بك أنتِ.

- بي أنا.. ماذا؟!

- سوف نفرح بكِ قريبًا.

- أجابت بدهشة: شنو!!

- عاهد اتصل بي، تحاورنا وطلب الزواج منكِ بأقرب فرصة، وقال أشعارًا بكِ، وعرفت أنه متيم بك منذ فترة، وقال إنه يتعهد أن يفعل المستحيل لكي توافقي، وسيجعلك ملكةً. كانت ملامح الوجوه محيرة، فالأم فرحة، وأحلام كانت تنظر مندهشة خارجيًّا، ولكن داخليًّا تشعر بانتصار ما خططت له وسهدت الليالي من أجله، أما عن أمجد، فعقد حاجبيه اعترض قائلًا:

ماذا تقول يا أبي؟! عاهد يكبرها بعشرين عامًا، ثم أكملت حنان لأخيها: ومطلق، ومعه خمسة أبناء. من الجنون أن يطلب أحلام!

أجاب الأب ابنته: الزمي أدبك، من تتحدثين عنه صديق والدك.

فرد أمجد: أهذا ما نتحدث عنه يا أبي؟! هو قريب السن من حضرتك، يعني مثل أبيها، فكيف طلب الزواج منها؟!

أجابه بثقة يدافع عنه: لا يعيبه شيء، فالرجل يتزوج مثنى وثلاث ورباع وبأي عمر، وأكملت فاطمة: أن عاهد لا يظهر عليه سنه الحقيقي، علاوة على أنه مرح وثري، سوف يمنحها ما تريد، كما أنه معافى صحيًّا لا يشكو مرضًا. كانت أحلام صامتة تنظر للجميع بصمت وكأنها تجمع آراءهم وتسمع نواياهم واعتقاداتهم، فقد حددت طريقها منذ البداية، وهي أول من وضع حجر أساس اللعبة ورمت بشباكها على عاهد وعاونتها أمها بشكل غير مباشر.

فسألها والدها: لماذا أنتِ صامتة يا أحلام؟ ما رأيكِ فيما يقال؟ تأملت نظرات أمها أولًا ثم نظرت لباقي العائلة نظرة سريعة، وقالت برقتها المعهودة: ما تراه يا والدي، فأنت تعلم ما يصلح لي، فأنت كثير التقرب والتضرع إلى الله، وتعلم الخير باستخاراتك لرب العباد، دومًا يستشيرك الأقارب والأهل بحاجاتهم وأنا ابنتك، كيف لا أستشيرك! نظرت الأم إليها وكأنها تنظر إلى مرآة معاكسة لنفس الصورة، وصفقت لها داخليًّا فقال سالم:

يا حبيبتي، يا قُرة عيني دومًا، سوف أستخير ربي في هذا الشأن ونرى ماذا نفعل، ولكن خذي راحتك بالتفكير، وما رأيك يا فاطمة؟ فأجابت:

الرأي رأيك يا سالم ورأي أحلام بالأول وبالأخير، هي من ستعيش مع عاهد، إذا وافقت فلابد أن تقرر حياتها، أما عن رأيي، فأنا أحب عاهدًا وأراه رجلًا كريمًا حنونًا مرحًا، يحب الحياة، يقدر الجمال ويحبه، وأي امرأة لا تريد أكثر

من أن يكون زوجها رجلًا طيبًا، والأهم أنه لا يظهر عليه سن، ولكن أحلام هي من تقرر، ونظرت نحوها: ما رأيك يا أحلام، أليس الأمر كذلك؟

نظرت لها نظرة استنكارية وهي تجيبها: نعم كذلك! كانت حنان حائرة ما بين حواراتهم، أمجد اتخذ الصمت طريق في حضور والده ولم يعلق. ابتسم سالم ودعا لأبنائه بالهداية، ثم دخلت أحلام حجرتها وهاتفت أخاها ياسرًا وقالت له: وينك؟

- أنا مع رفقائي.

- أعتازك بأمر هام.

- لا تتنغشي يا أحلام، إيش تبي بحضره لكِ إن شاء الله من مجمع الأفينوز لزوم الدندشة بعرفك نغوشة.

ضحكت ضحكتها المعهودة بكركرة هادئة حتى كُتمت أنفاسها من الضحك، فكان ياسر كثير الضحك مع كل من حوله، وكانت أحلام تحب ياسرًا؛ لأنهما تجمعهما كيمياء واحدة، وكان يراضيها. قالت له:

- لا أبي شيء، أريد اتسولف معك بموضوع كثير مهم.

- بعود بعد ساعتين انتظريني بجيب لكِ برازق معي يا أحلي أخت نغوشة ومنعنعة بالدنيا.

ضحكت وأغلقت الخط وهي تبتسم، فدخلت عليها أختها وقالت لها:

ماذا عن عاهد؟ أتُوافقين على الزواج منه حقًّا؟

- ولمَ لا؟..

- أتعلمين أنكِ سوف تتزوجين وتصيرين ضُرة، وتتغربين عن الكويت، وتذهبين إلى الأردن لأن منزله وتجارته الأساسية هناك؟

- أولًا لست ضُرة، عاهد منفصل، كما أن منزله هناك فيلا طابقين، يعني سوف أكون بطابق بمفردي، وأولاده كبار، ليسوا بحاجة لرعاية، ألا تعلمين أني سوف أعيش بالأردن ملكة؛ لأن هناك خدمًا ومكانًا متسعًا، وأبناؤه لهم تجارة والِدتهم، وعماتهم وأعمامهم من يتولون أمورهم، أي ليس لي دخل بهم، وعاهد سوف يحقق لي ما أتمناه، كما أن أباك يمر بضائقة مالية وسوف ينقل إقامتنا كلها إلى مصر؛ لأن المصاريف تزيد ولا يستطيع سداد ديونه، وعاهد سوف يساعده إذا تزوجت منه أكيد، فأعيش بالأردن وآتي الكويت زيارات ولن أعيش في مصر على الكفاف.

اندهشت حنان من كم معلوماتها التي لم تعلم عنها شيئًا! وسألتها كيف ألمت بكل ذلك، وهل تحادثت مع عاهد من قبل؟

- نظرت لها بخجل وقالت هو حادثني تليفونيًّا أكثر من مرة كصداقة، ولمحت كثيرًا أنه معجب بي، ولكن ما وعدته بشيء.

أجابتها حنان مستنكرة: كيف، وهل نسيتِ أحمد وتعلقه بكِ عندما كنا بمصر والعهود وكل شيء كأنه ما صار؟! نظرت لها نظرة حزينة وترقرقت الدموع داخل مُقلتيها دون أن تنهمل. أجابتها:

- لم أنسَ أحمد، ولكنه بلا طموح، وليس لديه مقدرة لإرضاء طموحي، كل ما لديه حب وكلام معسول، لا يقدم ولا يؤخر.

اندفعت حنان قائلة: إذا لم تحبيه، لماذا عاهدتِه بالتفكير فيه، وبالإجازة القادمة سترتبطان رسميًا؟

بصوت هادئ أجابتها: لا أستطيع أن أعيش بهيك المستوى، وببيت أهله، ويقول لي وين راحه وين راجعه، الحياه بمصر مع أحمد مقيدة، محدودة الإمكانيات ضعيفة، لكن مع عاهد طموحي مُحقق، بالإضافة إلى أنه رجل حنون ويعشقني وسوف يدللني وأحقق معه كل إيشي حرمت منه.

- الله يحقق لكِ ما تتمنيه، بس يصعب عليَّ أحمد بعد ما تأمل بكِ وبالإجازة تتم خطوبتكما.. تتزوجي من عاهد والله صدمة على الزلمه.
- بالغد يهوى غيري...

مر الوقت، وجلس عاهد مع سالم يتفق على عقد قرانه على أحلام، ممليًا عليه شروط أحلام وتطلعاتها. لم ينطق عاهد ببنت شفة كأنة يعلم مسبقًا بتلك الطلبات ومتفق عليها في حديثهما التليفوني، بل قام بمباركة الاتفاق بإخراج خاتم ذهبي كهدية لها، وقال سوف نعقد القران الخميس القادم، وسوف أسوي لها فرح كأي بنت من بنات العائلة.

فردت الأم أنت رجل مزُوق...

فرد ياسر: يا هلا والله، سوف نسوي أعظم فرح رأته الكويت بالدنيا...

قاطعه سالم: لا بيكون بالأردن، اتفق معي عاهد على ذلك...

رد أمجد: كيف نسوي الفرح هناك وأهلنا ومعارفنا بالكويت؟!..

رد عاهد: ليس مُشكل، بنسوي ليله أو مجلس بالكويت للأهل.

مرت ليالي الزفاف بفرحة وسعادة على الأهل والأصدقاء، وكسا وجه عاهد الفرحة بأول يوم يجمع الله بينه وبين حلم عمره أحلام، لم يكن مصدقًا بعد انتهاء مراسم الزفاف أنها أمام عينه وأصبحت تحمل اسم الشريف. كانت أحلام بالنسبة له حلمًا بعيدًا صعب المنال، وتحقق بعد ليالي سهر وسهد وشوق.

كانت أحلام شديدة الخجل، لم تنبس ببنت شفة أمام عاهد، كانت نظراتها حائرة، تنظر لِلأرض أغلب الأوقات.

اقترب منها عاهد وقال: يا أميرة القلب، يا حلم العمر، يا من سكنت القلب، ليش هالخجل اللي بعيونك؟ لسه مستحييه منى؟ ما تعودتِ عليَّ؟

أجابته أحلام بأنها لا تستطيع الحديث، فهي مضطربة الآن، لمس وجنتيها قائلًا: أنتِ خائفة مني، أحب أطمئنك أني لن أؤذيك أبدًا، وسوف تعيشين معي حياة كريمة وهادئة من أول يوم، لا تخشي مني يا حُلُم، لن ألمسك الآن، سوف نتعشى ونغني ونلعب، ما زال قلبي شبابًا، أحب اللعب والجري، خصوصًا معكِ يا حبيبة قلبي.

ابتسمت أحلام ابتسامتها المعهودة ثم قالت:

أنت جميل يا عاهد، وأنا أحبك يا عمري وأنت تبتسم، وأنا أبي أن أعيش معك عمري.

فاقترب منها وقبلها قبلة من شفتيها قبلة الحب والمودة، وقام بإحضار العشاء لها، وشاهدا التلفاز، وأخذا يتسالفان للصباح، وخلدا إلى النوم وهي بحضنه. قامت في الصباح، حضرت الإفطار بشكل أنيق ومرتب، وقام يدندن لها أغنيته المعهودة منذ دخل قلبه حبها، جذبها لحضنه، ثم امتزجت روحاهما قبل أجسادهما بكل حنو وحب ومودة.

وبعد امتزاج جسديهما امتزجت أواصر الحب بينهما، وبدأت بينهما حياة جديدة، تنم عن المودة والرحمة والحب، وشعر عاهد أنه أطفأ حرمانه بعد شهور الانفصال عن زوجته، وشعرت أحلام أنها دخلت مرحلة جديدة من عمرها، وكان عاهد يعاملها كملكة متوجة، تأمر فتُطاع، يحنو عليها دومًا وينغشها، فيرى حياته وشبابه فيها، فهي حلمه وأحلامه الباقية.

مرت ليالي العسل في الأردن، واندمجت أحلام مع أهل عاهد بشكل سريع جدًّا وأحبوها، وخصوصًا أولاده، كسبت مودتهم من الوهلة الأولى، برقتها ومعاملتها الحسنة وكلمها المعسول دائمًا وسياستها التي ورثتها من أمها العرايشية الأصل. كانت دائمة التودد بأُخته وبأولاده، تتصل دومًا بهم حتى اعتبروها واحدة منهم، ومع الوقت أنجبت مولودها الأول "عابد". كانت

فرحة العائلة به لا توصف، وأقاموا له حفلًا كبيرًا، كانت فرحة أحلام بمولودها لا توصف، خصوصًا وأنه ذكر، وأصبح لها عونًا وسندًا فيما بعد مع حياتها مع عاهد.
بعد عام أنجبت "دنيا" وبعد عام أنجبت "شهد" وأرادت أن تآخي عابدًا بذكر، فكانت تنجب سنة تلو الأخرى، عاشت مع أسرة عاهد بالأردن، كان يسافر إلى الكويت ينجز أعماله هناك ويعود إلى أحلامه، كبر الأطفال وكبرت مسؤوليتهم، وشعرت أحلام بثقل حملهم، من طعام وملبس ومذاكرة، قل خروجها وساء مزاجها لقلة زياراتها لأهلها بمصر أيضًا بسبب مسؤولياتها وقلة الإمكانيات بعدما أغلق زوجها تجارته بالأردن، وظل مصدر رزقه تجارته الموجودة بالكويت فقط. أصبحت تشعر بضيق بسبب قلة الإمكانيات عن السابق، وشعرت بوحدة وفناء عمرها هدرًا، لم تفعل شيئًا ولم تؤسس شيئًا لها، ولم تدعم أهلها بعد أن ضاق الحال على أبيها واضطر لإنزال أسرتها إلى مصر، عدا ياسر، الذي ظل مع أبيه بالكويت.

عاشوا بالعريش، وتزوجت أختها من أحد العرايشية، ولم توفق بزواجها وانفصلت عنه بعد عدة قضايا في المحاكم وقد أنجبت منه طفلين، عبد الرحمن ونورا، وبعد ذلك انتقلوا لمدينة الأب، الإسماعيلية. أنهى أمجد دراسته بكلية التجارة، وعمل بإحدى شركات التسويق، سكنوا شقة صغيرة

وعلى الراتب الشهري الذي يرسله سالم، تأتي لهم أحلام محملة بالهدايا، وإعانة صغيرة بسبب الأحوال ومسؤولياتها وأحلامها الشخصية.

جلست أحلام بمفردها تتذكر الأيام الخوالي، تذكرت حب أحمد، وكيف كان يكتب لها شعرًا، وكيف حلم معها ببناء بيت يجمعهما، جدرانه العشق، وسقفه الأمل، تذكرت أول مرة لمس يدها، وكيف خشى عليها من الأنظار، كان حبه لها أفلاطونيًّا، تذكرت خطاباته فأحضرتها وقرأتها، كان يحلم بضمها لصدره وأن تحمل اسمه، نظرت لحالها الآن وتذكرت عاهدًا؛ فشعرت بغصة، تذكرت الليالي التي قضتها بحضنه وطلباته المفزعة لها والتي قتلت مشاعر حبها له، كيف كانت تقيم علاقتها الحميمة معه، وكيف تحملت قتل براءتها ورومانسيتها كي تدير الحياة كما رسمتها، كم مرت بمراحل مفجعة معه لتغير طريقة ممارسته الجنسية معها! وكيف كان يطلب منها أشياء غريبة، ولم يعد يقيم العلاقة برومانسية أو يشعرها بأنوثتها، كما أن العلاقة اقتصرت على إفراغه طاقة فائرة داخله يسكبها سريعًا داخلها دون أن تشعر بدفء تلك الطاقة، وتذكرت كم من المرات التي تعذبت شوقًا لضمة صدره وهو لم يكن يستطيع إشباع رغباتها واحتياجاتها، كم أصبح تقليديًّا ونمطيًّا معها حتى كرهت إقامة علاقة معه كانت تؤديها بشكل محفوظ ونمطي!

أفاقت من شرودها على دمعات عينيها، وندمت على ترك حب أحمد متمتمة لنفسها: "زمانه اتزوج وعاش حياة كلها رومانسية". ولامت نفسها على رميها بأحضان رجل بسن أبيها ذاقت معه طعم ألم الحرمان العاطفي.

ولأن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، ولأن المصائب لا تأتي فرادى؛ أصبحت تجارته الخاصة بالكويت تمر بأزمات ولا تغطي المصاريف، فاضطر إلى غلق الفروع والعمل بالشركة التي كان يعمل فيها منذ بدايته براتبه فقط قبل الاشتراك في مشاريع مع زوجته الأولى، واكتشفت حملها فاضطربت الأمور معها، وكانت بنتًا سماها "ندى".

بعد ولادتها أصبحت دائمة المشاكل مع عاهد ولم تعد تشعر به، وأصبحت تخرج كثيرًا، وتعرفت على أصدقاء سوريين وشاميين، ووسعت دائرة معارفها، وأردت أن تعيش حياتها بعدما صارت في أواخر عقدها الرابع، فتعرفت على "ميرفت" سورية الأصل، تعيش بالأردن مع زوجها، منفتحة جدًّا ولها عادات غربية، عرفتها على أصدقاء عدة يجلسون معهم، يتحدثون ويرتدون على الموضة.

أصبحت أحلام تصرف أموالًا كثيرة على مظهرها وأناقتها، وزوجها يخضع لطلباتها لاستمرار الحياة بينهما بعد زلزلة الأمور، ومع الوقت أعجبت بزوج صديقتها "شمس" ومن معاملته لها ورومانسيته وأناقته،ولبثت تتبادل

أسرارها مع ميرفت، وأخذت ميرفت بالتبعية تقص لها عن مغامراتها هي الأخرى وتأخذ أحلام السيارة أثناء وجود أطفالها بالصف وزوجها ما بين الأردن والكويت وتذهب إلى صديقاتها، حتى رآها والدها ولم يعجبه حالها وعنفها بشدة، سمعت كلامه وتأثرت بادئ الأمر، وبعد ذلك ومع تكرار الأمور صارت لا تبالي بحديث والدها، وأرادت أن تعوض ما فاتها من حياتها.

كانت تنزل مصر لأهلها سنويًّا لتغيير الجو والترفيه، نزل معها ياسر بعد فشله في إدارة شغل أبيه أو أن يمتلك عملًا، نزل محطمًا، لم يعد ياسر المرح خفيف الظل، أطلق لحيته، ورجع إلى مصر ليستقر مع والدته وإخوته، اجتمعت الأسرة بشقتهم، وكان مع أحلام أولادها.

ذات مرة ذهبت إلى العريش مع أمها لزيارة جدتها وتركت الأولاد مع خالتهم حنان، وكان هناك شخص عند الجدة لم تكن تعرفه من قبل، كان يتحدث بصوت خفيض، يتحدث بنبرة لا تنم عن مظهره، كان متوسط الطول، ممتلئًا، لديه كرش، أصلع الشعر، ولكن وجهه طُفولي، ويرتدي خاتمًا ذهبيًّا وسلسلة ذهبية، وساعة أنيقة تدل على ثرائه، انتبهت له ونظرت نحوه بعينيها الجميلتين، فالتقط إشعاعهما، ونظر إليها بإعجاب شديد وتمعن وهو يتفحص كل جزء بجسدها.

وجه حديثه إلى ابن أخت فاطمة مستفسرًا: لماذا لم تعرفنا يا عادل؟

كان عادل يتعامل معه بتجارة العسل، وهو صديق قديم له، فأجابه بلا مبالاة:

- أحلام ابنة عمتي، عمتي فاطمة.

- وأنا أحمد راضي، رجل أعمال.

أجابته بدلال: أهلًا وسهلًا.

- يا بووووووي.. ما هذه الرقة والجمال! أنتِ لست مصرية، فأنا آتي كثيرًا وأعلم اللهجة العرايشي جيدًا.

- لا، أنا مصرية أبًا عن جد، وأمي عرايشية أيضًا، لكن أنا مولودة وإخوتي بالكويت.

شعر أحمد بشيء غريب يسري بمشاعره أثناء تحدثه مع أحلام، فسحرته منذ أن رأى حنانها ورقة حديثها، فأراد ألا ينهي الحوار معها، وتحدث كثيرًا وهي تنظر إليه وتؤمن على حديثه في صمت، فأخذ يحدث ذاته أنه يجب أن يكون بينهما وصل بعد انتهاء زيارته، ولكن استحى أن يكون مباشرة أمام ابن عمتها وأمها وجدتها، فأدار دفة الحديث ليخبرهم بنيته فتح محل لمستحضرات التجميل ويريد أخذ رأي أحلام في ذوق المرأة، ويكتسب الثقافة الخليجية والشامية. وجدها فرصة ليعطيها الكارت الخاص به، فلمس يدها

وضغط عليها بحنو وهو ينظر لعينيها نظرة تفهمها أي امرأة، هام بها، وتفككت أواصره، ولم يعد يحمل أفكارًا لسردها فاستأذن، فضمت أحلام الكارت ووضعته بمحفظتها وأمها تراقب المشهد بعين حامية ونظرة حكيمة، لم تبالِ أحلام بنظرات أمها وابتسمت لجدتها وأخذت تربت على كفيها بحنو وتقبلهما وتحدثها بمعسول الكلام، وأنها تفتقدها وتتذكرها وهي هناك بالأردن وحكاياتها لها وهي صغيرة، فظلت العجوز تدعو لها ولأولادها.

سجلت أحلام رقم أحمد راضي، وتذكرت من اسمه حبيبها الأول، ولكن مع فارق الشكل والحجم، ولكنها رأت براضي نظرة الإعجاب التي تمنتها من كل رجال العالم، وأحست منه السخاء بكل شيء، من مظهره وعربته الجيب، ومشروعاته التي تحدث عنها، شعرت بأنه الرجل الذي حلمت به، العصامي الذي بنى نفسه حتى أصبح رجل أعمال، قطع حديثها مع ذاتها أمها وهي تقول:

- راضي شاب ممتاز، دائم الزيارات لعادل، ويزور أمي محملًا بالهدايا لكي تدعو له ولأولاده ويبارك له الله برزقه ليبني مستقبله ويؤمن مستقبل أولاده.

نظرت لها أحلام نظرة استنكارية، وكسا وجهها ملامح اللامبالاة قائلة: الله يرزق الجميع بفضل الله. وذهبت إلى غرفة جدتها تسرد لها حكايات قبل أن تسافر وتودعها وتراها السنة القادمة.

عادت أحلام وتركت أمها مع جدتها، فتسابق أولادها للسلام عليها، فلقد افتقدوها جدًّا وأخذوا يطلبون طلباتهم وأموالًا وهي تلبي بحاضر، ولكن دعوني أسترح وسألبي لكم كل إيشي.

وبعد برهة من الوقت انفردت أحلام بغرفتها بعد أن لبت طلباتهم فذهبوا جميعًا مع أمجد وياسر لنزهة سريعة عدا حنان.

فأطفأت نور الغرفة، وأخذت جوالها واتصلت بأحمد راضي، حدثته بصوت عذب خطفت مسامعه: "آلووه"، عرفها قبل أن تعرف عن نفسها، فقال مداعبًا:

- لن أسامحك أبدًا.

- قالت: شو! أنا أحلام.

- أعرف شفتيك قبل ما أسمع تغريدك.

- وليش زعلان.. إيش سويت؟!...

أجابها: يا بووووي! ما انتهيت من شو يطلع إيش سويت.. بجد شو هيدا الجمال!

ضحكت أحلام ضحكتها المعهودة وقالت: بس هيدي لبناني مانو خليجي.

- أنا صعيدي.. ههه.

وتعالت ضحكاتهما، وأخذ يتحدث معها بغزل تارة، وبخفة ودلال طورًا آخر، وبعد ذلك صدمها بسؤال في الصميم:

- منذ متى وأنتِ متزوجة، وهل لديك أولاد؟

قالت بحدة: منذ كثير، ولدي أولاد، فأجابها بالمثل: أنا أيضًا متزوج، ولكن لماذا تجيبين بحزن هكذا؟

- ولا شيء، موضوع يطول شرحه.

فأجابها: وماذا يشغلنا؟ نفسي أحكي لكِ عني منذ ولدتِ، أجابته بأنها مستعدة أن تسمعه على الرحب ولكن بوقت آخر.

- لماذا غضبتِ مني؟ شعرت أنك غضبت من سؤالي، عندما قابلتك أول مرة رأيت بعينيكِ حزنًا عميقًا ينم عن عدم راحتك مع زوجك، أنا أيضًا أشعر بعدم راحة وأريد الزواج من أخرى.

صمتت برهة ثم قالت، ولماذا تشكو أنت من حياتك؟

- اللهم صلِّ على النبي، أخيرًا سمعت صوتك مرة أخرى!

بابتسامة خفية أجابته: اللهم صلِّ عليك يا نبي.

- أنا بحاجة إلى الحنان والاهتمام، وزوجتي جافة المشاعر، يابسة الإحساس، لا يعنيها أمري، أنا أتعب بالعمل لأكوِّن ثروة، وأريد أن أرجع البيت لأجد زوجة تخفف آلامي وتدللني، ولكن هي لا ترعاني أبدًا ولا تهتم بشيء، ولا بمشاعري الخاصة، ولا أيضًا تهتم بذاتها أو هندامها، وأنتِ ما سبب حزنك؟

وبلحظة سمعت طرقات على باب غرفتها، كانت حنان، فاضطرت إلى إغلاق الخط، دخلت حنان قائلة: مع من تتحدثين وتتركيني بمفردي؟

- أتحدث مع رفيقتي.

- رفيقتك بمصر.. من تكون؟

- لا، مع ميرفت.

- كيف كل ها الثرثرة على دولي؟!

زفرت أنفاسها ضيقًا من تطفلها وقالت: لا، أحدثها على الفايبر.

- ما عليكِ، أنا أشعلت الحجر وشغلت النارجيلة، تعالي نخرج همومنا ونزفرها مع دخان.

- إجت بوقتها يا حنون، أريدها الآن. وأخذت الأختان يتنفسان دخانهما ويتبادلان الحديث وإطلاق الضحكات والمواضيع العامة.

قالت لها حنان: سجائر المور نفدت، لم يتبقَ سوى علبة، أرسلي لي من هناك كارتونه.

- حاضر، برسل لكِ عطيني اللّي لماذا ما وضعتِ خوخ ليش كرز؟

أجابتها: إيشي مرة نغير.

مر الوقت وعاد الأولاد مبتهجين، فهم يجدون ملاذهم بمصر، وكونوا معارف وارتبطوا بالأماكن، فكانوا يرونها سنويًّا.

ومرت أيام وهي تتحدث مع أحمد، واقتربا من بعضهما، وشكت له عن حالها، وعن أن شبابها دُفن مع عاهد الذي لم يستطع أن يحافظ على شبابها، وأفهمته أنها تعيش سنوات الحرمان، فأصبح هو مصدر الأمل لها، فأخذ يشعرها أنها حبه الذي يبحث عنه، واقترب منها أكثر، وأصبح بينهما مقابلات، وتعددت الهدايا، وأصبحت حنان تعلم عن تعرفها براضي سرًّا ويتبادلان الأحاديث بينهما، حتى انقضت فترة زيارتها لمصر، فذهبت لتقابل راضي لتودعه وقالت إنها لن تنساه، وسوف تعمل جاهدة على أن تواظب على أن تتحدث معه دومًا حتى يقرب الله بينهما يومًا، وأعطته رقمها الأردني

ليتحدثا عبر الإنترنت ويتبادلا الرسائل على فايبر وواتساب، ولن ينقطع حبل وصالهما بسفرها.

عادت أحلام إلى الأردن بشحنة رومانسية وهدايا وشعور جديد، أنها مرغوبة وما زالت تحمل جمالًا، برغم زواجها من الكهل الذي كاد يطفئ ريعان شبابها، ورغبتها في الحياة والحب، وبرغم أمومتها لأطفالها الأربعة، تُعد امرأة تسحر الرجال وتشعل قلوبهم وغرائزهم، وأصبحت تتعامل مع عاهد ببرود في علاقتهما الحميمية، ولكن كانت تحافظ على حديثها معه برقة ومعسول الكلام لكي يتركها تذهب لرفيقاتها ولا يحرمها أمواله، فكانت تعرف نقطة ضعفه بالعلاقة، وكانت تعلم مقدار حبه لها، فهو يحبها حد العشق ولا يستطيع أن يعيش حياته دونها، لذلك كان يتحمل تصرفاتها.

كانت تذهب في الصباح لرفيقاتها، وكانت تعود لتحضر الطعام وترتب منزلها، وطوال الوقت يظل جوالها بيدها، تحدث راضي على واتساب، وإذا أتيحت لها الفرصة يتحدث معها عبر الفايبر ويتغزل في جمالها، ويحكي عن أنه مشتاق لها ولا يقوى على الحياة دونها، ويريد ضمها لصدره؛ فاستحت ولم ترد، فهي ذابت من حرارة مشاعره، فكان يخرج أنفاسه بحرارة شعرت معها بنشوة تسير بجسدها أفقدتها النطق، وتخيلت نفسها بأحضانه، وصارت محادثاتهما مسكنات حتى تنزل إلى مصر ويتقابلا، ووعدها بكم من الهدايا والخروجات وأنه سوف يلبي كل شيء تتمناه يعوضها عن شبابها الذي

أهدرته مع عاهد.

مرت لياليها بين شد وجذب، ودامت مراسلتها وحديثها مع أحمد راضي، حتى مرت سنة وهبطت لمصر بمفردها وتركت أبناءها لأداء امتحاناتهم الصفية، وشعرت بالاختناق، وأرادت أن ترى والدتها المريضة، فانتهزت الفرصة لإقناع عاهد بالسفر لمصر بحجة الاطمئنان على صحتها، وهي كانت تحلم بالهدايا والخروج وحياة الرومانسية التي رسمها لها راضي، وأن ترمي نفسها بأحضانه وترى بعيونه حرارة شوقه لها.

وبالفعل، خرجت من المطار وكان بانتظارها، وذهب بها إلى القاهرة، وتناولا الغداء في فندق خمسة نجوم، وأخذ يتجول معها بسيارته.فهي لم تبلغ أهلها عن ميعاد الطائرة، وقالت إنها سوف تأتي مع صديقتها لأنها تحمل أمانات سوف تعطيها لها، فأوصلها الساعة الثانية بعد منتصف الليل فرحة ومحملة بحقيبة مليئة بمفاجآت أحضرها لها راضي، وأعطته هدايا يتوق لها قلبه، فهي مذواقة باختيار الهدايا.

وأخذت تحكي مع أسرتها واستأذنتهم أنها متعبة وسوف تحكي معهم صباحًا، ودخلت حجرتها وأرسلت له رسالة فحواها:

"حبيبي الله يخليلي إياك برسلك بوساتي امووووواه".

وحضرت نفسها للنوم وهي حاملة جوالها، ومرت دقائق قليلة، وجاءها صوت رسالة، كان راضي "وأنا بعشقك وبموت بشفايفك".

ظلت ترسل له ويرسل لها، حتى راحت في سبات عميق لم تفق منه إلا صباحًا مع طلوع الشمس، قامت تنظر بجوالها لترى آخر رسالة منه فقالت له:

"صباح الخير حبيب قلبي".

انتظرت أمام جوالها، لكنه لم يرد، علمت أنه قد يكون نائمًا، فقامت وأحضرت إفطارًا هي وأختها، ومر اليوم ما بين مشاهدة التلفاز والحديث مع إخوتها وما بين نارجيلتها التي تصاحبها بأي مكان، فأصبحت جزءًا لا يتجزأ منها، تعشقها، وفجأة رن جوالها، فنظرت إليه وحملته ودخلت غرفتها، أجابته: وينك روحي؟ والله انشغل قلبي عليك.

- كنت نائمًا... والآن بالسيارة بطريقي إلى الكافيه وأريد أن أراكِ.

- وحشتني يا عمري.

- وأنتِ كمان يا روحي، متى أقابلك؟ أريدك الآن، تحججي بأي شيء وانزلي لكي أراكِ.

- الوقت متأخر.

- لابد أن أقضي معكِ يومًا كاملًا قبل أن أسافر لأولادي بالقاهرة.

- بعد الغد سوف أقضي معك يومًا كاملًا، فرتبت بالبيت على أني سأنزل لرفيقاتي هنا، وغدًا أمي سوف تأتي من العريش فلا أحمل همًّا.

ومرت مكالمتهما بالاتفاقات والغزل. ومر الغد وأتى اليوم الموعود، التقت به صباحًا، وأخذ يلف بالسيارة، من كافيهات ومطاعم ومحلات الملابس، ثم أثناء ما كان بسيارة أخرج حقيبة بها شيء وقال لها، أغمضي عينيك.

- شنو؟!

- مفاجأة!.... أغمضت عينيها وهي تتوقع أن يقبلها بالسيارة، فكانت مغمضة وهي حذرة وتبتعد قليلًا عنه، ثم فتحت عينيها عندما طلب ذلك، فرأت بيبي دول أسود قطعتين.

- واو إيش هادا؟!

- هادا بريده عليك الليله.

تعالت ضحكتها.....صرت بتحكي شامي أفضل مني.

- لا تغيري الموضوع، اليوم يجب أن نعيش قصة حبنا.

صمتت وتنهدت ثم قالت... أحمد دعنا ننتظر حين أنفصل عن عاهد وبكون لك وحدك.

قاطعها... أحلام أنتِ تريديني أكثر ما بريدك، وبيكفي شهور عذبتني بها أتخيلك بمنامي وفي صحوي.

أحمد أنا.... قاطعها بتشغيل محرك السيارة على شقته ونظر إليها قائلًا:

- لا حديث ولا تفكير، اتركي مشاعرك وأنا لا أغصبك على شيء، كما أن بالشقة مفاجأة أخرى تنتظرك.

- شنو مفاجأة! يكفي كل هذا، هدايا كثيرة.

- بعطيك عمري وبيكون قليل.

- قلبي بيدق من كلماتك يا أحمد.

فضغط بنزين أسرع، وعندما وصلت أمام العمارة قالت:

- أحمد أنا خائفة، لا أستطيع فعل هذا.

كسا ملامحه الغضب، ثم زفر وقال لها:

- أنتِ لا تحبيني.

- لا تقل ذلك، أنا أحبك جدًّا، ولكن قدِّر موقفي، فأنا متز...

فأمسك يدها وقبَّلها وقال:

- لا تتفوهي بشيء يعذبني، دعيني أركِ به فقط، فأنا أريد أن أراه عليك فقط وأضمك لصدري.

نظر لعينيها نظرة هَيام وتوسل، فهبطا من السيارة متشابكي الأيدي وصعدا الشقة، وكان قلبها يدق وينتفض من مكانه وهو يشد أزرها بالضغط على يدها بحنو حتى وصلا، أخذ يريها معالم الشقة، وأدخلها غرفة نومه وقال لها:

- هذه غرفتي المتواضعة، فأنا أعيش بهذه الشقة المتواضعة كاستراحة عندما أقوم بأعمالي بالإسماعيلية، فلا أضع بها أشياء كثيرة، غير صالة وحجرة نوم.

- لطيفة الله يوسع عليك... فاقترب من ظهرها وحضنها بقوة؛ فشعرت بدفء جسمه.

- الله يخليك أحمد بلاش.

قال وقد اقترب من أذنها: وحشتني أحلام، أنا أحبك. قالت: وأنا أيضًا أحبك، فدار جسمه وجعل وجهه لوجهها واقترب ليقبلها فبعدت.

- لماذا تراوغيني؟..... قالت: أنت لست صبورًا.

- كل هذه الشهور ولست صبورًا؟!.. واقترب، فأفلتت منه وقالت اخرج.

نظر لها مستنكرًا وقال: نعم؟!.....

- سوف أرتدي لك البيبي دول وتراه وننزل كما وعدتني.

- أنا سوف أغمض عيني.

قالت بدلع: اخرج. قال:

سوف أخرج وأحضر لكِ المفاجأة.

وبالفعل ارتدت أحلام البيبي دول وطلبت منه الدخول. برقت عيناه عندما رآها، وأخذ يتفحص كل جزء بجسدها حتى انهارت قواه أمام أنوثتها الطاغية، فاقترب منها بشدة، فحاولت أن تفلت منه بنغش قال لها: أحلامي وأمنياتي وحبي الوحيد، لا أستطيع أن أبتعد عنكِ، انظري أحضرت لكِ سلسلة ذهبية تحمل حرفك.

رأتها وقالت "يسلمه"، فحاول أن يلبسها إياها، وأدار جسدها واحتضنها بصدره بقوة وقبلها، فانهارت أحلام واستسلمت لرجولته، وذابت أنوثتها من ضمة صدره وكلمات عشقه وإعجابه، وانصهر جسداهما في عرق الخطيئة ونار الزنا، فأطفأ كل منهما حرمان الشهوة والتطلع للفاكهة المحرمة. وبعد أن أفرغ شهوته وأطفأ نار جسدها المغلف بالحرمان ورومانسية الأداء وأطلعها على فنون قتالية لم تكن مارستها مع عاهد، شعرت بانسجام مع أحمد لم تشعر به من قبل، وبعد انتهاء لقائهما الحميم قامت وارتدت ملابسها مسرعة وأوصلها إلى منزلها على أمل اللقاء مرة أخرى.

فتعددت لقاءاتهما الحارة كلما سنحت الفرصة، وزادت الهدايا، حتى شك إخوتها بعلاقتها الغريبة معه، فاضطرت إلى أن تعرفه على ياسر أخيها، مستغلة أنه لم يحقق ذاته ولم يستقر بعمل منذ أن رجع من الكويت وفسخ خِطبته، فقامت بمصادقته بأحمد راضي، وبدأ حديثهما وجلساتهما، وأرادت أن تجعل علاقتها براضي أكثر شرعية لتستفيد من علاقته وأمواله لأخيها بإقامة مشروع بماله البسيط، فدخل معه بمشروع كبير، مزرعة دواجن، وبدأ يدخل بكل أمواله ومساعدات أبيه وأمه وأحلام، وكل مرة يدخل معه بشراكة كان يجعله يوقع على شيكات وإيصالات، ومع الوقت حدث تعثر للمشروع وخسر، ثم ازدادت الخسائر، فأراد أن ينفصل عنه ويفض الشراكة. كان راضي نصابًا كبيرًا، نصب على التجار وعليه شيكات دون رصيد، ويقيم مشروعات ولا يكملها، ويترك عميلًا وينتقل لعميل آخر، كان محترفًا في ذلك، وعليه العديد من القضايا، فكان يهرب بالسفر وتغيير نشاطه ومشاريعه.

فتوترت علاقة ياسر بأحمد عندما أوقعه بالشيكات التي بدون رصيد، فسُجن ياسر، وجاء سالم من الكويت وأخرجه بكفالة على أن يبحث عن أحمد راضي ليخرجه من تلك المشاكل، وبدأت العلاقة تتوتر بينه وبين أحلام من أجل عائلتها وأنها سبب وضع أخيها بمشاكل لا حصر لها. وتوالت

المصائب، وحزنت أحلام، وظلت بالأردن لم تنزل مصر فترة من الزمن، وحاول سالم أن يسافر ياسر إلى الكويت مرة أخرى، ولكن دون جدوى، ومُنع من السفر.

شعرت أحلام بالوحدة وعدم الأمان مرة أخرى، وانخرطت ما بين صديقاتها السوريات وحكاياتهن مع أزواجهن، وصديقتها ميرفت كانت دومًا معها وتخرجها من قصة لقصة. كانت أحلام بحياتها بالأردن، أتقنت اللهجة الشامية والسورية، فجمعت ما بين الكويتية والمصرية والشامية. أصبحت تصادق وتتعامل مع جميع البلدان، ولكن لم تنسَ اللهجة المصرية وكلام العشق الذي كانت تسمعه من أحمد، وتذكرت أيامه ولمساته وهداياه أيضًا، وتحسرت على ما مضى.

ومرت الأيام، فقررت أن تنزل مصر بعد أن هدأت العائلة قليلًا من جانبها واستكانت القضايا الخاصة بياسر، وعمل سائقًا بشركة خاصة، فنزلت بأولادها وقتًا قصيرًا. كان ياسر يصاحبها دومًا بخروجها، وعرفها على صديقة له تُدعى سهى، فاقتربت من سهى وتصادقتا لأنها رأت بعينها إعجابها بياسر، ولكن لم يعدها ياسر بشيء غير الصداقة، أخذت تساعدها أحلام وتعينها، فهي تشعر بحبها له وهي الضعيفة أمام مشاعر الرومانسية، وسافرت الأردن وهي تحمل أواصر الصداقة مع سهى وتحمل أسرارها.

حكت لها أحلام عن دنياها ومآسيها، تعاطفت معها سهى وكانت لها عونًا ودعمًا أوقاتًا كثيرة، وظل الاتصال بينهما عبر الإنترنت متصلًا دومًا، ومع الوقت وازدياد المسئوليات على عاهد ولم يعد العمل بمشروعه يغطي التكاليف، فاضطر إلى ترك المشروع لأحد أبنائه وعمل بشركة في الكويت لأن راتبه أكبر، فاتفق معها أن ترافقه لأنه لن يستطيع أن يسافر. وذهبت معه ولكن لم تعد إمكانيات عاهد تكفي مصاريف المدارس وإدارة المنزل، فالحياة بالكويت زادت غلاء، فلم يكن أمامهما غير خيارين، إما أن ترجع لتعيش بالأردن ويأتيها كل ما تسنح له الفرصة، أو ترجع مع أهلها وتعيش بمصر لكي يستطيع تغطية مصاريفهم، فاختارت أحلام أن تكون بمصر؛ حيث الحرية والحياة الرومانسية التي تبحث عنها بجانب أهلها، وأرادت بالحقيقة الهروب من تحكمات أخي عاهد لو سكنت بالأردن، وأن تبتعد عن ملمس عاهد أيضًا، فكان القرار هو النزول إلى مصر.

نزلت مصر هي وأولادها، وكان أمامها عوائق، منها تأثيث منزل مناسب، وعائق تقديم أوراق المدرسة وجنسياتهم،لكن كان لدى أخيها أمجد صديق ضابط بالجيش، اسمه إبراهيم وله معارف، مطلق يقيم بالقاهرة، ولكن عمله بالإسماعيلية أحاله لمعاش مبكر حتى يتفرغ لرعاية والديه لمرضهما وأسرته، فعمل مدير أمن بأحد النوادي، كانت له معارف وعلاقات، فاستطاع استخراج الجنسية لطفلتها الصغرى، واستطاع بعلاقاته إلحاقهم بإحدى المدارس الخاصة، تبقى عائق الشقة التي تليق بطموحات أحلام،

فكان كلما أحضر لها شقة تتردد، رأت مع أمجد وإبراهيم شققًا واسعة، ولكن لم يعجبها الحي، فكانت برقتها المعهودة وصوتها الساحر ترفض وتقول لإبراهيم: إيش مره نلقى أحلى.

نظر إبراهيم بانبهار، أعجب بها وبجمالها وبأسلوبها المهذب، فكانت مساعدته ليست من قبيل رجل لصديقه فقط، بل مجاملةً وتقربًا لها، لعل الله يحدث أمرًا، فهو منفصل ويريد التقرب والتودد بعائلة بأي شيء.

كانت أحلام تتنزه مع صديقتها سهى التي تعمل موظفة بإحدى الشركات الخاصة مما يعوقها عن الخروج، فكانت أحلام تذهب إليها بمحل عملها بالمكتب وتقص عليها مشكلة الشقة، بتلك اللحظة دخل زميلها هشام، يطلب منها سخان الشاي ليشرب كوبًا ساخنًا قبل خروجه لمأمورية السفر لبورسعيد، فنظرت له أحلام نظرة نارية لهجومه على حديثهما، فوجدته طويلًا، شعره ناعم، فنظرت إلى عينيه الخضراوين تحت نظاراته الطبية "الري بان" الأبيض المحددة، وبروز عينيه، وبشرته القمحية، وجسمه النحيف، فالتقط أنظارها واستوقفته ملابس أحلام السمراء ولفة طرحتها، فكانت ترتدي عباءة خليجية توحي أنها ليست مصرية، وتضع مساحيق هادئة، فقال لها:

لماذا لا تعرفينا بالقمر وتقومين بشيء نافع بحياتك؟

استنكرت سهى حديثه ومصمصت شفتيها ثم قالت:

معك يا سيدتي هشام.. "الأسطى هشام" وضحكت. قال لها:

الأسطى! انتظري، سوف ترين ما أفعل بك.

تقدم لأحلام وسلم عليها بيده، معك هشام المصري، السائق المختص بمأموريات الشركة، ولديه محل بيع واستبدال سيارات و.. و... قاطعته سهي: انتهينا يا أخينا .. ستخطب؟!

أجابته أحلام: يا أهلًا وسهلًا تشرفت.

ما هذه الرقة! ثم نظر إلى سهى: تعلمي من صديقتك بدلًا من أن تكوني دومًا فظة، فألقت عليه القلم وقالت حاضر يا أحمق، صحيح.. تقدر أن توفر لنا خدمة؟

- لكِ أنت لا، ولكن للجميل عيوني....

- وهذا العشم يا نذل... بالفعل للجميل، نريد شقة تكون واسعة بإيجار مناسب وبمنطقة جيدة لأحلام، فهي سوف تعيش معنا هنا بمصر.

- طبعًا لديَّ شقق وليس شقة واحدة، لدي صديق يريد أن يؤجر شقته ببرج السلام، شقة واسعة ومكان متميز بآخر دور، إيجارها بألف وخمسمائة جنيه تقريبًا، أعتقد أنها فرصة.

قالت أحلام: ممتاز!....

لدي استعداد أعرضها لك اليوم...قالت سهى ما رأيك؟

قالت: اليوم صعب: لديَّ مشوار. قال لا عليك، نراها غدًا. ونظر لها نظرة ثاقبة بعينيها، خطف بها قلبها، رجعت أحلام إلى منزل أمها وهي معجبة بشخصية هشام الأنيق المرح، ذو الشخصية الخفيفة وابن البلد، فوجدت إبراهيم بالمنزل ينتظر مع أخيها أمجد، وأختها حنان وأمها لكي يقوموا بالبحث عن الشقق لكي تختار منها فقال لها إبراهيم:

هناك شقة مكانها متميز بحي راقٍ وسوف تعجبك.

قالت: بنشوفها. أخذهم بسيارته هي وأخوها وأختها، كان دائم النظر لأحلام، تُيم بها منذ الوهلة الأولى، وعندما وصلت أحلام للحي أعجبها المكان والخضرة والشقة، ولكن تعدى إيجارها كل الإمكانيات.

فقال لها إبراهيم لا تحزني، سوف نحاول تخفيض المبلغ أو نرى غيرها، فأخذهم إلى كافيه لتناول شيء وليجد فرصة ليتجاذب الحديث معها والتقرب منها، وبالفعل اقترب منها وأخذ يحدثها عن حاله وعن حياته الخاصة، وأنه يريد الزواج والاستقرار، فقد تعب بحياته ويريد أن تكون له عائلة. تعاطفت معه أحلام وأعطته رقمها، ومنذ هذا اليوم تبادلا الأحاديث، فهو أمام العائلة الصديق الوفي والسند لهم بالأزمات، هو شخص مرموق، ولديه العديد من العلاقات، وكطبيعة العرايشية، لا يقف شيء أمام طموحهم واحتياجاتهم الشخصية، فكان دائم الزيارات للعائلة، ويُرحب به دومًا في أي وقت من اليوم، ويتناول أطعمتهم الخليجية والشامية والقهوة المغلية بالهيل، حتى أدمن جلستهم، وأراد أن يكون جزءًا منهم وينخرط بحياتهم، فاقترب أكثر وأكثر بأحلام وأخيها ياسر أيضًا، فكان يتنزه معها هي وصديقتها سهى وأختها حنان في النوادي.

ذات مرة كان جالسًا بجانبها، وكانت يداه تقترب من يديها، فشعرت حنان بأن شيئًا غريبًا بينهما، لم تعد تفهم تصرفات أختها وماذا تريد وهي امرأة متزوجة! لماذا لا تعطيها فرصة التقرب لإبراهيم؟

فهي تعرفه قبلها وأعجبت به كرجل ناضج، ومركز وحنون، وهي فقدت ذلك الشعور بعد زواجها الفاشل الذي لم يدم سنتان. واجهتها، فقالت لا شيء بينا غير الصداقة، هو رجل ذو ذوق، وكثير الهدايا، وكثيرًا ما يساندنا بأي

خدمة، لذلك يجب أن نكون لطفاء معه. قالت: ذلك فقط؟ فأجابتها بثقة: نعم فقط.

دخلت الريبة قلب حنان بأنها تكذب، وذات مرة كانت أحلام بالحمام وتركت آيفونها مفتوحًا على دردشة واتساب، فأخذته حنان، فوجدته إبراهيم يحدثها وهناك مغازلات وصور وأحاديث تنم عن علاقة غرامية بينهما، فشعرت بغصة داخلها، أن أختها لا تحمل لها مودة ولا تعطيها أسرارها. كم أنها أنانية، تريد لفت أنظار كل الرجال حتى على حسابها! فقررت أن تقلب الطاولة على رأسيهما.

وذات مرة، كان إبراهيم معزومًا على الغداء، وجاء محملًا بالحلويات، أخذوا يضيفونه بالقهوة والبرازق والطعام والمسخن الذي تجيد طهيه أحلام، فهي كانت تعشق المطبخ، وتجيد الأكلات الشهية، فتحدثت فاطمة معه عن أن أحلام يؤرقها أمر الشقة، فنحن نريد استقرارها بجانبنا، وأن تترك الشام لتظل نصب أعيننا بمصر، هناك بالكويت تأزمت أمورهم وزادت مصاريف أولادها.

فكانت الأم تريد أن ينجز وتعرفه بأمورها، فضربت حنان القنبلة لإبراهيم، فأضافت: إن إبراهيم شهم ريال، له مكانته يا أمي، بينجز أكيد أمر الشقة مثل ما أنجز أمر أولاد أحلام، إن شاء الله بيجد الشقة من شان لما يجي

عاهد زوجها بتعجبه وبتكون على قدر الأموال التي أرسلها، وإن شاء الله يا أحلام عاهد يعطيك أموال أكثر، لتستطيعي تأثيث الشقة وتكوني بجانبنا، أختي الحبيبة بنشتقلك كثير، نظرت لها أحلام بغيظ شديد ورمقت أمها ثم صمتت. هبط كلام حنان على إبراهيم مثل الصاعقة الكهربائية، ونظر إلى أحلام باستنكار يريد أن يسألها بعتاب: أهذا صحيح، أليست منفصلة؟! فقد ظن من حديثها ومن حديث العائلة عن ترك الأردن والكويت أنها انفصلت عن زوجها الكهل بنزولها واستقرارها بمصر، وبحديثها الحلو معه والتأملات والتطلعات صمت قليلًا، واستأذن أمجد بدخول الشرفة لزفر سيجارته، فرحب ودخل معه، قال له ادخل أمجد، بعرف إنك ما بتشرب وما بتحب الدخان، بشرب سيجارة وبدخل على طول.. قال له ولو أخي، اتركني، فسوف أجري مكالمة للعمل.

فاستجاب أمجد على الرحب والسعة وتركه، فاتصل بأحلام التي ذهبت إلى غرفتها، ولكن لم تستطع أن تجيبه، فأرسلت له على الواتساب:

"إبراهيم.. روق سوف أطلعك على الحقيقة".

فرد عليها بأنها غشاشة وخدعته وجرحته بقلبه، وقال لها: لماذا لم تقولي لي إنك ما زلتِ امرأة متزوجة وغير منفصلة؟ فأجابته أنها لم تضحك عليه، وأنه أخطأ بفهمها، وأنها لا تريد خسارته. أنت اندفعت بأحلامك وتخيلت أني

منفصلة، أنا بالفعل على خلاف مع زوجي وكنت سأنفصل عنه، ولكن لم تأتِ فرصة لأسرد لك، وما أردت أن أعكر صفو أحلامك. أخذ ينهال عليها بكلمات التجريح ردًّا لمشاعره ورجولته. فدخلت عليه حنان وقالت: إبراهيم.. القهوة والبرازق تنتظرك.

نعم سآتي.. وبالفعل، دخل وأكمل اليوم بقلب مجروح وأنفاس مكتومة، واستأذن وهو يحمل جرحًا لرجولته.

رحل إبراهيم وقد تحطمت آماله في أحلام والظنون تنهش قلبه، واستمر يحاسب ذاته، هل تسرع، هل فهم خطأ؟ فأعطى العذر لعقله بسبب لهفة عينه لها وكلامها المعسول فقد تعلق بها، وبدأ يتعامل معها بحدة بالرسائل والاتصالات. كانت حنان منتشية، تشعر بلذة الانتصار بتدمير علاقتهما، واقتربت منه واحتوته بكل الطرق حتى تستحوذ على حُبه، فهو بنسبة لها أمان لها ولأولادها، ورجل له نفوذه وعلاقاته، وأصبحت علاقة أحلام متوترة بأختها وأمها التي كانت مقربة جدًّا لحنان لأنها تريحها دومًا ولا تتركها وتقص لها كل شيء وتُطيعها وتحمل مسؤوليتها بعد ما تركوا الكويت وعاشوا بمصر، حتى أبوها، بعد أن كانت أحلام القريبة لقلبه بدأ ينفر منها ويقرب حنان منه، ويحول لها الأموال، وخصص مصروفًا خاصًّا لها ولأولادها بعد انفصالها. ووصلت أنباء أحلام لوالدها، فكان يغضب عليها ولا يحادثها وتصالحه، ولكن كسر ما بينهما الاحترام، شعرت أحلام بالتخبط وبالضيق

من تصرفات أهلها، فأخذت تحكي لسهى بالعمل، فدخل هشام ووجدها. قال: أهلًا يا أحلام.

- أهلًا يا هشام.

- تحدثتُ مع الرجل عن الشقة، وقال لي بأي وقت تستطيعون أن تروها.

- ياريت اليوم ياريت الآن.

قالتها باندفاع، كأنها أرادت أن تهرب من اختناق الإقامة مع أسرتها، وتريد أن تجلب أولادها وتستقر بالفعل.

رأت الشقة مع هشام وسهى وأخيها ياسر فأعجبتهم، واتفقت على إيجارها، وبدأ هشام معهم بشراء بعض أثاث المنزل، فصرفت الأموال كلها التي حولها لها عاهد ولم يتبق شيء، ولم تحضر حجرة نوم لأطفالها، فقالت سوف أدبر حالي كل شهر. ومرت الأيام بشقتها، فجلس معها أخوها ياسر، الذي كان سندًا لها وتتفق معه بكل شيء.

ما لبثت أن استقرت بشقتها وأحست بالوحدة، فأخوها يعمل طوال اليوم ويعود آخر الليل، والأولاد بالمدارس والدروس. أصبحت وحيدة هي ونارجيلتها والواتساب والفايبر مع صديقاتها الشاميات فقط، تنتظر سهى تمر عليها بعد عملها لكي ترى ياسر أثناء الغداء، فهو لا يتواجد بالمنزل غير ذلك الوقت،

فأصبحت صديقتها الوحيدة التي تخرج معها وتتبادل معها الأسرار والأحاديث في مصر، وبعدت عن أهلها بحكم تصرفاتها وانتقاداتهم وأوامر أبيها وتسلطه.

كانت ترسل أولادها لهم ولكن لا تذهب، وتكتفي بمهاتفتهم، فكلما جاءت فترة الصباح شعرت بالملل والضجر، فأخذت تتردد على سهى بالعمل، فقابلت هشام كثيرًا وشكرته على مساعداته لها، فقال لا تشكريني، فأنا بخدمتك بأي وقت، وأعطاها رقم هاتفه فرحبت وأعطته هاتفها.

مرت الأيام وهي تحادثه ويحادثها، انبهر هشام بطريقتها في الحديث وكلامها المعسول ونظراتها، وطريقتها بالدلع واهتمامها بهندامها وبتفاصيلها وصفاء وجهها وبمساحيقها الرقيقة التي تزيدها جمالًا على جمالها، وحتى عطرها الأنيق، الذي ينم عن شخصيتها الشفافة، أسرته بكل شيء، عندما رآها من قريب أعجب بكل شيء، فلم تمر عليه نوعية النساء هذه، فطلب من سهى أن يدعوهما معًا بأي مكان بحجة أن تشاهد أماكن لا تعرفها، فشعرت سهى بأنه يريد التقرب منها أكثر من صداقة. فقالت له:

هشام.. أنت متزوج، وأطفالك ما شاء الله، وامرأتك قمر، لماذا تريد أن تقترب من أحلام؟

- وما المانع؟ للرجل مثنى وثلاث و.... فقاطعته قائلة:

الرجال غادرون، دائمًا يدعون الهراء! أنت تعلم أنها متزوجة ولديها أربع أطفال، وهي أيضًا أكبر منك ببضع سنوات.

- الحب لا يعرف العمر، والعشق لا يعرف مثل هذه الصعوبات.

- منذ متى أصبحت يا اسطى فليسوفًا؟ أنت تمزح يا هشام، وصديقتي أحلام مقربة لي جدًّا ولا أستطيع أن أتدخل بهذا الهراء، فهي ليست بحالة تسمح بأن أزيد همومها بك.

- ولماذا تظنين أني أريد أن أعبث معها أو ألهو بمشاعرها؟ أنا علمت عنها الكثير، دائمًا حزينة برغم ابتساماتها، أشعر بحرمانها من الحب برغم أنوثتها الطاغية، صدقًا يا سهى، أنا معجب بها جدًّا وأريد التقرب منها لكي أساعدها وأُعينها على تلك الهموم التي سوف أعرفها وأقضي عليها، أرجوكِ يا سهى وصلي لها إحساسي بها، وأنت صديقتي المقربة، تعلمين أني رجل لا أخلف كلمتي.

صمتت سهى وبدأت ترحب بحديثه، وعقدت النية على أن تخبرها عن حديثهما، وكان شيء بداخلها يطمئنها بردة فعل إيجابية؛ لأن أحلام كانت

تنظر إليه بإعجاب شديد، وكانت كثيرة الحديث عنه بشكل متكرر وملفت للأنظار.

بالفعل ذهبت إليها بشقتها بعد انتهاء عملها لكي ترى ياسر وتختلس بعض الوقت للجلوس معه، كانت تنفرد أحيانًا به، تحاول أن تقربه منها، وكانت أحلام تتيح لهما الفرصة، ولكنها كانت تعلم أن مستقبل أخيها لا يؤهله للارتباط بها بسبب مشاكل منع سفره وقضاياه وعدم توافر الإمكانيات، كما لا توجد لديه وظيفة ثابتة، ولكنها في نفس الوقت لا تريد أن تكسر قلب صديقتها فتجعلها مثلها، تختلس مشاعر الآخرين وهي على وضعها. وأثناء الغداء، أشارت لأحلام أن لديها موضوعًا مهمًّا، فأخذ ياسر يمزح معهما بأنه يريد أن يعرف ما يصبوان إليه من الأمور النسائية الغريبة، ولكن دون جدوى، بعد انتهاء الغداء، ذهب ونزل الأولاد لدروسهم والمذاكرة مع أصدقائهم، عدا الابنة الوسطى شهد، فكانت أكثر تعلقًا بأمها، كانت بغرفتها تستمع لأحاديثهما من آن لآخر، حتى أخفضتا صوتيهما وهي تصارحها بشأن هشام، لمعت عيناها وكأنها كانت متوقعة، ولكنها لم تعتقد أن يتم الأمر بهذه السرعة وألا يخبرها هي ويخبر سهى؛ فأعجبت بجراءته وشجاعته، فصمتت وقالت أنتِ تعلمين أني متزوجة.

قُلت ذلك، ولكن دون أن يعلم تفاصيل حياتك، فقال لي إن الحب والعشق يجعله يقف أمام الصعوبات، أريد أن أقول لكِ شيئًا، أنا أعرف هشام منذ

زمن، وأعلم عنه المروءة والشهامة، والمرح والنزاهة. أعلم أن له علاقات نسائية عديدة، ولكن كلها في إطار الترفيه أو تخفيف وطأة وشدة المسؤوليات عن كاهله. مثله مثل غيره من الرجال له علاقات، ولكن بعمري ما سمعت ولا رأيت إحساسه وهو يتحدث عنكِ. شعرت بمشاعر داخلية حقيقية.

- ولكن حديثي معه بالعام، ما زال يحدثني بأشياء عادية، كيف أحبني وعشقني أيضًا، هذا لا يصدق، واضح أنه مو سهل!

- لا يا حبيبتي، الرجال عيونهم لا تكف عن النظر، ولو أرادوا شيئًا سعوا لكي يصلوا إليه. جائز أنه لم يقع في العشق والحب، ولكن إعجابه بكِ شديد، وأنا أشعر أنكِ أيضًا معجبة به، اجعليه بجانبك، أنتِ تحتاجين لمشاعره ومساندته، ثم من الجائز أن تنفصلي عن عاهد ويحصل شيء، من يعلم!

- ولكن يا سهى حياتي أغلقت عليَّ، ذلك قدري من عند ربي، وسأتحمل من أجل حياة أولادي وضغوط الحياة.

اتصل هشام بسهى يدعوها إلى مكان لطيف، في محاولة لإخراج أحلام، وبالفعل ارتدت أحلام أفضل ما لديها لكي تقيده بمفاتنها، فكانت نقطة ضعفها رغبتها بأسر أنظار الرجال، وأن تشعر أنها مهما زاد عمرها وتحملت أعباء تظل محتفظة بأنوثتها. سهروا معًا، وكانت سهى تتركهما وتتحدث

بجوالها مع ياسر وأمها وصاحبتها لكِي تفسح لهما المجال، أن يُصارحا بعضهما بما تصبو إليهما عواطفهما.

ومع الوقت توالت الخروجات والهدايا والخدمات، حتى تعودت عليه أحلام وأصبح جزءًا مهمًّا من روتينها اليومي، أخذت تسرد له يومها كله، لأنه كان مختلفًا عن أي رجل، كان يحب أن يعلم كل صغيرة وكبيرة، وكان يغار ويتحكم بالملابس وبالوقت والخروج بالمواعيد، وأشعرها أنها مسؤولة منه، كان يحل لها أي مشكلة ويعطيها الأموال إذا تعثرت بالمصاريف، شعرت مع هشام أن عمرها الذي مر لم تكن تعيشه، وشعرت بروحها تذهب إليه متى ذهب، وشعرت لأول مرة أنها تغار عليه من زوجته، وأصبحت تتمناه فارس أحلامها، وهي من لم تكن تعلم شيئًا عن أحلام الفارس إلا عندما أحبت هشام. بدأت ترى فيه كل شيء، غيرته وتحكمه ورجولته في الأزمات، وتلبية كل شيء تريده، فكانت عندما تتأخر عن ميعادها تجده ينتظرها بالسيارة يطمئن عليها ويعاتبها بقلق، أصبحت لا تخفي عليه شيئًا، وبدأت تطيعه بأي شيء، حتى بعدت عن أهلها بسببه، خشيت عليه من إظهار مشاعرها، فأخذت تحدثه دومًا أنها تريد العيش معه، فقال لها إنه ينتظرها أن تنفصل عن زوجها، وهو أيضًا ينفصل عن زوجته؛ لأنها ملكت روحه وعقله وكل شيء.

كان هشام في بادئ الأمر معجبًا بها، وترك نفسه ومشاعره على أساس أنه رجل يرفه عن نفسه ويتسلى، ولا يعلم أن السلاح الذي أراد أن يحرق به أي امرأة بأن يتسلي بها أذابه عشقًا، فأحب أحلام وأحب كل علاقته بها، وأصبح معتادًا على علاقته بها، فكان بمأمورياته يأخذها معه ويعرفها على أنها جماعته، تركا مشاعرهما ولم يعلما إلى أين سيأخذهما طريق المشاعر الذي سلكاه! لم يضعا حسابًا لأي فراق، تأقلما على وضعهما، أعطته حقوقًا في كل شيء في بيتها، وأصبحت لا تطيق عاهد نهائيًا، فافتعلت المشاكل معه عندما ذهبت تجدد إقامتها بالكويت وطلبت الانفصال، ولكن أباها أوقفها عند حدها بإهانتها، وسبها بكلمات لاذعة، ثم صفعها على وجهها، وبعد ذلك أرجعها لعاهد وقد اطلع من حنان وأمها أن قلبها معلق بشخص لا يعلمان عنه الكثير.

كانت بغرفتها تحادث صديقاتها على الواتساب، وتنتظر صديقتها ميرفت، فعاهد عطلها بأخذه السيارة، وتركت أباها على ناره بعد تلك المناقشة الحادة، كما أنها لا تستطيع أن ترجع أحلام زمان، تسمع كلام أبيها وتطيعه، وضعت حياتها وحبها لهشام بكفة، وأهلها وأولادها وحياتها الزوجية بكفة أخرى، وأخذت تعد الليالي التي تجلسها مع عاهد حتى تنتهي، وعم البرود واللامبالاة في علاقتهما، وما عادت تستطيع أن تقيم معه علاقة، كانت تحجج بأي شيء، حتى قلصتها لمرة واحدة مضطرة، ومر وقت إقامتها، وحان

موعد العودة، فلقد تركت أولادها مع أمها وأختها حنان التي تم خطبتها على إبراهيم، وأصبحت علاقتهما متوترة أكثر وأكثر، ولم يعد بينهما أحاديث أو أسرار غير العام، من أجل صلة الدم.

فأحلام رأت أنها تحدتها وأخذت رجلًا هي تعلم أنه كان يحبها ويتودد إليها، رغم ارتباطها الشديد بهشام، إلا أنها لا تسامحهم على معاملتهم لها واضطهادها، فصارت تفتعل المشكلات من الكويت بمكالماتها وتليفوناتها، وتدعي أن إبراهيم حاول معاكستها وتهديدها، وأنه رجل سيئ لا تختلطوا به، أرادت أن تخرب المجال على أختها كما فعلت أختها معها.

مرت الأيام وعادت أحلام إلى مصر، وكان هشام ينتظرها منذ ساعات بالمطار، وأوصلها إلى المنزل بعد أن قضت معه ساعات بالمطعم والكافيه، كان أكثر شخص أرادت ترتمي بحضنه لتخفف ما أصابها من أيام النكد التي قضتها بالكويت، وأوامر أبيها، والمحاذير التي وضعها عليها بألا يأخذوا منها هدايا أو أموالًا؛ لأنها ادعت أن الأموال التي بددتها على الشقة والأثاث أعطتهم منها، وشدد على ألا تخرج بمفردها، وألا يتحدثوا معها حتى تطيع وتستمع لنصح ولدها وتستقيم حياتها الزوجية، وتعلم أنها كبرت ولها أولاد، أراد أبوها أن يقسو عليها ليعلمها، ولكنها استمرت على عنادها المعروف عنها، فهي عندما ينازعها عقلها وقلبها، تسلم الراية للقلب دائما. عاشت منفردة مع أولادها وأخيها الذي يحتاجها ولا يستطيع تركها لأنها تمده

بالأموال، وبالإضافة إلى هروبه من قضاياه، وهو يريد مساعدتها دائمًا، فهي تتولى مسؤولية إقامته، لذلك لم تتغير معاملته لها، ولم يأخذ موقفًا حازمًا. كان يترفع عن بعض الأمور، حتى موضوع هشام، كان يعلم بصداقتها له، ويرى أنه من حقها أن تعيش حياتها بِحُرية ويكون لها أصدقاء، فهو منفتح بالأساس يرى الصداقة شيئًا عاديًّا.

مرت الأيام وهي تعيش الحب بكل لحظة وكل حين، وكونت صداقة مع إحدى جاراتها، شابة صغيرة، ولكن رأت أن تخرج معها وتقضي متطلباتها وتريها محلات لم تعرفها، فقربتها منها وأحبتها، تُدعى أماني، أعجبت بلهجة أحلام وأحبت أولادها جدًّا، وتعلقت بابنتها الصغرى، فكانت سبب معرفتها بها.

كانت أحلام متحفظة في العلاقات مع أمهات أصدقاء أولادها؛ لأنها لا تريد أن تتسع دائرة معارفها حتى لا يتصيد لها أحد الأخطاء، واقتربت من أماني التي كانت تشاهدها تتحدث على الإنترنت دائمًا وتراقب تصرفاتها الغريبة، فأرادت الاقتراب من أمورها الشخصية، وحكت لها أنها متزوجة من رجل كبير ولها أولاد، وحياتها الخاصة مليئة بالأسرار، تعاطفت أماني كثيرًا معها، ورأت تصرفاتها ما هي إلا تفريج عنها وتنفيس عن كبت مشاعرها، ولكن مع كثرة أصحابها وتصرفاتها الغريبة، بدأ الشك والريبة يدخلان قلبها، من أنها تعرف شخصًا آخر غير زوجها، وأن علاقتها ليست في إطار الصداقة فقط،

فحاولت كثيرًا توجيهها ونصحها بأن ذلك خطر على سمعتها وسمعة وأولادها وحياتها، ولكن دون جدوى، ودون أن تصرح لها بشيء؛ فتذمرت منها وحاولت الابتعاد عنها، ولكن أحلام من حين لآخر كانت تتودد إليها مرة أخرى، فترجع وتجذبها للحديث، كانت تتصنع المسكنة أمامها دائمًا، فكانت تعطي لها المبررات لتصرفاتها.

ودارت الأيام، وفجأة كانت هابطة بالمصعد، فوجدت أحلام وسهى مهندمتين بزي سهرة للتنزه. قالت لها، أين تذهبان الآن؟!

- فرح...

- بهذا الوقت المتأخر، وأين الأولاد؟!

- يدرسون..

- إن شاء الله تفرحان.

ذهبت لتقضي أشياءها من السوبر ماركت، فرأت أحلام تستقل سيارة مع نفس الشاب الذي رأته من قبل معها وابنتها وقالت إنه صديق سهى، فتيقنت أنها على علاقة بهذا الشاب وقررت بقراره نفسها أن تقطع علاقتها بها إذا لم تسمع منها وتبتعد عن أي شيء يشوب سمعتها ويؤثر على سمعة أولادها. مرت الليلة، وفى الصباح ذهبت إلى أماني فرحبت بها وأحضرت لها إفطارًا، وأثناء تجهيزها القهوة المغلية بالهيل المفضلة لأحلام، واجهتها بكل

شيء تعرفه وريبتها وشكوكها والدردشة التي رأتها بالصدفة على جوالها، وكل شيء تعرفه وأنها رأتها عدة مرات معه، فهي بذلك تزيد الظنون السيئة حولها، صمتت أحلام ولم تصرح بشيء غير أنه صديق كما قالت سابقًا.

فقالت لها: أنتِ تهدين كل شيء بيننا، وعلاقتي بك من الضروري أن تنتهي إذا استمررتِ بهذه العلاقة المشبوهة.

نظرت أحلام لها نظرة لامبالاة، نظرة تحمل معنى واحدًا، أنه على راحتك، فهي لا تساوي لها شيئًا أغلى من أهلها! قالت داخلها: لا أحد يساوي نفسه بهشام. أكملت جلستها ببرود ثم تركتها وهي مقررة قطع علاقتها بها.

توالت الأيام على أحلام، لا تبالي بأماني، واستمرت بتنزهها والسفر مع هشام الذي نصحها بألا تعادي أهلها من أجله، وتقترب من أهلها ولا تخسر أحدًا بسببه، فأطاعته وذهبت لبيت أمها وأختها، وبدأت تتودد إليهم وكأن شيئًا لم يحدث، وتظاهرت أنها عادت لصوابها ولا شيء يشغلها غير أولادها وحياتها، استمرت الأيام في مضيها، حتى اتصلت بأبيها وسامحها بعد أن وصل له تقرير عنها أنها لا تفعل أشياء غريبة، ومرت الأيام على أحلام تتظاهر بأنها ارتضت بأمرها وهي محتفظة بعلاقتها السرية بهشام.

وذات مرة وهو يشتري سيارة من القاهرة أصيب بحادثة أصابت قدمه، فشعر بالذنب عندما وجد مشاعر قوية واهتمامًا من جانب زوجته، أراحه حضن ابنته الصغيرة سارة وابنه الكبير محمود؛ فشعر بالخجل من حاله، وأحلام لا تكف عن الاتصال وإرسال الرسائل وهو يتجاهلها، فأرسلت مع صديقتها سهى تبلغه أنها تموت وتراه، وتمنع هو وتحجج بكسر قدمه، مرت عليها ليالٍ حزينة تناجي بُعدَه عنها دون سابقة عتاب، ودون أن تعرف ما سبب جفائه، وماذا تفعل، حتى استيقظت من نومها على رناته، أخبرها بلهفة:

"حبيبتي أفتقدتك جدًّا".

لم تستطع الرد من شدة المفاجأة وسالت دموعها وهي تقول له:

- لماذا جعلتني أموت شوقًا إليك، لماذا تركتني لوحشة الليل فسأمت التفكير، بماذا فعلت لبعدك عني؟!

فأجابها: لم أقصد، حدثت معي مشاكل وكان يجب أن أبتعد لبعض الوقت، أريد أن أركِ اليوم.

انتهت المكالمة وهي تطير من الفرحة، وأخذت تحضر نفسها بالساعات لمقابلته اليوم، ذهبت إليه وهي تذوب شوقًا له، في حين يعتصر هو حرقة وترددًا وقلقًا، فبماذا يبرر لها سبب غيابه عنها؟! ومرت ساعات لقائهما بغزل واشتياق دون عتاب، ثم مرت الأيام، حتى جاءتها الطامة الكبرى التي لم تمر بحسبانها إطلاقًا، المصيبة التي جعلتها تكف عن ممارسة الحياة، وأن تزهد عن كل متع الدنيا، كانت هي وأولادها وسهى وشقيقتها وزوجها! فقد تزوجت

حنان إبراهيم، وأخوها أمجد وخطيبته في نزهة بالإسكندرية، ولم يحضر معهم ياسر، تحجج بأن لديه عملًا ولا يريد الذهاب بهذا الوقت، وعندما ألحوا عليه، قال سألحقكم وكأنه يعلم قدره.

فقبل صباح سفرهم بيومين حدث له ضيق تنفس، وشعر بأنه متعب، فارتدى ملابسه وأخذ يسأل جاره بالبرج عن طبيب ومواعيد فتحه، فهو يشعر بضيق تنفس ولا يستطيع التحرك، فقال له:

- اذهب إلى المشفى، فهناك رعاية إسعافات أسرع.

- ولكن أنا لا أستطيع القيادة.

- سوف أوصلك..

وعند وصوله كان قد أرهق وساءت حالته، فوُضع على جهاز التنفس، وبعد نصف ساعة فارقت روحه جسده..... مات ياسر بسكتة قلبية حادة.
مات من كان الضحكة والبسمة والأمل للأسرة، ماتت النبتة الأولى لعائلة سالم، مات من كان سبب التفاف عائلة سالم لأول مرة أثناء قضاياه،
اختفى سر السعادة من أسرتهم.
انقصم ظهر أحلام بموت سندها، احترقت كمياؤها مع الرجال، فكان أخوها هو من يفهمها ويناغشها ويدللها ويقويها على متاعب الحياة بوجوده جانبها، شعرت بحرقة داخل قلبها عندما وصلها نبأ وفاته، كأن متاع الدنيا انتهى بلحظة، كانت لا تريد الحياة، لولا تذكرها أولادها، فتمسكت بلحظات الحياة الباقية لها، لم تكن تعلم أنها تحبه لهذه الدرجة، لم تكن تعلم أن لها قلبًا يعشق غيرها وينتمي لدمها ولحمها.

مرت ليالي العزاء ما بين دموع وصراخ، وأنابيب المحاليل؛ لأن معدتها لم تكن تقوى على حمل زاد، ولم تستطع أن تجيب على جوالها، خصوصًا هشام، لم تعد تتقبل فكرة أن يربطها شيء بالحياة بالأساس، تكوَّن لديها شعور بالذنب المميت بأن الله اختارها لكي يعذبها على الأرض وستُرجم بالآخرة. أنهت بموت أخيها اتصالها بهشام وبأي شخص غيره.

قررت العيش بمفردها ترعى أولادها وتحافظ على ما تبقى من أواصر محبتها لأهلها، وفكرت جذريًّا أن ترجع للأردن، فاتصلت بإخوة عاهد وأبنائه، فكل منهم تزوج ولديه أطفال، وأنس خطب، فرأت أن الحياة مع عائلة عاهد أفضل من مصر؛ كي يرتبط أبناؤها مع إخوتهم، وقررت الرجوع إلى الأردن لتعيش بمسكنها وتحيا لأولادها وبيتها وزوجها، وتطلب من الله أن يعفو عنها ويغفر لها ما أذنبت، طالبة أن يعطيها ما تقدر على تحمله ويسكن ألم الفراق، تقربت إلى الله بالدعاء وهي على يقين أن الله سيغفر لها وسيعفو عنها، فهو الغفور الرحيم.

انتهت

* * *

جلسة اعتراف

في نهار مُلبدة سماؤه بالغيوم، كانت تتأرجح فوقه سحابة ممتلئة بالخطايا والذنوب، حتى خفتت أشعه الشمس وانعدمت درجة حرارتها، وأصبح الجو شديد البرودة، ترتعد فيه العصافير والطيور من هَوْل الخطايا التي وصلت إلى عنان السماء، وكأنها أصابتها بصدمة كهربائية جعلت السحابة تهتز وتهطل منها دموع تغسل الشوارع والأرصفة. وفي ظل برودة الطقس وغياب المارة عن الطرقات وانتشار الوحل بالأرضيات، كان هناك شاب واقف متحير شارد الذهن، يرتجف من طِيْلة الانتظار، ينظر إلى الجدران والأسقف في بهو الكنيسة الكبيرة، ينظر إلى الصلبان والنقوش المزخرفة والأيقونات على جدرانها، ويشرد في أيقونة المسيح وهو رضيع تحمله أمه مريم، فيتأمل وهو يحدث ذاته مناجيًا العذراء:

يا أم النور، السلام عليكِ يا مريم يا ممتلئة النعمة، الرب معكِ، مباركةٌ أنتِ في النساء، ومباركة ثمرة بطنك، سيدنا يسوع المسيح، يا قديسة يا مريم، يا والدة الله، صلّي لأجلنا نحن الخطاة، الآن وفي ساعة موتنا، آمين.

وانتقل إلى صورة القديسين ونظر لهم محدثًا الأيقونات: أعطوني بركة طهركم وشفعاتكم، فأنا المذنب وأنتم القديسون...

وفجأة سمع صوتًا يأتي من خلفه ينادي اسمه: "يا مارك تفضل، أبونا أَذْن لمقابلتك الآن". فدخل مارك حجرة الكاهن أب اعترافه، وهو يقدم خطوة ويؤخر خطوات، بقلب يرتجف وأطراف ترتعد، وصدر مملوء بالأسرار والخطايا، يريد أن يكون من المخلصين، يريد أن يذهب إلى المخلص وهو نقي الأعمال، فيسوع يشفع لأبنائه ويفتح باب التوبة. اقترب مارك من حجرة الكاهن وطرق الباب فقال له: "ادخل يا بني" فدخل، فوجده جالسًا بكرسيه الذهبي المرصع بالصلبان والنقوش، يرتدي زِيَّه الأسود الأنيق، قابضًا بيده على الصليب الذهبي، فانحنى نحوه وقَبَّلَ الصليب ويديه.

- اجلس يا بني.. فجلس وهو ينظر إلى الأرض.

- ماذا بك يا ولدي؟ قُصَّ اعترافك لنزيل عنك خطاياك باسم مخلصنا يسوع المسيح.

- فاتكأ وركع على الأرض أمام البابا وهو يبكي بكاءً حارًّا:

خلصني يا أبونا، فأنا خاطئ مذنب، مطرود من جنة يسوع ومرافقة القديسين.

- اهدأ يا بني، لا تَقُل ذلك، أنت ابن يسوع وربنا يحبك.

"لا تستحي أن تعترف بخطاياك، ولا تغالب مجرى النهر". (سفر يشوع بن سيراخ 4: 31)

يا بني لكي أزيل عنك خطاياك لابد أن تعترف بها، كي أصفح عنك ويصفح

عنك ربنا، اهدأ وتمالك زمام روحك واعترف بها لكي يغفر لك، وتصبح ابنًا تائبًا بارًّا، البكاء يعني أنك نادم على الخطِّية وهذا من متطلبات الاعتراف.

- يا أبونا أنا خَجِل وخائف جدًّا من أن يغضب يسوع مني، فذنوبي كثرت وزادت، قد تصل إلى أعالي السماء، ولكن أريد من حضرتك أن يتسع صدرك وتسمع قصتي واعترافاتي وتصفح عني وتصلي من أجلي، عاهدني يا أبونا أنك سوف تصفح عني وتصلي من أجلي.

- سوف أصُلي من أجلك يا مارك، فأنتَ ابننا البار، الخير الذي لا ينقطع عن الخدمة ومساعدة الحزانى والمرضى والمساكين -وإخوانه بالكنيسة يحبُّونه لكلامه الطيب وأخلاقه الكريمة- فأنت ابننا المخلص للرَّب، لماذا تُطرد من جنة يسوع وأنت تتحلى بكل هذه الصفات؟ اعترف يا بني، فالاعتراف به راحة لك، ماذا تحمل من خطاياك فأسمعك وأباركك باسم يسوع المسيح الأب والابن والروح القدس؟.. آمين.

توقف مارك عن النحيب والبكاء بعد كلمات الأب المطمئنة، وأخذ يتحدث، ولكن وهو ينظر خجلًا للأرض، حضرتك تحدثت عن أخلاقي، وهكذا كنت ومستمر قبل أن أعرفها يا أبونا.

- من هي يا ولدي؟....حواء الجديدة.

- ماذا تقصد؟

- حواء التي أغوت آدم أن يأكل من التفاحة بعد أن أغواها الشيطان وطرد من جنة عدن التي كان مُنعمًا بها، وبسبب هذه الخطية جاءنا "المسيا" مخلصنا يسوع المسيح. وضِّح يا بني، كلامك مبهم لي!!

- أنا وقعت بالحب والعشق، ولا أعلم كيف حدث هذا! وانهار في بكاءٍ عظيم.

- يا بني اهدأ واعترف، جميل أنك نادمٌ، فالبكاء يغسل الخطايا، ولكن تمالك روحك وتحدث، كلنا بسنك وقعنا بالحب والعشق، فما خطيئتك؟

- يا أبونا أنا أحببت فتاة، تُيمت بها ووصلت مشاعري لها حد العشق، وصل حبي لها إلى أبعد الحدود، حتى لم أعد أُميز أفعالي، لم أمتلك ذاتي أمامها، سلبت عقلي وفكري، وسجنَّت مشاعري بأسوارها، واغتصبت إرادتي منعتني التفكير بأي شيء سواها، أحببتها حب الراهب لصومعته متغزلًا بترانيم المسيح، كنت أراها بكل صلاة أُؤدّيها ليسوع، أصحو من أحلامي نادمًا على الاستيقاظ قبل سماع ما يحلو لي من عذب كلماتِها ورقة صوتها، فالحلم يمنحنا الحياة والأمل، كنت أرسم بخيالي قصصًا معها إلى ما لا نهاية، فالخيال كل شيء مباح فيه، فلا يوجد حرام أو رفض، كنت أسرح بخيالي بعيدًا. صمت مارك قليلًا..

- أسمعك يا بني.

- أنا أخجل منك يا أبونا، ولكن أريد أن أعترف لك بكل شيء، فبيدك خلاصي. أحببتها حبًّا مثاليًّا، لم أكن أعتد بعيوبها ولا أراها، كنت دومًا

أتغاضى عن أخطائها، تعلقت بها أشد التعلق، فتركت مشاعري لها حتى تحول الإعجاب حبًّا والحب عشقًا.

فقاطعه.. كلنا بسنك وقعنا بالحب، فما مشكلتك؟
- المشكلة أني أحببت فتاة مسلمة يا أبونا.

وانهمر في البكاء وهو يتحدث: لم يكن بإرادتي، لم أكن أتخيل أني أفعل ذلك أو أقع بالحب من الأساس، أشعر بالخجل يا أبونا!
- اهدأ يا بني ولا تخجل، فيقول القديس يوحنا كاسيان: (لا يستطيع الشيطان أن يهلك أحدًا إلا بعد أن يخدعه، سواء بالكبرياء أو بالخجل ألا يعترف بأفكاره، فكل فكر نخجل من إظهاره لأبينا يكون من الشيطان).

استطرد مارك حديثه عندما نظر لوجه البابا، فوجده بشوشًا كما هو، لم يتغير لونه أو يكسُ العبوس وجهه، وكأن ما ذكره شيء عادي أو معتاد سماعه!
أنا يا أبونا لم يكن لديَّ تجارب مع النساء، كل الفتيات اللاتي مررن بحياتي كُنَّ بإطار الزميلات، لم أقم علاقة مع فتاة، منذ كنت صغيرًا وحياتي صعبة، أنت تعلم أخلاقي.
- من أين عرفتها يا مارك، ومنذ متى بدأت علاقتك بتلك الفتاة؟
- عرفتها يا أبونا منذ سنتين من عملي الحكومي الجديد الذي نُقلت إليه.

فأنا تركت وظيفة المندوب بالشركة الخاصة التي كنت أعمل بها، كما ذكرت لك من قبل في آخر قداس.

- تذكرت يا بني، وما طبيعة علاقتك بها؟

- لم تكن علاقة بكل الذي وصل إليك يا أبونا.

- تقصد أنها علاقة من طرف واحد، طرفك يا مارك؟

- ليس بالضبط، تسمح لي يا أبونا، أنا أريد أن يتسع صدرك لي وأن أقتنص من وقتك الثمين بضع دقائق، حضرتك أقرب الناس لقلبي، أحبك حبًّا جمًّا، وفي مقام والدي قَدس الله روحه وأعطاك الصحة والعافية.

- لك مني كل الحب يا بني، أنت ابني ونحن كلنا أبناء الله.

- سوف أقص عليك حكايتي دون نقص أو زيادة كما هي، وأريد منك أن تصفح عني.

- تحدث، أسمعك يا بني، ولكن لابد أن تعترف بجميع خطاياك واضحة أمام الروح القدس.

- منذ طفولتي وأنا أعيش حياة بسيطة زاهدة، بعد وفاة أبي تحملت المسؤولية وأنا بالعاشرة من عمري، فكنت أكبر إخوتي، صمويل ومارتينا، لا سبيل لنا بالحياة غير معاش أبي، وكانت أمي ربة منزل عاشت على تربيتنا والاهتمام بنا، ضحت من أجلنا بالكثير من كرامتها وصحتها وشبابها، فكانت أمي الزوجة الثانية لأبي بعد وفاة زوجته الأولى. كان لي إخوة يكبروني بأعوامٍ كثيرة، ولهم أبناء وأحفاد، لذلك كان يصعب التواصل مع إخوتي حق

التواصل، فكنا صغارًا جدًّا بالنسبة لأولادهم لأنهم أكبر منا، اعتمدت أمي علي معاش أبي وبعض الأعمال اليدوية، كنت أعمل بعمر العاشرة في أي شيء وبأي شيء، فعملت مع نجار تارة، وأحمل عبوات بمخازن لبيع الصابون تارة، وغيرها بكثير من أعمال لا تليق بطفل صغير مثلي، ولكني كنت أريد أن أعاون والدتي ولا أحرم إخوتي من أي شيء يتمنونه..

أتذكر أن أخي أخذ يبكي نهارًا بأكمله لأنه يريد لعبة الحصان، وكانت أختي تلعب مع جارتنا بعروستها، فكنت آتي لهما بألعابهما من عملي وأحيانًا من مصروفي، معاش والدي لم يكن بالقليل، لكن اعتدت منذ نعومة أظفاري على المسؤولية وتلبية احتياجات أسرتي، لذلك أرى أمي المرأة المثالية، هي السيدة الوحيدة بداخلي، فهي سهرت وسهدت الليالي من أجل تربيتنا ولم تتزوج بعد أبي، كنا أطفالًا وكانت هي في ريعان شبابها عندما صعد أبي للمسيح، تحملت العيش مع إخوتي من أبي ومشكلات كبرى من أجل تربيتنا، فعملت بالخياطة بالمنزل، وعاشت بمفردها دون عائل أو سند من أحد.

كانت مواظبة على صلاتها بالكنيسة وحضور القداسات، ومقربة ليسوع وتحب العذراء، كانت توفي بوعودها ونذورها لماري جرجس كلما كبرنا ونجحنا وشفينا من الأمراض التي تصيبنا دائمًا، شاكرة راضية بما أعطاها الرب من عطايا ومنحها أبناء أصحاء، فربتنا على محبة المسيح ومحبة كل الناس، فكانت تردد لنا دومًا الموعظة على الجبل...

لذلك شربت منها محبة الناس ومعاملتهم معاملةً حسنةً مهما أساءوا لي "فالمحبة لا تسقط أبدًا" كنت أرى كل مشكلة بسيطة ولها حل، مهما كانت درجة صعوبتها؛ لأني كنت ابنًا بارًّا للرب، وأؤمن أنه يقف بجانبي دومًا ولن يتركني.

التحقت بالجامعة، وكنت أعمل وأنا أدرس بالشركة الخاصة مندوبًا، وكان عملي شاقًّا جدًّا يأخذ وقتي، ولكني كنت أتحمل مشقته لتحسين ورفاهية الحال، حتى عندما تحسن وزاد معاش أبي، فكنت أيضًا أعطي أمي راتبي، وأترك لنفسي القليل من أجل إخوتي وجهاز أختي، كنت أرتدي ملابس متواضعة ولا أعتني بحالي ولا أعتد بالمظاهر الخارجية، وليس لديَّ أصدقاء بالجامعة بحكم عدم تواجدي، فكنت دائم السفر والتنقل مع الشركة، فكانوا يعطوني بدلات، فأشتري لأمي هدايا، وأشتري ثوبًا من القماش وحقائب وعطورًا، كنت ابنها البار المقرب، وهي أقرب النساء لقلبي، فكان زملائي بالعمل يطلقون عليَّ "ابن أُمه" كنت لا أتذمر ولا أشعر بحرج من هذا اللقب، وأفرح كثيرًا وأقول لهم إني بالفعل ابن أُمي، وإذا أعطاني الرب حق إعطائها من عمري فلن أتأخر.

وسألني أحد أصدقائي يومًا إذا كان آخر مال بحوزتي وأحب أن أشتري به شيئًا يلزمني واحتاجته أمي، فماذا أفعل؟ قلت له على الفور سأعطيها مالي، ولو كان آخر قرش بجيبي، بل وأستدين لها أيضًا، فإلا أمي.

جرت سنوات الجامعة، بين العمل وحضور القليل من المحاضرات، لم

أعش حياة الترف الطلابية والمراهقة الشبابية والمكوث بكافيهات الجامعة ليلتف حولي الفتيات المتأنقات اللاتي يرتدين الجينز، والكت والميني والبوت، والمساحيق الصارخة.

كنت أرى هذه الأشياء وأمر عليها مرور الكرام، لم ألتفت لواحدة منهن. كان لديَّ قلة من زملاء الدراسة، وكان ابن أختي بالجامعة بصف أكبر مني وتخصص آخر، وكانت معي بدفعتي زميلة تقرب لوالدتي تُدعى "ليديا" كنت أعاملها كأخت لي، ولكنها كانت تتقرب مني وتتودد إليَّ أكثر وأكثر، وتسأل عني بغيابي وتعطيني المحاضرات الفائتة.

كانت فتاة جميلة، ذات خصر فرنسي، شعرها ناعم، تقصرني بسنتيمترات قليلة، كانت مهتمة بأناقتها وملبسها، صوتها هادئ ورقيق، تحمل ثقافة، مرحة كثيرة الضحك، ومع ذلك كنت لا أجيد التعامل معها حق قدرها فأعاملها كزميلة أو كقريبة والدتي، لا أعطيها مساحة، تتحدث بأشياء أخرى غير العموم كي أقطع عهودًا أو أبني بمُخيلتها آمالًا وأحلامًا. كنت لا أفكر أبدًا بالارتباط، لكن أخي أراد أن يتزوج من الفتاة التي يحبها، فتكاتفت مع أمي وساعدناه حتى تم زفافه على فتاته.

ومع الوقت جاء ميعاد زفاف أختي، ولم يكن ما يلزمها جاهزًا وينقصها الكثير، فاضطرت أمي إلى الاقتراض من البنك بضمان المعاش، وبذلت كل ما في وسعي حتى تم تجهيزها على الوجه الأكمل، وسافرت مع زوجها بمحل إقامته بالإسكندرية.

عشت مع أمي بتلك الإمكانيات، وكنا مرتاحين البال. كان لي أصدقاء، أذهب دومًا معهم إلى الكنيسة ونؤدي الخدمة سويًّا، كانت علاقتي معهم مستمرة، أقابلهم في أعمالهم الخاصة ويدعوني بمنازلهم، كنت أعاونهم أحيانًا بأعمالهم وأستغل وقت الفراغ للكنيسة وخدمة الرب، فقد توفر لديَّ وقت فراغ كبير بعد تركي لوظيفة المندوب في تلك الشركة اللعينة التي كانت تلتهم صحتي ووقتي وشبابي، فعملت في عملي الحكومي كإداري بمصلحة حكومية، كما ذكرت لحضرتك.

منذ أول يوم كنت صامتًا أغلب الوقت، كعادتي مع الغرباء، لا أتحدث كثيرًا، على قدر الشيء، وأؤدي عملي على أكمل وجه، وكحال الموظفين، كان لي مواعيد ثابتة، فأعود إلى منزلي في الثانية ظهرًا أو الثالثة على الأكثر، فتوفر لي مزيد من الوقت للراحة. لم أكُن أغفو عصرًا، أصبحت أغفو وأذهب إلى أصدقائي بنادي الكنيسة وأذهب لصديقي أعاونه بمكتبته لبيع الكتب والمستحضرات، وبعد انتهاء عملنا أحضر جهاز "البلاي استيشن" للعب بالساعات، وأحيانًا كنت أدعوهم بمنزلي، كنت أفتخر أني ضليع بتلك الألعاب، فكنت دائمًا أفوز عليهم باللعب، فتعلمت اللعب من عملي مندوبًا بالشركة. هكذا كانت حياتي يا أبونا، لم أرتكب خطايا تجعلني أكره حياتي ووجودي أو تجعلني بهذه الحالة.

أخذ يبكي بكاءً شديدًا، وكان البابا يربت عليه ويهدئ من روعه، فقد شعر

مارك أنه اقترب من اعترافه بأكبر خطاياه؛ فثقلت الكلمات على لسانه.

- أرجوك يا أبونا تحملني، فأنا آتي إليك أحمل خطايا كثيرة، لا أستطيع حملها وحدي أكثر من ذلك.

- أكمل يا بني، كيف دخلت الفتاة المسلمة حياتك، وما هي خطيئتك كي أغفر لك ويغفر لك أبونا الذي في السموات؟!..

- كما ذكرت لحضرتك، كنت صامتًا حتى لا يغضب مني أحد، أحبوني زملائي بالعمل، ولكن كانوا يروني غامضًا بسبب قلة حديثي. كنت أستمع أكثر، ولكن مع مرور الوقت، كانت تحدث مشكلات بالعمل، كنت أعاونهم بكل حب وتفانٍ؛ فاندمجوا معي، ولكني كنت متحفظًا في اشتراكي معهم بحفلات الإفطار الجماعية، ومائدة الموظفين التي تحتوي على كل ما يرهق القولون والمعدة.

كان من بين الزملاء والتي تشترك معهم، تلك الفتاة التي أُحدثك عنها، تدعي "رانيا" كانت جديدة معي بالعمل، ولكن تم تعيينها قبلي بشهر؛ لذلك اندمجت معهم سريعًا، فهي لديها حس الدعابة والمرح، فلفتت نظري من أول لقاء بيننا، لم تكن يا أبونا على قدر كافٍ من الجمال أكثر ما كانت جذابة، تحمل جاذبية بعينها فيأخذك بريقهما إلى أبعد نقطة في عمق روحها، وتجعل ما بداخلها شفافًا، فهي سمراء تشبه طمي النيل، وتستطيع أن تجذبك كالمغناطيس إذا حاورتك، وتلهب عواطفك إذا ابتسمت، وإذا تدللت سلبت منك عقلك وتفكيرك، تحمل خصرًا متوسطًا يحمل كل معاني

الأُنوثة، ترتدي حجابًا عصريًّا، تستطيع أن ترتدي ملابس أنيقة على أعلى صيحات الموضة، خدومة، خفيفة الظل، تتحدث بتلقائية وبشكل عفوي، تحب كل زملائها ويحبها رؤساؤها، برغم أنها كانت عصبية سريعة الانفعال أحيانًا بسبب تمسكها بالمبادئ، فهي دائمًا تقول بسبب أنها ليست مرنة، ولكنها تحمل قلبًا أبيض، فكنت أوصلها بعد العمل إلى أقرب مكان لمنزلها.

مع الوقت وجدتها تقترب مني وتحتويني بخفة ظِلها وإلحاحها بالحديث معي، فأخرجتني من صمتي وصُمودي أمام النساء اللاتي تحمل شخصيات قوية مثلها، فشخصيتها صلبة، تشعرك أنها جبل متماسك، لديها مبادئ وقوانين لا تتخلى عنها، أجبرتني أن أنجذب إليها بالحديث وأقُص لها عني وعن حياتي الخاصة. أخذت أسرد لها عن بيتي وطفولتي وأسراري، ومن وقتها،أصبحت ترشدني وتخشي عليَّ، وتنصحني بما يجب أن أفعل وما يجب أن لا أفعل، وأن أنظر إلى مستقبلي جيدًا، ولكن بطريقة مازحة تحمل جرعة كبيرة من الصراحة.

استطاعت أن تجذبني إليها بوقت قصير، صِرت أحب الحديث معها وأنتظره، وأصبحت لها شخصًا محببًا ترتاح بالحديث معه، فكنت أيضًا أنصت إليها وأتفهم حديث عيونها التي لم تتفوه به، برغم كثرة حديثها يا أبونا، لكنها كانت لا تتفوه بما داخلها وما تعانيه، ولكن كانت تفضحها عيناها، وكنت أجتهد في معرفة ما بداخلها.

اعتدت الحديث معها، وتُيمت بقصصها ورواياتها المُسلية، كانت تتصل بي

تسرد لي يومها ومشاكلها، وتضحك وتلهو وتمزح بآن واحد، فلا أحد يعلم متى تحزن ومتى تفرح، فلا تستمر على وتيرة واحدة، تستطيع أن تبتسم وتعبس بآن واحد!

ثم كرست حياتي لها بعد أمي وأسرتي وأداء خدمتي بالكنيسة وعملي، فكان الحديث معها ملاذي. شعرت بعد فترة وجيزة أنها اقتربت لقلبي وعقلي، برغم عصبيتها عليَّ أحيانًا، ولكني كنت أعشق حديثها وطريقة تدللها معي، ومزاحها بالسخرية مني أحيانًا. أصبحت تثق بي وتؤمنني على أسرارها الخاصة، وتقُص عليَّ وتسرد بشكل مختلف عن باقي الزملاء.

مع الوقت تركت لها ذاتي؛ فغيرت بي الكثير، أصبحت أهتم بمظهري وأناقتي، علمتني كيفية الحديث مع النساء، وكيف أعاملهن برقة ومجاملة، أو بما يسمينه يا أبونا فن الإتيكيت، وما تحبه النساء بالرجل، من طيبة وحنان ومسؤولية...الخ

علمتني ما تحمله الأنثى من جمال داخلي لا نراه إلا إذا رغبنا أن نراه، أعترف يا أبونا أني كنت أجهل كل شيء عن داخليات الأنثى، فحياتي كانت مستقيمة، لم يكن لي علاقة بأنثى غير أمي وأختي وبعض الزميلات، على الرغم من أنها لم تكن صارخة الجمال، ولكن كانت ترتدي ملابسها بأناقة، وتضع مساحيق تضفي عليها جمالًا وجاذبية، ولا أنكر قوة شخصيتها وخفة ظِلَّها، جعلتني أذوب سكرًا بالتفكير بها، لديها شخصية تأسر الجميع، لا تستطيع أن تعرفها ولا تحبها، نعم يا أبونا، وجدتني أحبها، بل عشقتها، وأعلم

أنها مسلمة ولا تؤمن بربنا يسوع، أعلم أني وقعت بالخطيئة بعشقي لها، ولكني ضعفت واستسلمت.

- هل أفصحت لها عن مشاعرك هذه يا بني؟

- مع الأسف والندم... نعم! صرحت لها، فكنت أتواصل معها على الواتساب، وكانت مناقشتنا جميلة، يضفي عليها الدلال والمزاح والجد، ودون أن أفكر، كتبت لها: يا رانيا. قالت نعم. قلت: أنا أحبك... هل تحبيني؟

انتظرت ردها، وأشعر أن قلبي على صفيح ساخن ومشاعري تلتهب على الفحم، أصبحت كالشاة المشوية المعلقة على العمود، وما أصعب مرور ثواني الانتظار! ولكن وجدتها ترسل لي إموشن ولم تكتب شيئًا بعدها.

أصررت على الإجابة، فقالت لي يا أبونا ما لم أنتظره أبدًا!

- ماذا قالت؟!

قالت إنها تحبني وتعزني مثل أخيها وصديقها المقرب، ولا تفكر بشيء آخر لأنها تعرف أنه لا يصح أكثر من ذلك، وأنا أعرف لماذا. جرى الدم بعروقي وأصبحت كالماء المغلي بالقدح، استنكرت فعلتي وتساءلت: كيف أفعل ذلك، وكيف جرؤت على التصريح لها بمشاعري؟! لا أخفي على قُدسك، كنت أنتظر كلمة الحب منها، التي سهدت الليالي أفكر بها، ولكن صدمتني برأيها وحكمة عقلها الذي نافى تصرفاتها معي، فاتصلت بها ولم تجبني، فعاودت الاتصال بها وأصبحت لا أَمَلُّ، وأصررت على أن تجيبني حتى أُبين لها أني

تسرعت وأنها أختي وصديقتي المقربة، وأعتذر عما بدر مني. بعد فترة من الإلحاح أجابتني مسرعة بأنها لم تستطع الرد لأنها منشغلة، وأنها لم تغضب مني كما تصورت، فقالت لي: ما عليك يا مارك. فصرت أؤكد لها أنها أختي وصديقتي ويجب أن تنسى ذلك الحديث إلى الأبد.

مرت الأيام بيننا، كنت مذبذب الحس، لا أعرف كيف أتعامل معها! فأخذت إجازة لأستريح وأفكر بهدوء، وطلبت من حضرتك إذنًا وتصريحًا للذهاب إلى دير الأنبا أبرام بالفيوم، كنت أحتاج إعادة نفسي وصفاء روحي، وأحتاج أن تتجلى لي الروح القدس لكي ترشدني، وأحتاج أن أكفر عن خطاياي بالخدمة وصفاء الصحراء والبعد عن البشر. أعلم أن توبتي ناقصة لأني لم أعترف بها، ولكني كنت أجلس بالصحراء شريدًا، أبكي ليلًا ونهارًا لكي يتقبلني الرب ويريح قلبي، وبعد مرور الأسبوع عدت إلى عملي ورأيتها، فانهدمَت كل أسوار الكبرياء وكل التدريبات التي مارستها لنسيان هذا الحب وهذه الفتاة التي علق قلبي بها، ولكني تمسكت بالعهد الذي قطعته على نفسي ولها وللرب، وجدير بالذكر أنها لم تغير معاملتها معي، وكانت تنظر لي نظرات تدل على اشتياق وفقد، فنظراتها كانت تنطق أنها تريدني، ولكن كانت دائمًا تقول لي إنها تكره سلبيتي دائمًا يا أبونا، كانت تقول لي: يا مارك أنت طيب وحنون، وأي امرأة تتمناك لأنك تعاون الناس وتقي، وبار بوالدتك وأسرتك، ولكن تحمل كثيرًا من السلبية التي تضيع الحقوق، وهذا أكرهه في أي رجل.

- لماذا اتهمتك بالسلبية يا بني؟

- لأني كنت أعاون أسرتي، وكان يستغلني أخي وزوج أختي بالأموال، حين أردت افتتاح مشروع جعلت إدارته في يد أخي، وأتى زوج أختي واستقر هنا معنا، فتبادل مع أخي الإدارة، أردت يا أبونا أن أحل المشاكل المادية مع أخي وأختي وأقلل من كثرة الخلافات بينهما بمساعداتي، ولكنها رأتني سلبيًّا.

مع الوقت وجدتني آخذ جانبًا، أقللت من الحديث معها، ولكني لم أقلل من اشتياقي وإعجابي بها، فافتعلت معي مشكلة وابتعدت عني، فجرت الأيام وأصبحت أعيشها وحدي ولا يستطيع أحد أن يحل مكانها.

كانت ليديا تحدثني يوميًّا على الواتساب، تسأل عني وعن أحوالي، ترسل لي ترنيمات وتحدثني في شيء لكي أقترب منها، فكنت أجاريها، ولكن قلبي وفكري مع رانيا، كنت أعوض قلة الحديث مع فتاتي بالتقليب في صورها على صفحتها على الفيس بوك قبل أن تعطيني البلوك، فكنت أتخيلها تحدثني ليلًا وتتعصب عليَّ كعاداتها معي، مر الوقت على تصنع اللامبالاة وأنا أحترق اشتياقًا لها خفية، وذات مرة كنا بالعمل وانتهى ميعاد العمل، وخرج جميع الزملاء دوني وهي وزميلنا حسن، كانت لدينا أعمال لابد أن ننجزها، كان مكتبي أمامها، فنظرت إليَّ وكنت أتلافى النظر إليها، فَاجأنا حسن بسؤاله إذا كنا نريد أن نشرب مشروبًا غازيًّا يلطف حر المكان وينعش ذاكرتنا ونستأنف عملنا بنشاط، فأجبنا بنعم، وبعد خروجه وجدتها قد اقتربت إلى مكتبي وقالت لي: كيف حالك يا مارك، وكيف حال والدتك، وماذا فعلت مع البنك

بشأن قرضك؟ طمأني عليك.

- ما شأن هذا القرض يا بني؟

-كنت يا أبونا اقترضت من البنك لأنفذ مشروعي الذي احتل إدارته أخي وزوج أختي، كنت أسعى في بناء مستقبلي وأوسع دخلي، فأردت أن أنفذ مشروعي، ولكن انشغلت بالعمل ومأمورياته فلم أدِرْ مشروعي وأتفرغ له.

- لماذا لم تُدِرْ مشروعك إذا كان حلمك وأنت من أسسته؟

-لا أعلم يا أبونا! وجدتني أعطيهما كل شيء يديرانه، لذلك غضبت مني واتهمتني بالسلبية الشديدة، وأعطتني محاضرة عريضة بأني لا أستطيع أن أواجه شيئًا بالمستقبل إذا كنت سأتنازل عن حقوقي وأُفرِط في طيبتي الزائدة عن الحد؛ لذا سيلتهمني الناس. وأنا صدقني يا أبونا، كنت أريد مساعدتهما محبة "فالله محبة" كيف لا أساعدهما وأنا أستطيع! فكله من عطايا الرب للرب، ولكنهما كانا لا يتحملان معي أي خسائر، فكنت أحيانًا أقترض وأسدد، فخشيت عليَّ من كل ذلك وحذرتني من تثاقل المسؤوليات فوق كاهلي، ولكن نفذت ما أريد ولم أعتد برأيها، لكن كانت تكبر بنظري وأتعلق بها أشد التعلق.

أجبتها بأني بخير، وسألتها عن حالها دون النظر إليها.

فأجابتني كعادتها بمزاح، بأنها أفضل مني، ثم ابتسمت وأجبتها خيرًا أنك أفضل مني دومًا. قالت لي لماذا لم تحادثني كل هذه الفترة؟ فقد قلت لي إنك نسيت كل شيء، لماذا لا نظل أصدقاء؟ أجبتها نعم، نسيت الأمر برمته، وأنتِ

بالفعل صديقتي وأختي، ولكن أنتِ من قطعتِ علاقتك بي وأعطيتني بلوك وأنهيتِ ما بينا.

نعم، حدث بعد أن وجدتك تبتعد عني وتحدثني بالقطارة.

ووجدتها يا أبونا تقترب مني وتلمس كتفي، وكانت أول مرة تلمسني وتضع يدها عليَّ، شعرت بقشعريرة وذوبان مشاعري، لأول مرة أشعر بهذا، ثم استطردت: يا مارك، أنا نأيت بنفسي عنك لأني أعزك وأخاف عليك، وأخشى على مصلحتك أكثر منك، أردت أن تنسى حبي وتلتفت لحياتك، فأنا لا أريد هدم حياتك من أجلي، فأنت مارك الجميل، الطيب الخلوق، الابن البار بأُمه وعائلته، الملتزم دينيًّا، الذي لا يفوِّت قداسًا أو يتقاعس عن خدمته، الذي يعاون الناس جميعًا ولا يفرق بين مسيحي أو مسلم في عطائه، فتعلم من المسيح المحبة والتسامح، كيف تريدني أن أزلزل حياتك وأنا أعرف حقيقة مشاعرك وتعلقك بي؟! لذا تحتم عليَّ الابتعاد لكي تعيد ترتيب ذاتك.

كنت أستمع لها وأنا صامت شارد بلمسة يديها، ولرقة وعذوبة صوتها وهي تشاركني خوفها عليَّ وعلى حياتي، فأجبتها وأنا مبتسم: رانيا لا تغضبي مني، فأنا لا أريد ان أبتعد عنك، فبيننا عيش وملح وشكولاته..

هل تتذكرين، أنا مارك "رجل الشوكولاه "كما كنت تقولين عني؟ ومن ثمَّ ابتسمت، فأتى حسن محضرًا المياه الغازية، فتناولناها وأنجزنا عملنا بجو مرح ممتع ثم قمت بتوصيلها.

استمرت أحاديثي معها تليفونيًّا ودردشة، وأنا مستمر ببناء حياتي ومشاكلي وقروضي وعبء مسؤوليات فرضتها على ذاتي، فكانت هي ملاذي الآمن الذي أهرب إليه عن مشاكلي وأعبائي وقسوة الأقربين، فأخي وأختي اعتادا الأخذ دون أن يعطيا، وتناسيا أني بشر ولي متطلبات، كنت أكتفي بدعاء أُمي ومحبة أصدقائي وهي، وأشكر الرب علي كل شيء.

على الرغم من قرب ليديا مني، وبالفعل قد تقربت منها وتعرفت على شخصيتها الجميلة المحبوبة، وخفة ظلها وجمالها البراق، ولكن لا أستطيع أن أبتعد عن انشغالي بتلك الفتاة، كنت كالأسير في شباكها، أنتظر الوقت الذي تحنو عليَّ بالحديث فيه، مع الوقت اقتربت مني رانيا، وكنت أزداد شوقًا لها، ومرت علينا مواسم وأعياد الحب، لا أنسى أن أرسل إليها باقات الورد والشوكلاه التي تحبها، وحان موعد عيد ميلادها، فأحضرت لها هدية بعد ما أخذت ليالي أفكر ماذا أقدم لها، فكانت أول مرة أحضر هدية لأنثى ولها، فأردت أن تكون مميزة، فأخذت أسأل الجميع من أصدقائي من الكنيسة وخارجها، وطلبت مقابلتها خارجيًّا بأي مكان تختاره، فاختارت مطعمًا كلاسيكيًّا أنيقًا، جدرانه تجريدية، يكسوه طوبه الأحمر، وموسيقى غربية هادئة تضفي على المكان الهدوء والسكينة، والإضاءة الخافتة تنشر الرومانسية بالمكان.

المكان يشعرك بالراحة، وأعترف يا أبونا أنها أكسبتني خبرة بعدة أماكن أنيقة لم أكن أعرف عنها شيئًا. كانت ترتدي بذلة أنيقة، لونها زهري، وتضع

بروش طاووس أكسبها جاذبية، وترتدي حجابًا قصيرًا ملفوفًا بطريقة مختلفة عما اعتدت أن أراها عليه، وترتدي حُلِيًّا استطاع أن يبرز كل مفاتنها وسحرها، كانت جذابة أمام عيني، فجلست دون أن أنبس بكلمة، صامت أنظر إليها، فوصلت لنشوة سعادتي عندما رأيتها تبتسم لإعجابها بهديتي لها؛ ففرحت مثل الأطفال وتهللت من المفاجأة، فكنت قد أحضرت لها ساعة أنيقة مُذهبة، وبعض الشوكولاه والأزهار التي تعشقها، ثم نظرت لي وقالت: شكرًا بحجم الكون يا مارك لأنك دومًا تدخل السرور إلى قلبي، ولأنك حرمت نفسك من الرفاهية لكي تجلب لي هدية قيمة مثل ذلك فقط لتسعدني.

قلت لها: هذه ليست قيمتك، فلو كان باستطاعتي لكنت أزنك ذهبًا.

صمتت قليلًا وهي تنظر إليَّ، فوجدتني أهيم شوقًا لها وأتطلع إليها بشغف.

فقالت: مارك لا تنظر إليَّ هكذا وتشعرني بذنب تجاهك، تعتقد أنني قوية وقلبي من فولاذ، ولا تعلم أني أمام مشاعرك هذه كريشة هشَّة ضعيفة! أرجوك يا مارك، التفت لحالك وانسَ مشاعرك لي، فالحياة أمامك والبنات كثيرات، وقصتنا محكوم عليها بالإعدام!

- لماذا تعدمين قصتنا قبل بدايتها؟ اتركيني أعش الحب وحدي إذا كنتِ لا تبادليني مشاعري.

- ما هذا الهراء يا مارك؟! أنت تعلم صدق مشاعري ومعزتك لديَّ، ولكن تعلم يا مارك ما يمنعني عن مبادلتك هذا الشعور. ثم خفض صوتها

واحمرت مقلتاها واقتربت مني، يا مارك أنا بمقدوري أن أهدم حياتك وأعبث بمشاعرك تجاهي، ولكن معزتي لك وخوفي على مستقبلك يمنعني أن أجاريك بمشاعرك.

- أنا لا أريد منك سوى الحب، وعلى أهبة الاستعداد لفعل أي شيء من أجل أن أسمع منك كلمة الحب.

صمتت كثيرًا وأبعدت نظراتها عني، ثم قالت: يا مارك، أنا أتمناك لي لأنك تحمل شخصية جميلة، وبك صفات تتمناها جميع البنات، حتى سلبيتك، أستطيع أن أغيرها، ولكن أنت تعلم ماذا لابد أن تفعل.

قلت لها مندفعًا: وأنا على استعداد أن أفعل ما لا تستطيعين نطقه، وفكرت به بالفعل، وأستطيع أن أنفذ من أجلك أي شيء ولكن...

قاطعتني: وهذا لا يصح من أجلي، إذا أردت أن تشهر إسلامك، فلا يصح من أجلي فقط، قلت لها: ولو فعلت ذلك تقبليني؟

أجابتني على الفور: إذا أشهرته عن اقتناع سوف أفعل هذا، ولكن لا أستطيع أن أجعلك تهدم حياتك بيدك؛ لأني بالفعل أعزك وأخاف على مصلحتك أكثر منك.

أعلم أنك تخشين عليَّ، ولكني لا أستطيع البعد عنك، فكرت بكل شيء، ولا يهمني أحد سوى شيء وحيد يمنعني يقف بيننا سدًّا منيعًا في تغيير مسار حياتي، وهذا سبب عذابي وحيرتي من اتخاذ القرار.

- أمك..أليس كذلك؟

- نعم أمي، فلا أستطيع أن أكسر قلبها أو أحطم آمالها، أمي أغلى إنسانة عندي بالوجود، فعمري لها، لذلك أخشى عليها من أن أصدمها بيدي فلا أغفر لنفسي إذا أصابها مكروه بسببي.

- لذلك أحترمك يا مارك لأنك بار بأمك، ولذلك فسترعى أي امرأة ستتزوجها وتأمن بروحها بجانبك، وبعد أن علمت الآن معزتك ومقدار حبك لي لا أستطيع أن تهتز صورتك أو تصدم أمك بك، فسوف أبتعد وتنساني، وسأفعل ذلك من أجلك.

- أرجوكِ لا تبتعدي عني، كوني بجانبي واتركيني أحبك فقط، ولا أطلب منك أن تبادليني الحب.

- لا أقبل لك ذلك يا مارك، فسوف تتعذب، وبمرور الوقت ربما أرتبط بشخص آخر فتتلوى من الغيرة وتعيش الألم وحدك.

- أرجوكِ استمري بصداقتك لي، حتى لو لم تحبيني.

- لا أقدر أن أجاريك بمشاعر مزيفة، ولا أنكر عليك أني أعزك وأقدرك، وأتمنى شخصًا مثلك، ولكن عيوني تراك مارك المسيحي وأنا رانيا المسلمة، والذي معه لا يصح أن تكون علاقتنا أكثر من صداقة.

- وأنا أوافق على استمرار صداقتنا دون تجاوز مرة أخرى.

- وأنا لا أقتنع بصداقة بعد الحب، تخدع نفسك يا مارك، أرجوك اجعل هذه المقابلة آخر ما بيننا، واجعلني أتذكرك دومًا بخير، وسوف أُقلِّص

علاقتي بك حتى تنساني، وإذا استطعت أن أقوم بنقلي من العمل سوف أفعل ذلك من أجلك.

- لا لا يا رانيا، لا تفعلي ذلك، قبل أي شيء أنتِ صديقتي وأختي، صدقيني مهما كانت مشاعرك فأنا أحبك وأخاف عليكِ مثل أختي، أعلم صدق ما بداخلكِ تجاهي، وكأنك تريدين أن تصرخي بوجهي وتقولي افهم يا حمار! أخاف عليك وعلى حياتك، واستمر بحياتك قبل أن تعرفني أعلم، ولكني تركت نفسي لمشاعري ولم أحكم عقلي، لديك كل الحق يا رانيا، أرجوكِ لا تغضبي مني، وأعدك أن أنسى كل شيء وأحافظ على صداقتنا ولا أتجاوز الحد مرة أخرى.

كان هذا لقاءنا الأخير يا أبونا، رجعت البيت وأنا نادم، أقف أمام يسوع وأبكي، كنت أراه غاضبًا مني يا أبونا، يلعنني ولا يريد أن يصفح عني، كنت سأتخلى عن محبته وخلاصه من أجل حبي لها، كنت سأبيع دمه ولحمه وأتخلى عن خلاصه لنزوتي ومشاعري تجاهه، أنا يا أبونا فعلت أكبر خطية بالكون، فعلت كما فعل يهوذا الإسخريوطي، بعت المسيح لنزواتي وأهوائي، وراح في بكاءٍ شديدٍ، لقد فقدت توازني حتى قررت أن أعترف لتخلصني، فصليت كثيرًا استعدادًا لاعتراف، فخلصني يا أبونا..

ثم انحني أمام البابا، وكان واضعًا يده اليمنى على رأسه، فقال له اهدأ يا بني، أنت فعلت خطيه كبيرة جدًّا بتفكيرك بها ولكن لم تنفذها، ولكنك

اعترفت بها، وأبانا الذي في السموات سيغفر لك ما دمت ندمت واسترجعت وعلمت خطيئتك، فسأوشي لك، فصلِّ صلاة الشكر وارحمني يا الله وقرأ عليه التحاليل الثلاثة الأول، والثاني سرًّا والثالث جهرًا "أيها السيد الرب يسوع المسيح كلمة الله الأب الذي قطع كل رباطات خطايانا من قبل آلامه المخلصة المحيية الذي نفخ في وجه تلاميذه القديسين ورسله الأطهار وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم غُفرت لهم ومن أمسكتموها عليهم أُمسكت".

" أنت الآن أيضًا يا سيدنا من قبل رسلك الأطهار أنعمت على الذين في الكهنوت في كل زمان في كنيستك المقدسة أن يغفروا الخطايا على الأرض ويربطوا ويحلوا كل رباطات الظلم".

"الآن أيضًا نسأل من صلاحك يا محب البشر عن عبدك "مارك" المنحني برأسه أمام مجدك المقدس ارزقه رحمتك واقطع عنه كل رباطات خطاياه إن كان قد أخطأ إليك بعلم أو بغير علم بالفعل أو بالقول أو بصغر القلب أنت يا سيدي العارف بضعف البشر كصالح ومحب للبشر أنعم له بغفران خطاياه".

ثم رشم مارك بالصليب باركه وحلله ونفخ في وجهه وباركه بعلامة الصليب، وفي أثناء ما كان مارك يصلي ارحمني يا الله كعظيم رحمتك، ختم البابا ومارك الصلاة الربانية معًا.

في نهاية طقس الاعتراف، قال الكاهن لمارك: سأعطيك تدريبات تجعلك تسمو بنفسك وبروحك، وبمشيئة الرب تتجلى عليك الروح القدس، ولكن يا بني تعهد أمام الرب أنك لن ترجع للخطية، فبسببها بذل ابن الرب روحه ليكفر عن خطية آدم ويخلصنا من خطايانا.

نفذ مارك تدريبات البابا على أكمل وجه، وكان مداومًا للقداس والصلوات والصيام حتى تخلص من تلك المشاعر وانشغل بمحبة الرب، وبدأ يذهب إلى عمله ويتعامل بشكل طبيعي، ومع الوقت طلبت أمه منه الزواج والارتباط وألحت عليه، فلم يجد غير ليديا، تلك الفتاة التي تقربت منه وأحبته دون أن يبادلها المشاعر، فقام بعقد نصف إكليل، ومع الوقت رآها جيدًا فأحبها وتعلق بها لأنها قربته من المسيح وأعطته ما كان يفتقده من حب وحنان. وأصبح يتعامل بسطحية مع رانيا ويرعى حق الزمالة، وانتهت كل مشاعره نحوها لتتربع ليديا على عرش قلبه.

انتهت

* * *

حكاية رُوح

أعيش على باقي حلمٍ ينبض في خاطري دومًا، يحيا ويتنفس داخلي الحِس من أجل طموحٍ لم أصل له يومًا، تغرُب بي الأيام وتقذف بي أمواج السنين، وأنا أجلس في مكان بعيدًا عن كل طموحاتي، مكان لم أختره يومًا، بل كُتب عليَّ ولي فيه قسمة ونصيب، أجلس وحدي ليلًا أُناجي أشواقي للأهل والأصدقاء والحلم.

أتذكر مسكني فأذوب شوقًا لمكان كنت دومًا أجلس به وحدي، أرتب طموحاتي، وأسرد وأدوِّن أحلامي الوردية التي تحمل عطر الأماني والأمل في غد لامع، أصوره بستانًا مليئًا بزهور القرنفل والنرجس يحمل رائحة المستقبل!!

كنت أجلس في ذلك المكان وأحدث نفسي عن فارس الأحلام، فكنت لا أتصوره يركب جوادًا أبيض ويشبه الفارس الذي يجوب في أحلام البنات العذارى..

كنت أراه بطلًا، ولكن ليس بطلًا لمعارك وحروب خاضها ضد الطغاة، كما قرأت ودرست بكتب التاريخ والأساطير، بل كنت أتصوره بطلًا يخرج من فيلم أبيض وأسود...نعم أراه مثل أحمد مظهر مثلًا أو رشدي أباظة أو محمود ياسين!!

كيف كان هؤلاء البشر...هل كانوا بشرًا مثلنا بالفعل، كيف كانوا بتلك

الرجولة والشهامة والحنان والدفء... كيف يعاملون المرأة في أفلامهم؟!

كنت أدوِّن في دفاتري عن تصور بطلي الذي سأعيش معه حياتي وسأربط ماضيه بحاضره وأغلق قلبي عليه.

كنت أبحث عن رجل يحمل صفات جوهرية، يجيد قراءة عيني ويجتهد في كتابة ما أفكر به ويجول بخاطري، يحترم عقلي ويناقش طموحاتي ويُقوِّم زلاتي ويكمل نواقصي، يغمرني حنانًا وطيبة، يكون لي عونًا وسندًا، يسمع شكواي التي لم أنطق بها يومًا؛ فيحتويني وأذوب عشقًا به؛ فيعوضني عن ليالي حرمان كنت أحلم فيها وحدي!

كنت أقرأ عنه في الأساطير والقصص والروايات، وأراه في منامي وأحلامي، كنت أتأمل بالساعات في حلم وطموح قدَّره لي ربي منذ نعومة أظافري، حلم لم أبح به لذاتي، بل فُرض عليَّ بذاته، حلم الكتابة، ففي مراحل الثانوية كنت أحلم وأحلق في سماء الطموح، وكنت أجد من يساندني ويشد من أزري، وأصبحت أشرد وأتأمل وأبحث وأقرأ حتى أصل للمعنى الحقيقي لحلمي، فشرعت في الكتابة، ومن ثمَّ أفرح بكل بسمة أمل تأتيني من صديق أو قريب، أحلق في السماء عندما يأتيني نقد يحلو لي من المقربين، فأنا أعيش براءة الأطفال، أصدق من يظهر لي اهتمامًا وحلو الحديث، لا أفترض سوء الظن بأشخاص اعتاد قلبي تصديقهم، فطيبتي سبب متاعبي، لا أحب التَّلون في الحديث فأعامل الناس كما أحب أن أُعَامل، ولا أعرف أن وجوه الناس مليئة بألوان كثيرة وصنوف عدة، فمنهم من تحمل وجوههم طيبة

وتخفى أحقادًا دفينة بداخلها، وأنا أحمل قلبًا نقيًا، يعامل الناس بما يظهر منهم، ولا أجيد قراءة ما يبطنون من نوايا سيئة، فكيف لي أن أعلم ما يحملون من خبث داخلي ولى قلب أبيض لم يمسه الكذب والتلون والحقد؟! كيف أعاملهم بتلك الصفات ولي والدان قد أحسنا تربيتي وأعطياني خبراتهما الكثيرة لابنتهم الوحيدة المدللة، فأرشدوني أن أعامل الناس كما أحب أن أعامل، وأن أكون صبورة، فقد نصحني أبي أن أداوم على فعل الخير ولا أتلون حسب المواقف، وأفعل كل شيء لله وحده، فكان يقول لي دائمًا "ما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل".

أما أمي فهي أميرة أيامي، وهى سبب تكويني ونضوج موهبتي، تؤمن بي فتحتويني وتتغاضى عن زلاتي، هي من تقوِّمني وتشد من أزري، تعلمت منها أن يكون لي قلبٌ صافٍ متصل بروحانيات لا يعلمها غير الله، فكان لي نور بقلبي يحمل لي حدسًا لما سيحدث أو سوف يحدث، كانت أمي تؤمن بي دومًا، تقول لي لا تتسرعي في قراراتك، كوني صبورة في حديثك، لا تندفعي في مشاعرك حتى لا تُصدمي بسبب تلك الزلات التي أحملها، هي تلك المشاعر القوية التي بداخلي نحو الآخرين، فإذا أحببت شخصًا بُحت له بكل ما أحمل له من حبٍ ودعاء وأمنيات..

كان لدي أخ يُجمل ويُلون أيامي السابقة وأيامي الحاضرة، دومًا سند لي، فكنت مدللة لديه برغم تقصيري وعدم اجتماعيتي وتواصلي معه، على الرغم من كثرة أحاديثي معه، ولكن كنت أعيش بعالمي الذي لا يعرفه

سواي، فكنت أعيش حياتي في مدينة خلقتها لذاتي، مدينة من الأسرار أغلق عليها بمفاتيح الكتمان،ليس لأنها تحمل أخطاء أو ذنوبًا، بل لأنها تحمل خيالًا لم يصل لأذهانهم، فكنت أحمل أسراري في صندوق لم تصل إلى يد بني آدم حتى لا يعبث أحد في خيالي وآمالي وطموحاتي!

كنت من آن لآخر أسرد لأمي ما يصبو إليه فكري، فهي صديقتي المقربة، ولكن كنت أسرد بطريقتي ليصلها المضمون وليس القصة بأكملها، فأنا لا أحب أن أكون عارية الفكر أمام أحد، أريد أن أحتفظ بحياتي وأفكاري حتى تنضج ولا أبوح بها وقتما أشاء، ولكن وقتما يُقدر لي البوح بها، كما أني خُلقت لا أستطيع أن أعبر بما يجول بخاطري بسبب حساسيتي نحو ما يدور أمامي، دومًا أحتفظ بهمومي وما يشغل فكري، لا أريد أن أثقل بهمي مخلوقًا ولي ربٌّ يعلم ما في صدري وقادر على تحقيق حلمي وطموحي. كان لديَّ الكثير من الصديقات، ولكن كُنَّا في إطار الزملاء والمعارف، وكانت لديَّ صديقتان مقربتان، عشت أيامي ما بين دراستي وقراءاتي وأحلامي، أبحث عن فكرة لتكون مختلفة وتعبر عما يصبو إليه ذهني لكتابته عنها، كنت دائمًا أؤمن أن للمرأة دورًا هامًّا جدًّا، ولكن أرى أنها تعيش بمجتمع يقسو عليها كونها امرأة فقط لا يعطيها حقوقًا مساوية للرجل، كما كنت أتحدث مع صديقتي، نحن نعيش في مجتمع ذكوري، يحرم الأنثى من ممارسة طقوسها بِحُرية دون التحدث عنها بأقاويل وإشاعات. كنت مهمومة جدًّا بمشاكل المرأة وما تعانيه في عصرنا هذا، لذلك أجد بصيص الأمل في مشاهدة الأفلام الأبيض

والأسود وما كان يقدم من احترام للمرأة، مثل فيلم: أنا حرة، والرباط المقدس، والباب المسدود.. وغيرها.

كنت أرى في الأفلام الأبيض والأسود النقاء والهدوء والأصالة، بعيدًا عن صخب الأغاني والتطور والسرعة في أفلام العصر، وهذا لم يمنعني عن مشاهدة الأفلام الحديثة، كنت أحب أفلامًا كثيرة أيضًا، مثل فيلم: ظرف طارق، وطير انت.. وغيرها.

عشقت النقد والتحليل لكل ما أمر به، مكتوبًا أو مقروءًا أو مشاهدةً، أعتقد بأن الأشياء خُلقت للتفكير بها، كنت دائمة التفكير، فلا أستطيع العيش دون أن أشغل فكري بأي شيء، دائمًا مهمومة بالتفكير، اتخذت من القلق دربًا وأسلوب حياة أسلكه، ومع الأيام تعرفت على أشخاص أبدوا لي إعجابًا بمنطقي وكتاباتي، تعاملت معهم بقدر الزمالة والاحترام المتبادل، ولكن كان هناك شخص يتقرب دومًا مني لمناقشتي والاحتكاك بي، كان يجمعنا القلم وتحيطنا القراءة، وكنا مهمومين بالثقافة، فلدنيا ما نتناقش به، كنت أسمع دومًا مثلًا يقال، لم أعرف معناه إلا في ذلك الوقت هو: "ما محبة إلا بعد عداوة" وهذا لا يعني أني أحمل عداءً لأحد، ولكن ذلك الشخص، كنا دائمي الاحتداد على بعضنا، مختلفة آراؤنا حول موضوعات تخص المرأة ووضعها بالمجتمع، وحول أشياء كثيرة، ولكن مع كل هذا الاختلاف كان يبدي لي إعجابًا ومحبة كنت أستنبطها وأشعر بها من كل حرف وسؤال عام يوجهه لي، من كل سطر في دردشة قصيرة دارت بيننا، كان

محيطًا بي من كل النواحي، ومع كل معارفي، أراد التقرب مِنى، فدخل من باب فكري وعقلي وأثار عاطفتي، فاستطاع بمناقشته لي فكريًّا أن يتودد إليَّ ويشغل حيزًا من تفكيري، كان يجول بخاطري دومًا وأتساءل: لماذا يقترب مني دومًا، لماذا كل هذا الاهتمام لي وحدي؟! فكان من حين لآخر يرسل لي صورًا تحتوي الأزهار التي أحبها منقوش عليها بعض الكلمات الأنيقة، وذات مرة أرسل لي أغنية كاظم الساهر في الصباح "إذا مَر يومٌ ولم أتذكر به أقولَ صباحك سكر...."

كان مقطعًا بسيطًا منها، ولكنه استطاع أن يغير يومي، وصارت البهجة تملأ وجهي وملامحي، فشعور أن أحدًا يهتم بك ويرسل إليك أغنية القيصر، شعور يمنحك إيجابية تكفي اليوم بأكمله، وتوالى إرسال الأغنيات، وأحيانًا يكتب لي خواطر من نظمِه، فهو لا يجيد الكتابة - على حد قوله - فأراد التقرب إليَّ من مدخل ما أحبه وأهتم به، ولا يعلم أن مشاعره أقوى من أن يزين الأحرف أو يهتم بالسجع والقافية لتصل كلماته لأعماقي، فكتب لي يومًا: "ولأنكِ سَكني ما زلت أبعثُ في نفسي الأمل، أتذكركِ عند المغيب، وأحفظ حبك عندما تشرق الشمس وتضيء الدنيا بنورها، فعاشق مثلي لا يعترف بالمستحيل، يَهيمُ شوقًا، يتوسل النجوم أن تقترب لكي تضيء ما بقلبه من كلمات تحمل الشوق لحبيبة أضاءت النور من دربه في غيابها، كلما اشتاق وحن نظر ببقايا صورتها التي قد رسماها في قلبه، فيسمع صوتًا يأتي من السماء يقول له: ألم يحِن وقت اللقاء....... نعم أحبكِ".

قرأت رسالته وشعرت بشيء غريب يسري بداخلي، لم أكُن أعرف أنه الحب! شعرت برعشة أناملي، وخفقان شديد بقلبي، وتشتت أفكاري، ولم أستطع أن ألملم كياني ولا شتات روحي، فكل ما بي تبعثر من تلك السطور البسيطة غير المرئية، فهي مشاعر الحب الصادقة التي تتناثر بها الحروف، دون تفكير أو ترتيب أو تجميل، ما نشعر به وما تمتلك روحنا من نبض يلح علينا إخراجه، منذ هذا الوقت الذي صرح لي بحبه، شعرت بحبٍ خفي داخلي وكأني أعشقه منذ زمن بعيد! لم يكن لي تجارب أو علاقات، حتى بالجامعة، لم أرتبط ولم أُعاهد شخصًا بشيء كنت جادة بتعاملاتي وعلاقاتي مع الآخرين، أُركز بدراستي فقط وأن أحقق حلمي بالكتابة، فكان لديَّ مشروع وأفكار أريد أن أنفذها.

توالت الأيام وهو يرسل لي حبه واهتمامه وكلماته التي أسرت قلبي، فبدأت أكتب خواطري وهو يجول بفكري، وكأني كنت أكتب له دون أن أطالعه على كلماتي! أحببته حبًّا جمًّا في خيالي ولم أستطع أن أظهر أمامه أية مشاعر، ذات يوم التقينا بندوة ثقافية حضرها من أجلي لكي يراني، كان معي أخي أسامة، الذي يشملني بعطفه ويرعى موهبتي في الكتابة ويرى لي مستقبلًا باهرًا، أخي يعمل بالتجارة، ولديه محل لبيع الملابس، يحب قراءة الروايات ليُغذي خياله ويُرفِّه عن نفسه من ضغوط العمل، كان دائمًا يقرأ كتاباتي ويشيد بها، ويفتخر بي ويمدني بالكتب التي أطلبها منه لأطلع عليها وأغذي معرفتي وأُنمي ثقافتي وأتقن الكتابة عن علم ودراية، فأتى إلينا بكل ودٍ

واحترام وألقى السلام علينا بكل أدب وخجل، فعرفته على أخي، وقلت له إنه صديق محترم، تعرفت عليه من الجروب الذي أكتب به "ماذا تقرأ هذه الأيام".

- فرحب به أسامة قائلًا: أهلًا بك.

- تشرفت بمعرفتك أستاذ أسامة.

- مُذ متى تعرف أختي؟ لم تحدثني بشأنك من قبل، رغم معرفتي جميع أصدقائها.

أجابه خجلًا: منذ شهور، فأنا عضو بالجروب، نتبادل المعلومات ونتناقش بالقضايا التي يطرحها مسؤولو الجروب، أحيانًا تتشابه آراؤنا وأحيانًا نحتد كثيرًا، فنظر نحوي وابتسم.

بدوره ابتسم أسامة قائلًا:

- أعرف أختي، فهي متمسكة بآرائها إذا كانت مقتنعة بصحتها مئة بالمائة، فهي عنيدة.

فنطقت قائلة:

أنا أعاند بالحق.

فاستطرد أسامة سائلًا: آدم.. في أي مجال تكتب؟

- لست كاتبًا، بل قارئًا جيدًا، أنا يا سيدي لا أجيد الكتابة، ولكن أعشق القراءة منذ نعومة أظافري، وأطالع بشكل مستمر والحق يقال، أنا أحب كتابات الأستاذة "روح" وأتذوق آرءها وأهضمها بشكل سريع.

صمت قليلًا وشرد بي، فوجود أخي جعله مُكبل النظرات، لا يستطيع النظر إليّ إلا خِلسة، لا يستطيع أن ينظر إليَّ بكل حب أو أن يحفظ ملامحي التي قد حفظها من صورتي التي أضعها بمقالتي، فغالبًا كنت أضع صورة فورمال اعتدت أن أرفقها، لا تحكي تفاصيل، ليس بها نبض أو إحساس، فهي جوفاء لمعشر القراء، كنت أقصد أن أضع صورة لا تظهر مفاتني، كنت أريد للقارئ أن ينتبه لحروفي وكلماتي وما يصبو إليه فكري وليس لملامحي وتفاصيلي، لذلك أحب عقلي الحكيم ورزانة فكري، كما أحب دلعي أثناء التعليقات مع زملائي، فأستشف أني أحمل أنوثة مستترة خلف الشاشات، شعرت أني شخصية فريدة، لا أريد أن أبعثر مشاعري وشخصيتي وذاتي وصوري وحياتي الخاصة على العامة، لأني أحتفظ بكل كياني لشخص واحد فقط، سوف أعطيه كل ما أملك من أُنوثة وفكر وجمال.

أما عني، فكنت أشعر بشروده وحديثه مع ذاته وبخفقان قلبه وارتعاد أنامله من هول المقابلة، كانت تلك المقابلة الأولى معي وأخي، فلبثت أتحدث داخليًّا معه: كم اشتقت إليك وللقائك، كم اشتقت لضمة يديك ليدي، كم أتوق شوقًا لنظراتك الحانية! فالكتابة لا تُرسل لكَ مدى شوقي ولا أرى ملامح حبك الدافئ التي ترسلها عبر شاشات الحاسوب، فاللقاء له مذاق آخر ولو كان صامتًا دون حديث، يكفي حديث النظرات، فهي كفيلة لإرسال ما نشعر به من مشاعر!

مر حديثنا بالنظرات، وقرب انتهاء الندوة، أفاق آدم من شروده، فشروده جعله لا يركز في الندوة ولا يعلم عن موضوعها وكيف دارت، فكل ذهنه وشعوره كان معي، وجمع بيننا الشرود، ولكن كنت أنتبه لموضوع الندوة من حين لآخر؛ لأن أسامة كان يناقشني في أي أمر مُبهم، فكنت أجيبه.

فسأله أسامة: ما كل هذا الشرود؟! كأنك مسافر لبلاد بعيدة وأنت بكرسيك!

- عفوًا أستاذ أسامة، كنت أفكر في أمي وأبي، فتركت والدي مريضًا مع أمي وطلبت مني بعض الأدوية لأبي التي لا نجدها بسهولة، توجد صيدلية برمسيس سوف أسأل بها.

- ألف سلامة سوف أوصلك.

- لا أريد أن أرهقك بأول تعارفنا، سوف أستقل المترو.

- لا، سأوصلك، فأنت شخص محترم وخلوق، أختي أشادت بأخلاقك، كما أعجبني حرصك على حضور الندوة الثقافية وأن تلبي طلبات عائلتك، يدل ذلك على أنك رجلٌ مسؤول، وأنا أقدر هذه الصفات، وأريد أيضًا أن آخذ الثواب يا سيدي.

- أشكرك وأشكر الآنسة المحترمة، فأنا من أشد المعجبين بها.

فاجأني بكلمته فصمت خجلًا!

- أقصد بكتاباتها ومقالاتها، وأنتظر بشدة روايتها الجديدة، فأعشق حروفها المنتقاة وآراءها المهذبة التي تنم عن ثقافة ورقي وتحضر.

فنظرت خجلًا إلى الأرض، لا أستطيع الرد على كلماته العازفة على أوتار قلبي، فاستكمل معزوفته، على أني من الكاتبات اللاتي يكتبن بسطور ثابتة، فشعر أنه قد أخذته الجلالة بالإشادة بي، فقال ليداري ذلك: "أيضًا هناك العديد من الصديقات يكتبن بأسلوب رفيع ومتحضر وعلى نفس المنوال مثل...

فتلعثم وقال "منى الشناوي" أتوافقينني الرأي أستاذة روح؟".

تلعثمت من توجيه للسؤال ثم قلت:

من "منى الشناوي"؟!

فأجاب بعين ثاقبة، التي تناقش في الجروب عن تعنيف المرأة:

- نعم نعم. عفوًا "منى قناوي".

- عذرًا.. لم أحفظ الاسم.

ابتسم أسامة لمناقشتنا، وشعر بجو من الأُلفة والصداقة مع آدم. استقللنا جميعًا سيارة أسامة ووصلنا به إلى الصيدلية، وبعد انتهائه من شراء أدوية والده تبادلا أرقام هواتفهما، ومنذ ذلك اليوم نشبت صداقة بينه وبين أخي أسامة، وبدأ يذهب إليه المحل، ويتجاذبان الحديث معًا واقترب منه أكثر، حتى سرد له عن حياته الخاصة وظروفه، وحدثه أنه:

- أنا ولد وحيد على ثلاث أخوات متزوجات، وأم كانت تعمل مديرة قسم في شركة بالعاشر، وأحيلت إلى معاش مبكر من أجل رعاية والده المريض بالفشل الكلوي، ويغسل في الشهر مرتين، والدي كان يعمل بمديرية الزراعة، وكان له ميراث أرض مع إخوته بالبلد، كنا ميسوري الحال، ولكن

بعد مرض والدي ضاق الحال، باع والدي ميراثه لمصاريف زواج أخواتي البنات ومصاريف علاجه، أصبحنا لا نملك إلا معاش الوالد والوالدة، ولم يبقَ لنا سوى منزلنا والذي أملك فيه شقة وربك كريم.

فأجابه أسامة باسمًا:

- سبحان مغير الأحوال! البيوت مليئة بالمشاكل والأسرار، والناس لها الظاهر، والدك فعل الخير، فستر البنات واجب، وترك لك أيضًا شقة، اجتهد، فأنت رجل تستطيع حَمل حالك.

- نعم، هذا رأيي.

- وماذا تعمل الآن؟

- بعد انتهائي من كلية التجارة، بحثت عن عمل بتخصصي ولم أجد، فأنت تعلم أنه لا أحد بمصر يعمل بشهادته.

- أكيد، فأنا أمامك، خريج هندسة وأفتح محلًّا لبيع الملابس.

فضحكا ضحكات صاخبة تليق بحسرة أحلامهما وشبابهما. قال:

- عملت أعمالًا خاصة هنا وهناك، إلى أن توسط لي خالي في شركة خاصة للخيوط، أعمل محاسبًا ولي راتب وتأمينات، وأعمل ليلًا مع صديق لي بالكهرباء، فأنا طموح، أريد أن أبني ذاتي دون أن أُحمل عبئًا جديدًا على أبي.

- أنت رجل والرجال قليل! تشرفت بصداقتك.

استطاع آدم بصداقته لأسامة أن يتقرب مني أكثر، وأعطاني رقم هاتفه بالدردشة كي نتبادل الحديث بدلًا من الكتابة، لنتعرف أكثر بكل ودٍّ واحترامٍ، فلم أمانع، فكان لدينا نفس الشعور بأن نستبدل الكتابة بالصوت ونسمع نبض قلوبنا ونتقرب لبعضنا أكثر. كان يتصل بالوقت الذي أحدده تبعًا لظروفي، فكان يرسل لي رسالة وينتظر ردها حتى تسنح لي الفرصة لأحدثه، فكانت أول مكالمة:

- آلو... كيف حال سيدة البنات؟

- الحمد الله، ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة، فدهشت كيف أكون سيدة البنات؟!

- نعم، أنتِ سيدة البنات وابنة قلبي وأميرة دربي، فما العجب بذلك؟!

شعرت وكأنني بعصر الجواري، فسيدة البنات وأميرة هذا تشبيه جميل، ولكن من أين أتيت بابنة قلبي؟ هذا مصطلح جديد، وإن كان للقلب ابنة فمن والد هذه الابنة؟ وتركت الضحكات تغزو شفتيَّ فتدغدغ قلبه قبل

أذنه، فأطلق رنات ضحكاته العريضة التي خرجت معي وحدي، ضحكاته الحبيسة منذ زمن، قال:

- أنا قارئ جيد وأتذوق حلو الكلمات، قرأت شاعرًا عاميًّا يكتب لمحبوبته أنها ابنة قلبه، استسغت التعبير وأحببته، ولكي تعلمي، أنتِ لستِ ابنة قلبي، أنت قلبي بأكمله وعليكِ توزيعه كما تشائين.
- ما عليك، قل ما تشاء أو قل ما تشعر به دون أن تفكر.

- أنا معك أشعر بإحساس قوي يجتاح قلبي، يفقدني النطق كلما حاولت أن أعبر عما بداخلي، وجدتني أتراجع، يا روح أنا معجب بكِ وأريد أن نقترب لبعضنا أكثر وأكثر.
- ماذا تقصد بـ"نقترب" أكثر وأكثر؟!
- لا أعني شيئًا سيئًا -حاشا لله- كل ما في الأمر أني لملمت جميع قواي لكي أنطق الكلمة التي لم أنطقها لغيرك، يا روح أنا أحبك جدًّا منذ زمن وأنتِ لا تشعرين بي، كنت أكتفي بمتابعتك ومعرفة كل شيء عنك، أحاول أن ألفت انتباهك لي بشكل لائق، كنتِ بالنسبة لي حلمًا صعبًا المنال، لم أصدق يومًا أني سوف أحادثك أو أقابلك مثل يوم الندوة! كلما جلست مع أخيكِ أشعر وكأني أراكِ أمامي، فكنت دائمًا أذهب إليه وأتذكر بمسامعي أغنية عمرو دياب أي حاجه تيجي من ريحه الحبايب.. يا من ملكتِ قلبي، بكل توسل وكل حب واحترام أريد أن أرتبط بك رسميًّا، وأدعو الله أن ينال طلبي القبول وأن

يستجيب لدعائي.

كنت أنصت لكلماته ببهجة، ولكن شعرت بدوار يزحزحني عن الأرض، وخفقان في قلبي وفرحة داخل أعماقي، فما زلت أسمع رنين كلماته وكأنه صوَّب سهام عشقه بقلبي، رأيته فارسي كما تمنيته في خيالي، رجلي وسيدي كما كنت أسرد بخواطري، فبعد أن صرح لي بحبه الدفين تلونت غرفتي بألوان الفرحة وأصبحت أرى كل العالم بلون الحب.

فصاح بالهاتف قائلًا: لمَ صمتِ؟ هل أغضبتك صراحتي، ألم تقولي إنك تريدين سماع مشاعري كما هي؟

فقاطعته بلهفة ممزوجة بسمات الأمل:

لا، كل ما بالأمر أني فوجئت، لم أكن أعرف أنك تحبني منذ زمن، فاندهشت كيف تحبني وأنت لم تكن تراني قبل الندوة، وتجهل عني الكثير؟! فشاشات الحاسب والدردشة لا تحتمل مسؤولية ارتباط وزاوج، كما أني لا أتواجد كثيرًا على الفيس بوك سوى لنشر مقالاتي وأناقش بالجروب ما يصبو إليه فكري وأفكار الأصدقاء، لا أتحدث عن حالتي الخاصة، فكيف تحب صورة وأنت تجهل المضمون؟!

قاطعني متحسرًا:

- حديثك هذا يؤكد صدق إحساسي أنكِ لم تشعري بي أبدًا، يا روح أنا أحبك منذ سنة تقريبًا، ومنذ شرعت بحبك، كنت أقرأ كل حرف تنثرينه في مجلة أو على الفيس البوك أو أي مواقع إلكترونية، أتابع تعليقاتك بشدة، وأقرأ منشوراتك بعناية، أحببت أغانيك وأفلامك المفضلة، كنت أحترق شوقًا لقراءة أي شيء لكِ، كنت أنتظر وأراقب الجروب لعلكِ تنشرين موضوعًا أو خبرًا أو مناقشة، أبحث عن تعليقاتك وإعجاباتك بالجروب، فكنت أضعك في قائمتي المفضلة، لم يكن بها سواكِ لكي تتيح لي معرفة نشاطك، كنت عندما تغيبين عن الفيس بوك أبحث عن أي شيء لكِ وأعود إلى مقالاتك القديمة وأعيد قراءتها، كنت أبحث عن أي شيء عنك يقربني إليكِ، أنتظر أي دعوة لندوة أو حفل توقيع أو تجمع أو ما شابه ذلك لكي أراكِ، ولكن تكرر اعتذارك وزاد عذابي وتوقي وشوقي للقائكِ، حتى جاء موعد نقاشنا وأصبحنا أصدقاء على الفيس بوك مقربين، كنت أقرأ ما تفكرين به، أو أي اتجاه تميلين إليه كي أكون جديرًا بالحديث معكِ، لا أخفي عليكِ، كنت أشعر أني أكرس حياتي لكِ وليس لي، أشاهد أفلامك وأدندن أغانيك المفضلة، كنت دائم الاعتراض في مناقشاتنا العامة لتطيلي حديثك معي لتقنعيني بأسلوبك المهذب، عشقت كل شيء منك، أنتِ ملكتِ أيامي وحلمت بكِ منذ دق قلبي بحبك، وحلمت بأن تكوني زوجة لي وأمًّا لأبنائي، ولكن كنت أخشى دائمًا المصارحة؛ لأني أعرف مدى خطوطك الحمراء مع

من يتطاول بالحديث، أو من يحبون التعارف والعبث بالفيس بوك.
بعد تنهد عميق أفضتُ:

- أنت إنسان جميل وخلوق، ولم أرَ هذه الأخلاق في شباب اليوم، أعتذر عن عدم شعوري بك منذ البداية، لقد كنت مهمومة بعملي وكتاباتي وكرَّست أوقاتي لهما ولم أشعر بك، فالعيب لديَّ، فدائمًا أنا حالمة، أعيش الحب في كتاباتي، لم أقصد جرحك أو اللامبالاة بمشاعرك، لكن دائمًا أخشى الدخول بعلاقات عابرة، أرجوك أن تصفح عني، لم أكن أقصد أن أجني على مشاعرك أو أجعلك تتذوق مشاعر الحب من طرف واحد.

- ما عليك يا حبيبتي، لا تعتذري، أنتِ ملكة بنظري، أنا من خشيت المصارحة، فهو خطئي، ولكن لدي سؤال:
- اسأل كما تشاء.
- ما هو شعورك تجاهي الآن؟
ما إن انتهى من السؤال حتى تلعثمت وصمت قليلًا، وشدّدت زمام روحي وقلت له:

- يا آدم لا أخفي عليك، دومًا كنت أدعو الله أن يرزقني بزوج طيب وحنون وخلوق، يتق الله فيَّ ولا أجد مثلك أحبني هذا الحب دون أن يراني واحتفظ بمشاعره في صدره وحافظ عليَّ في خياله، وبحث وجد وتعب ليوصل لي

مشاعره الرقيقة بشكل أنيق ومهذب، لا أخفي عليك، أنا لا أقصد تجاهل مشاعر الآخرين، ولكن اعتدت التركيز على ما يشغلني من قراءات وعملي ودراستي، كنت أدوِّن مشاعري على الورق وأعيش الحب في أغنية، وفي أفلامي، أتلقى معاني كثيرة من الحب والحياة، كما كنت حذرة في مجال الفيس بوك، ليس لديَّ الهوس الإلكتروني، فأراه كثيرًا مضيعة للوقت وتفتتًا للعلاقات الاجتماعية بين البشر، أحيانًا استخدمه، لكن في أضيق الحدود لنشر أعمالي، مقالاتي، مناقشات، الاطمئنان على الزملاء، أعيش الحياة مع أسرتي وأقاربي مباشرةً في عالم بعيد عن الافتراضية، فاعذرني على تقصيري معك، لكن كل ما أقدر على البوح به أني أُعجبت بك منذ آخر نقاش دار بيننا، أصبح طيفك يجول بخاطري، وأصبحت أنتظرك وأتحمس لمناقشتك لي، أحببت وتُقت شوقًا لمعارضتك لي بأي أمر ثم أفحمك برأيي، وتبدو مقتنعًا بآخر النقاش؛ فأفرح بالفوز بإقناعك، فشعرت معك بحنو أبوي عندما تحدثنا عن مكانة المرأة في المجتمع المصري، وقرأت رأيك بمناقشة الجروب، شعرت باحترامك للأنثى.

قاطعها: سوف نضيع مكالمتنا على مشاعر ومناقشات دارت في سنة من عمري؟

- عن أي شيء تريدني أتحدث؟

- أريد منك إجابة لطلبي الآن، ماذا تشعرين تجاهي؟ تحدثي مباشرة دون مقدمات، هل تحبيني وتقبلين الزواج مني، أم شعورك نحوي لم يتعدَّ سوى الإعجاب؟ أجبيني بكل صراحة ولا تخشي على مشاعري.

فأجبت مسرعة:

- أحبك جدًّا يا آدم، أحبك من كل قلبي، فأنت جعلتني أشعر أنك بطل أيامي وكأنك أحمد مظهر بجياده، وكرشدي أباظة على عرش قلوب النساء.

ابتسم ابتسامة عريضة..

- أما زلتِ تبحثين عن فارس أحلامك بين أبطال الأبيض والأسود؟ حتى في مشاعرك تمزجين الواقع بالخيال؟ أنا أيضًا تعلمت منك الخيال، فأحببتك حب الأسير للحرية، أحبك حب الضال في الصحراء للماء، أحبك حب الناسك للعبادة، والراهب للدير.. هل أكمل؟ فكلما تحدثت معك شعرت بأني شاعر عظيم.

ابتسمت.. أكمل، أحببت حديثك لأنه نابع من القلب.

-أعشق عشقك روميو لجوليت..

- رجعت لأفلامك الأجنبية وابتعدت عن جو الأدب.

- أتحرجيني وتتحديني؟ سوف أحاول أكمل، أحببتك حب الشاعر لأبياته وشطراته، أحببتك حب الكاتب لرواياته أحببتك....

- يا آدم أهذه قصيدة أحببتك؟؟

تعالت أصوات ضحكاتنا، وحفرت أول مكالمة أواصر المحبة، وكانت بمثابة العهد بيننا أن نكمل ما رسمناه من أحلام، وتوالت المكالمات والرسائل، حتى سرد لي كل حياته وما مر به، وكيف كان يعيش قبل معرفته بي، وكنت أسرد لوالدتي كل شيء في إطار عام، ولكن لم أستطع أن أسرد لها أني أحبه وأعشقه، كنت أكتفي بسرد مناقشتي العامة معه، وآخذ رأيها في أموري الشخصية. كنت مقربة لأبي، وكان يلبي طلباتي، فكنت ابنته الوحيدة وأخي أسامة، كان والدي يعمل بمصنع الحديد والصلب بحلوان، ووالدتي ناظرة مدرسة بإحدى المدارس الثانوية، من أسرة متوسطة الحال، مثقفة، متدينة التدين الوسطي، لا يشوبه تعصب، ويكفل الحرية أن نعبر عن آرائنا بحرية تامة.

ولبث بدوره يسرد لي أنه شاب على ثلاث أخوات متزوجات، ويعمل أكثر من عمل كما سرد لأخي، وكنت أعلم من قبل، ولكن أطلعني على حقيقة أمره المادي، وأنه كان ميسور الحال قبل مرض والده، ثم ضاق عليهم الحال بعد نفقات زواج أخواته، ولكنه يمتلك شقة بمنزل والده، ولكنها تحتاج

لتجهيزات، وأصبح مصدر رزق أبيه معاشه بعد بيع ميراث جده لسد نفقات العلاج، لكنه قال لي:

لا تقلقي، سوف أعمل بجد وأسعى جاهدًا لتلبية ما تحتاجينه وما تحلمين به كي تكوني سعيدة معي. وقتها صمت قليلًا ثم قلت:

- أنا لا أحتاج من المظاهر شيئًا، فقط أحتاج رجلًا يحتويني ويحترم عقلي وثقافتي ويكون طيبًا حنونًا يتحمل مسؤولياته، فالزواج يا آدم مودة ورحمة وليس مظاهر كاذبة لا داعي منها.

فأجابني مندفعًا: أريد أن أقابل والدك، فأنا لم أعد أستطيع الانتظار.
مر الوقت ما بين الأحاديث والمهاتفة التليفونية وأنا أسرد لوالدتي، فهي صديقتي الصدوقة، دومًا أستشيرها بأموري، فكانت تقول لي إنه شاب جيد، ولكن لا أعلم، هل ظروفه سوف تساعده على تحمل مسؤولية بيت كامل، وهل الحب كافٍ لإسعادنا؟ كنت أنظر إليها في صمت على أمل أن يرق قلبها وتقول شيئًا يرفع من شأنه وتخبر والدي، ولكنها قالت لي: لعل الله يحدث أمرًا، فأنتِ طيبة، وربنا سوف يرزقك بالزوج الصالح، وابتسمت قائلة: ولا تقلقي، سوف أخبر أباك بشأن هذا الآدم وأخاك أسامة.

- يا أمي أسامة يعلم كل شيء، فآدم أصبح صديقًا له وقد لمَّح له كثيرًا.

- وما رأي أسامة؟

- لم يفاتحني أسامة بشأن هذا الموضوع، ولكنه يحبه كثيرًا منذ أن رآه بالندوة، فهما يتبادلان الزيارات ويأتي إليه بالمحل كثيرًا.

- خيرًا.. سوف نرى.

- يا أمي أنتِ أيضًا سوف تحبين آدم كثيرًا، فهو شخص خلوق وجذاب.
أقبل الليل وأخذت أمي تلح على والدي بأمر آدم، فقال والدي: ومن آدم؟ فأخبرته أمي أنه زميل لها ومعجب بأخلاقها، وقد تودد إليها وتقرب منها بمناقشتها الكتابية والثقافية في جروب على الإنترنت، وقد تقابل معها وأخاها أسامة بندوة، فازداد إعجابًا بأخلاقها، وهما يخبرانا أن الشاب جيد.

فأجابها: وما رأيك؟ أقابل شخصًا تعرفت عليه عبر الإنترنت لا تعلم عنه شيئًا ولا عن أهله؟!

- وما يمنعك وأنت تعلم ابنتك وأخلاقها وهي لا تعرف الشباب، وليس لها علاقات معهم سوى وعبر كتاباتها ومجتمعها الثقافي وتبادل الآراء والمعرفة؟ فكيف لها أن تحب وترتبط سوى بهذه الطريقة؟ فأنت تعلم مدى حساسية ابنتك، كما أنها تميل إلى من يغازل عقلها وفكرها ويناشد قلبها برقيق

الكلمات والأسلوب، كما أصبح في عصرنا هذا التودد والتقرب والمحبة أسرع بوسائل التكنولوجيا الحديثة.

- وماذا تريدني أن أفعل؟

- أريدك أن تقابل الشاب وأهله وتسمع منه، وبخبرتك ستعلم إن كان جديرًا بابنتك أم لا.

فتمتم بكلمات لا تعيها، ثم وافق على مقابلته. أقبل الخميس ببهجته وفرحته، وحضر آدم ووالده ووالدته وإحدى أخواته وزوجها، أراد آدم أن يحتمي ويستند بأهله ليخفي خجله وخوفه على حلمه، جمع كل شجاعته وتحدث مع والدي بكل صراحة؛ لأنه يرى دائمًا أن أقصر طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم، لذلك استقام بحديثه مع والدي وأخبره عن ظروفه وإمكانياته بكل دقة، ولكن مغلفة بأمل وطموح عالٍ وعهود صارمة أنه سوف يكدُّ ويعمل من أجل جلب نجوم السماء لي، ثم صمت منتظرًا تعقيبًا من والدي وعيونه مليئة بالأمل ودقات قلبه تسابق الزمن.

ابتسم والدي ابتسامة لا تنم عن تفاؤل وقال:

لكن إمكانياتك ضعيفة يا بني، وهذا سوف يصعِّب عليك الأمر، فأنت سوف تكون مسؤولًا عن بيت كامل يحتاج متطلبات كثيرة، وأنت كما ذكرت، سوف

تبدأ لحالك دون مساعدة، وأيضًا يتوجب عليك المساعدة في مرض أبيك - أعطاه الله الصحة والعافية- سوف تستغرق الوقت الكثير كي تلبي متطلبات الزواج، كما أنه بعد تجهيزات الزواج، هناك فتح البيت، وهذا ليس بالأمر اليسير، لابد من وضع أسس كيف ستدير شيئًا، ولا أخفي عليك، أنا لدي ابنة واحدة، أريدها أن تعيش حياة هادئة لا تشوبها مشاكل، أريد لها حياة مُرفهة كما تعيش بمنزل أبيها، بل أكثر.

نظر أسامة لوالده نظرة أسى، واندهش آدم لحديثه وتوقعه السوء قبل إتمام الخير! فصمتُ وصمتَ الجميع مستنكرين ما قاله! قطع الصمت والد آدم بصوت واهن ضعيف، يدل على شدة أوجاعه: يا أبا أسامة، الزواج السليم هو القائم على المودة والرحمة والاحترام المتبادل، وليس القائم على الإمكانيات، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: "فاظفر بذات الدين تربت يداك". كما أن الطيبين للطيبات، ومن ثمَّ، فكثرة الإمكانيات أو قلتها لا تقيم منزلًا ليستمر، بل الحب والرحمة والتكافؤ، هذه الأسس التي وصانا بها نبينا الكريم، فتمتم الجميع بالصلاة على الرسول، ولا أخفي عليك شيئًا، كنت أمتلك أرضًا ومالًا يسيرًا ولكن ذهبت بالإنفاق على زواج بناتي ونفقات علاجي -أعطاك الله الصحة والعافية- لم يتبقَّ لديَّ سوى منزلي المكون من طابقين، أنا وزوجتي طابق، وابننا آدم طابق، لذلك فشقته مستقلة له وزوجته، لا شأن لنا وزوجتي بهما، كنت أود أن أؤمن حياة ابني وأساعده،

ولكن ما باليد حيلة، لا أملك له الآن سوى الدعاء له بالتوفيق وبزوجة صالحة وذرية تحمل اسمه، كما أن حالتي تبين لك أن المال يذهب ويتبقى المودة والرحمة، فزوجتي تخلت عن مكانتها وكيانها وطلبت معاشًا مبكرًا وهي في مركز مرموق من أجل رعايتي..

أنصت الجميع لحديث والده الذي يضفي على الجلسة إجلالًا واحترامًا، فصمت والدي قليلًا كأنه يفكر برد يقحمهم جميعًا ويهز إجلال الموقف فقال:

- أنا لا أنكر أن الزواج مودة ورحمة وسكن، فأنا وزوجتي يشملنا الحب والرحمة، ولكن لابد من التكافؤ، وهو ليس بالتعليم فقط، بل بالتوافق المادي أيضًا حتى لا تحدث مشاكل، فأنا أكتب لابنتي شقة باسمها، كما أضع لها رصيدًا بالبنك يؤمنها من غدر الزمان، لا أنظر للماديات كما يتراءى لك، ولكني لن أعيش لها الدهر كله، وأريد لها ألا تشكو يومًا أو تمر بضائقة مادية، وظروف ابنك وضعف إمكانياته تدل على أنها ستعيش بالقليل، وإن كانا يحبان بعضهما اليوم فسوف يلعنان بعضهما بالغد إذا لم يتوفر لهما سبل الحياة والرفاهية، فالحب يهرب من الشباك عند كثرة الضوائق المادية. انتهت المقابلة على أن يتركوا الأمر خاضعًا للتفكير، وأن يقدم ربنا بالخير..

عاد آدم مع أهله محطم الآمال، مكسور النفس، مدغدغ المشاعر، دخل

غرفته واليأس يتناثر كبخور منتشرة أبخرته في كل أنحاء روحه، كاد الدمع يسقط من مقلتيه، لولا كبرياؤه كرجل يرفض الضعف، فقام يتنقل من مكان لآخر ويزفر تنهيداته بألم، تمنى أن كان يدخن لكي يزفر ألمه وحسرته على شكل دخان، دخل شرفة غرفته وشرد بالمارين متسائلًا:

لماذا قابله والدي هذه المقابلة، لماذا لم يعطه فرصة، لماذا أصدر على حبنا حكمًا بالفشل؟ هل الماديات كل شيء في هذا الزمان؟! تزاحمت التساؤلات في رأسه، كاد يُجن وهو يحدث ذاته! وخرج صوته وهو يقول: كيف لفتاة جميلة على قدر من الثقافة والفكر والطيبة أن يكون والدها جاحدًا لا يضع اعتبارًا للمشاعر ولا يزن عواطف البشر؟ هل كل الآباء يريدون أزواجًا لبناتهم محملين بالأموال، وهل المال يضمن سعادة بناتهم؟!
صمتت أفكاره على سؤال واحد، هل كنت سأفعل شيئًا من أجله، أم سأخضع لفكر والدي؟

هل ما دار بيننا عبر شاشات الحاسب ومهاتفاته الحارة وكلماته ومشاعره الجمة خلال سنة كفيل أن يكون سندًا وعونًا لي لمواجهة والدي وإقناعه بأنه يحبني وسيفعل المستحيل من أجلي وتجعله أن يقف بأرض صلبة مطمئنًا لمشاعري؟ فابتسم ابتسامة سخرية للقدر وخرج بنتيجة واحدة، أن المادة كل شيء! فقطعت أفكاره والدته بعد أن دخلت عليه قائلة:

- يا آدم أنادي عليك لماذا لا تجيبني؟

- أسف أمي لم أسمعك.

فرقَّ قلبها، لا تحزن يا ولدي، سوف يرقُّ قلبه عندما يعلم أخلاقك ومدى حبك لها وجلَدَك وتحملك للظروف، فالآباء أكثر الناس خشية على بناتهم، يا بني لا تقلق، هو مع الوقت سيقتنع بك إذا أظهرت تحملك وصبرك للأزمات ومعوقات الحياة، فلا يوجد شيء يسير بهذا الزمان، لابد من الصبر. صمت قليلًا شاردًا ثم أجابها: لا أظن ذلك يا أمي، لقد كان يتحدث بكل عملية، بقلب يخلو منه العاطفة، واثقًا بكل حرف نطقه وكأنه يدبر لرفضي قبل مجيئي أو يخطط لشيء عظيم لها، فهو تحدث فقط عن الإمكانيات ولم يتحدث عن تقاربنا الفكري أو الثقافي، أو عن مشاعرنا وحبنا أو أخلاقنا الذي بها نواجه أي صعوبات، لكن حديثه كله ينم عن أن هناك شخصًا آخر لديه الإمكانيات يريده لها، فلم يعطني فرصة أثبت له عكس تصوره.

فهربت دمعة منها قبل أن تربت على كتفه قائلة:

- يا آدم هوِّن عليك واذهب لوالدك، يريد التحدث معك، وأرجو منك ألا تحدثه بهذا الأمر بانهزام فوالدك مريض و...

فقاطعها باندفاع: يا أمي ثقي بي، فأنا رَجُل أستطيع أن أتخطى أي شيء مهما كان صعبًا أو مُرًّا وتأكدي من شيء، لقد تلقيت درسًا كاملًا، ولن أعاود الخطأ بحقي وبحقكما مرة أخرى.

- عن أي درس تعلمته؟

- أن معك قرشًا تساوي قرشًا، ولابد أن أحقق ذاتي وطموحي أولًا ثم أفكر بالزواج.

- يا بني لا تندفع وتريث، لعل الله يحدث أمرًا.

- لا عليكِ يا أمي، اذهبي وسأخلفك بعد دقائق لوالدي.

وعلى الجانب الآخر، لم يجف بكائي، لم أستطع التحدث وكأن ما حدث قد هبط عليَّ كالصاعقة، أخذت أفكر عن تبرير لموقف والدي في مقابلته الحادة والجافة لآدم وأسرته، فتورمت مقلتاي من كثرة البكاء، وتوقف عقلي عن التفكير، ولم أجد ملاذًا آمنًا لموقفي سوى النوم، فسافرت في سبات عميق وصل أكثر من عشر ساعات دون أن أفيق، فقلق أسامة ودخل غرفتي ليتحدث معي، فقلت له وأنا أبكي:

- أنا لا أعلم لماذا فعل أبي ذلك! ومنذ متى نقيس البشر بأموالهم وإمكانياتهم، وعن أي رصيد في البنك يتحدث لا أعلم عنه شيئًا؟! أعلم بأمر الشقة أنا

وأنت، ولكن لماذا نبرة التعالي هذه، وكيف له أن يجرح الرجل ووالده بكلماته اللاذعة؟! ماذا فعل بي؟!

ثم ارتميت بحضنه، فحاول تهدئتي قائلًا:

- أنا لا أعلم لماذا فعل أبي ذلك، ولكن أوقن أنه يدور شيء بذهنه لا يخبرنا عنه الآن، ولا أظن أن أمك تعلمه لأنها مندهشة أيضًا من تصرفه، ولكن ما يثير فضولي، هو أنه إذا كان بخاطره شيء لماذا وافق على مقابلته؟!

فأجابته بصرامة:

- لأنه يريد أن ينهي كل شيء بنفسه ولا يترك لأحد المساحة ليستعطفه ويسترضيه، أرد أن يقطع الحبال الموصولة ولا يترك لنا أملًا، فهو قطع كل أوردة التفاهم بمشرط بارد مؤلم.

فدخلت أمي على صوتي وحاولت تهدئتي وقالت:

- اهدئي يا بنيتي ولا تبكي، لا شيء يستحق بكاءك ونحيبك هذا، فكل أمور الزواج يحدث بها مشاكل، أنا لا أعلم لماذا فعل والدك هذا، ولكن إذا بكيتِ الدهر كله لن يحل الأمر، ولكن بالهدوء والتفاهم نعلم سر هذه المعاملة من والدك.

مضت أيام خانقة على كل منا، فقد غابت شمس الأمل عند آدم، وغاب ليل الأحلام لديَّ، فلم أتوقع ردة فعل والدي ولا أعلم لماذا جنى على مشاعرنا؟! حتى ذات مساء دخل غرفتي فوجدني نائمة لا أنجز شيئًا بحياتي، واتجهت للنوم للهروب لأني لا أستطيع مواجهة أبي، فكنت شديدة التعلق به وأحترمه، وكان يجيب كل طلباتي ويحترم رغباتي دائمًا، فكيف أزيل خجلي وأواجهه أني أحب آدم أو أقف أمامه بأمر؟! فأيقظني بنفسه، فاندهشت ونظرت له باستنكار: بابا!..فربت عليَّ:

- نعم يا قرة عيني يا روحي، فأنا أسميتك روح لأنك روح ساكنة بداخلي وجزء مني، فتسربت من مقلتي دمعة قاومت وجاهدت بألا تهبط، ولكنها سقطت.

- وأنت أيضًا روحي وكل شيء لي بالدنيا.

- إن لماذا لا تتواجدين معي على العشاء ولا أراكِ؟ دائما أسأل عنك، ويجيبوني بأنك دائمًا نائمة.

- لا شيء، فأنا مُرهقة قليلًا.

- ومن أي شيء أنت مُرهقة إذا كنت لا تعملين شيئًا؟ فأنت نائمة باستمرار.

- ربما مرهقة الذِّهن، فالقراءة والكتابة والنقد وتحليل الأمور يرهق ذهني وتفكيري.

- وفقك الله، ابنتي مثقفة، وسوف تكون أديبة عظيمة بالمستقبل وسأفتخر بك.

- أديبة لقب كبير جدًّا عليَّ، فطموحي أن أكون كاتبة متميزة.

- ستصلين لأحلامك جميعها، فقلبي راضٍ عنكِ، فأنت حبيبة قلبي، وأريد أيضًا أن أفرح بك وأراكِ عروسًا وأرى أولادك قبل مماتي.

فأجبته مسرعة: أطال الله عمرك ومدَّك بالصحة والعافية.

فداهمني بالسؤال: لماذا لم تستفهمي عن معاملتي الجافة لزميلك الذي تقدم لطلبك مني ولم تناقشيني كعادتك معي أو تعارضيني؟

صمتُ برهة من الوقت، ثم انسلت دموعي معلنة عن ضعفي وعجزي عن الرد، وبصوت متهدج نطقت: ماذا أقول بعد ما قيل؟

- لو تعلمين كيف أحبك، وإلى أي حد أخشى عليك، حتى من نفسك وقراراتك، وكيف أفكر بكِ ليلًا ونهارًا وفي تأمين مستقبلك، لما كنتِ نظرتِ إليَّ

هذه النظرة، ولما كنتِ تُريني انكسار عينيك! ابنتي، لا أطيل عليكِ، أنا أب أحب ابنتي جدًّا، أريد لها مستقبلًا باهرًا مفروشًا بكل سبل الراحة، أريد أن أؤمن مستقبلك مع زوج يستطيع تحمل مسؤوليات الزواج ويلبي كل طلباتك، فقلة الإمكانيات يا بنيتي تجعل الحب كأنه سراب، فتأسيس منزل وفتحه ليس بالأمر اليسير.

- لكن حضرتك لم تعطِ لآدم فرصة يسرد تفاصيل ما يخطط له وما يستطيع فعله، وقطعت شريان العلاقة، وحكمت على علاقتنا بالموت لضعف الإمكانيات، وهناك ما هو أهم من الإمكانيات.

فقاطعني: ابنتي، أنا أعلم الكثير عنك دون أن تقُصي عليَّ، أعلم أنك شديدة الإعجاب بآدم، وفي حالة وَلَهٍ حد الخيال، وأعلم أنك غاضبة مني منذ مقابلتي معه، وأعلم أنكما رسمتما بخيالكما أنكما سوف تعيشان حياة وردية مليئة بالحب والأماني والكفاح، وقطعتما وعدًا بأن يكون كل منكما سندًا للآخر، صدقيني يا بنيتي، الزواج والمسؤولية شيء، والحب الخيالي دون إمكانيات شيء آخر، سأقُص عليكِ قصة..

في شبابي، قبل الزواج من والدتك، أحببت فتاة في الجامعة حبًّا جمًّا، كنت أدرس وأعمل مع والدي بتجارته، وأواظب على العمل والدراسة والصلاة، لا أمارس ما يفعله الشباب وقتها من سهر وتدخين وما شابه ذلك، توددت إليها

وتقربنا، حتى وصل حبنا إلى عنان السماء، وشعرت أني لا أستطيع العيش بدونها، فذهبت لوالدي وبُحت له بعلاقتي بزميلتي ورغبتي الارتباط بها، وبعد مناقشة حادة عن أني ما زلت طالبًا وما زالت الحياة أمامي ودراستي، ولكني أقنعته بأني متمسك بحبها ولا أستطيع أن أكمل حياتي بدونها، فأتي معي لطلب يدها، كانت تُدعى سعاد، وكانت من أسرة ثرية، لديها سيارة، وتقطن بمنزل فسيح، كانت على خلق ومتواضعة، وعلى قدر عالٍ من الجمال، وهناك قابلنا والدها أسوأ مقابلة ممكن أن تريها، وتفاخر وتباهى أمام والدي بأن لديه شركة ومنزلًا فخمًا، وابنته تمتلك سيارة وأموالًا وما إلى آخره. لم يتحمل والدي ما قاله، وقام وترك المنزل على الفور دون أن ينطق ببنت شفة أو يلتفت إليَّ، فشعرت بشلل أصاب تفكيري، ما بين أن ألملم ذاتي أو أن أعدو خلف والدي، أو أحاول أن أتفهم الوضع وأقنع والدها بي، وأثناء اتخاذي القرار، نظر إليَّ والدها وهو يرى مقلتي وقد تحجرت بها الدموع، وقال بحنو وعطف: اجلس يا بني. وطلب من الخادم أن يحضر لي عصير ليمون، قلت له لا داعي فسوف أذهب.

- يا بني أنصت إليَّ، أنا لم أكن قاسيًا أو عديم الحس كما تظن، ولكن هناك أشياء باطنية غير معلنة للجميع، أنا رجل عصامي، بنيت ذاتي بعد عمل وكَدٍّ وألم وحرمان، وليس لدي سوى ابنة واحدة، هي سعاد، ولم أنجب غيرها، وبالحقيقة أعاني من كانسر بالدم "لوكيميا" منذ أربع سنوات وابنتي لا تعلم،

وأريد أن أؤمن مستقبلها مع زوج يتحمل مسؤوليتها ويتحمل أعباء طلباتها وإدارة شركتها وأموالها من بعدي، يكون بينهما تكافؤ مادي واجتماعي حتى لا تحدث مشاكل وتعاني من بعدي ولا تستطيع أن تجتاز المِحَن، ثق بي يا بني، سوف يهرب حبكما من الشباك عند أول محكٍّ أو شعورك بالنقص أمامها، أو عجزك عن سد طلب من متطلباتها، يا بني أحيانًا يكون الثراء نقمة، فأغلب المشاكل تحدث عندما تكون زوجة أغنى من زوجها، وكم من الشبان يطمع بها! أعلم أنك تريدها وتحبها وعلى خلق ومثقف، ولكن كرامتك لن تتحمل كونها أغنى منك، أو عجزك عن سد احتياجاتها يومًا ما.

فقلت له: يا عمي، الأموال ليست كل شيء، كما أني لست معدمًا، أنا ميسور الحال.

- يا بني، أنصت من رَجُل سيترك الدنيا خلف تلك الشعارات وراءك،
الأموال كل شيء في هذا الزمن، معك قرش تساوي قرشًا، وبالزواج التكافؤ المادي مطلوب حتى لا تدفنا حبكما بأيديكما..
ومضت شهور وسنون وشددت على قلبي وابتعدت عنها، ومع الوقت قدرت على نسيانها حتى تقابلت مع والدتك.

- لكن يا أبي هذا ليس مقياسًا، ومن غير الصحيح أن تنتقم لحالك من آدم.

فرمقني بنظرة صارمةٍ خجلت وطأطأت رأسي، فاقترب إليَّ بحنو الأب وقال: سامحكِ الله، أنا لا أنتقم منه ولا شيء.

- أعتذر منك يا أبي، ولكن لم أصدقك، فهذه أول مرة أسمعك تتحدث عن المادة بهذا الشكل.

- لن أطيل عليكِ الحديث، فأنا لديَّ العريس المناسب لكِ، هو شخص تحلم به أي فتاة، فمديري بالقسم وصديقي المقرب محمد السيد، لديه ابن يدعى مصطفى، على خلق، أعرفه منذ صغره متعلم ومثقف، يعمل محاسبًا بمصرف كبير بدبي، وله مكانة مرموقة، منذ زمن وهو مسافر، يأتي لمصر من حين لآخر، بارٌّ بوالده ووالدته المتوفاة، مظهره جيد، تنبع من عينيه الطيبة، لا أستطيع القول لكِ كم تمنيته لكِ منذ أن رأيته آخر مرة! إلى أن أتاني والده بالفعل منذ أسبوع وحدثني بشأنك ويريد لابنه أن يراكِ، ولكن لم أصارحك حتى يأتي مصطفى من سفره، فهو على مشارف الوصول، ربما في غضون أسبوع، صدقيني يا بنيتي، سوف تُعجبين بشخصيته وسترين وقاره وستقدرين مركزه المرموق بدبي، كما أنه لا يكبرك بكثير، فهو رجُل ناضج، يقدرك ويحمل مسؤولياتك..
- كيف يا أبي تريد مني الزواج من شخص لا أعرفه وترفض شخصًا مال له قلبي، كيف يا أبي تربط نجاح الحياة الزوجية بالراحة المادية والمكانة المرموقة؟!

- يا بنيتي لا تستبقي الأحداث، اجلسي معه وحاوريه وناقشيه، ثم احكمي ولكِ الخيار الأخير، لن أجبرك على شيء، ولكن أريدك أن تطيعيني بأمر الجلوس معه، فأنا متحمس له جدًّا، ودعوت الله أن يكون نصيبك، فأحببت شخصيته.

- حسنًا يا أبي سأنفذ رغبتك.

مضت ليالٍ ما بين الأرق والتفكير، وكيف سأواجه الوضع الذي وضعني به أبي، وكيف أُعجب بشخص لم أره ولا يربطني به سوى حديث أبي؟! وقطعت أرقي بالتفكير في آدم وكيف حاله الآن، وماذا يقول عن أبي وما شعوره وماذا يقول عني؟ لم يهاتفني من وقتها، ولم أعِ ما يدور بخلده، ولا أستطيع إرسال رسالة أعتذر لأني لم أستوعب الأحداث أو أقدر على مواجهته وقد اختفى من الجروب، فدخل عليَّ أسامة قائلًا:

أريد التحدث معكِ، أعلم أنك حزينة وشاردة بأمر آدم، ولكنه أتاني منذ قليل في المحل، وتحدثنا وقال إنه ليس غاضبًا من أجل هذه المقابلة، فقد أيقظت لديه مفاهيم لم يعتد بها، ولم يكن يعمل لها حسابًا، وأن الإنسان لا يساوي شيئًا دون قرشه، ومهما وصل لمراتب عُليا من الشرف والأمانة والعلم، لا تشفع له في أمور الزواج، فالماديات تتحكم بكل شيء، وأرسل لك رسالة أنه يتمنى لكِ السعادة والخير مع زوج صالح يكون قادرًا على تلبية كل متطلبات الحياة ويستطع أن يسعدك، أما عنه، فهو لا ينسى تلك المقابلة

التي تحدث فيها النصيب أنكما لستما لبعضكما، كما أنه ليس حزينًا بقدر ما هو متفائل أن كل هزيمة يعقبها نصر إذا ربطناها بالإيمان والعزيمة، ويعدنا بأنه سيكون جديرًا بإنسانة أخرى تستطيع أن تقف بجانبه أمام أية عقبات دون أن تنهزم وتراه فارسها الأوحد.

نظرت لأخي وبكيت وقلت له:

- حقًّا، البطولة هذه الأيام عبر الخطب الرنانة، أعلم أنه مجروح الكرامة والمشاعر، ولكن لم أكن أتصور أن يجرحني بكلماته وأنا لا ذنب لي في شيء، قل له يا أسامة أعده بأن تكون حياتي أكثر دفئًا وأمانًا وحبًّا وطاعةً لولي أمري، فبالوالدين إحسانًا، سوف أطيع والدي يا أسامة لأنه يريد لي الخير، ولديه من الخبرات والتكهنات في شباب اليوم لأنه مر بالعديد من الخبرات، قل له إني أتمنى له من كل قلبي أن يجد الزوجة المناسبة التي تضحي بالعالم من أجله، وأعتذر لك يا أخي الحبيب أننا جعلناك حمامة الرسائل، تنهدت وقلت الرسائل المميتة.. ولكن أنت همزة الوصل بيننا.

مضت الأيام والليالي حتى أتى مصطفى من سفره، وجاء اليوم الموعود الذي انتظره والده ووالدي على أحر من الجمر وهو مقابلة التعارف، لم أكن منتظرة بلهفة أو شوق، ولم يكن لديَّ أدنى فضول لمقابلته، وكانت أمي تلاحظني وأنا أرتدي ملابسي، لم يكن لدي الشغف والاهتمام بهندمتي وأناقتي.

وعلى الجانب الآخر، كان محمد السيد والد العريس يجاهد مع ابنه على هدوئه النفسي والابتسامة للقاء العروس، فهو أيضًا لم تكن لديه الرغبة بالزواج، ولكن كم الإلحاح من والده منذ أربعة أشهر بأني العروس المناسبة له، مثقفة ومتعلمة وأخلاقي راقية وجميلة، وهو صديق والدي، فكان يحب عشرته الطيبة، فهو يعرفه منذ زمن، ومع أن والدي لم يجلب أصدقاءه الرجال لمنزلنا، لذلك اكتفت صداقة الرجلين بالمقابلات الخارجية، ووقوف والدي بجانبه بعد وفاة زوجته، وتهنئته عندما تزوج من عاملة بالمصنع أحبها كثيرًا وأنجب منها أبناءه الثلاثة.

بعد أن عزم الأمر مع ابنه، دخل مصطفى محملًا بعلبة شوكولاه فاخرة، وباقة زهور أنيقة، وحلويات شرقية، صمم والده جلبها كنوع من التقاليد المصرية، وحضرا إلينا، فنظر إليَّ وشعر أني خطفته منذ أن نظر إليَّ، فوجد بوجهي براءة لم يقابلها بحياته، وحنانًا بعيني كحنان أمه الذي فقدها منذ صغره، شعر تجاهي وكأن روحه تُسلب منه، وبعد قليل بدأ يتآكل لديه شعور العناد من مقابلة العروس أو تلبية ما رسمه له والده، وبدأ يوزع ابتسامات لكل الحضور وكأنه قد هبطت عليه فرحة من السماء لم يعلم مصدرها، وبدأ بالحديث مع والدي بشكل لائق.

- أنا شخص عصامي، أحب العمل ومخلص له، أفنيت له حياته وتربيت على ذلك، فوالدي من مؤسسي المصنع كما تعلم حضرتك.

- نعم، فالحاج محمد زميل الكفاح وصديق عزيز.

- لذلك لم يكن لديَّ علاقات نسائية ولم أرتبط بحياتي؛ لأنه كان يشغلني بناء ذاتي وتحقيق أحلامي، فالحمد الله، الآن أنا محاسب بمصرف كبير بدبي، ولديَّ راتب كبير، ولديَّ سيارة وأملك سكنًا خاصًّا بي، كما لدي شقتي الخاصة بمصر بمنزل والدي.

- أنعم وأكرم، الله يزيدك من نعيمه، صمت الجميع ثم قال والده:

- ما رأيك يا عروس في ابننا مصطفى؟ أنا أعلم مدى أخلاقك وثقافتك، وأعرف من والدك نشاطك الكتابي والفكري، وقصصت لابني، فغمرت الفرحة قلبه.

فقاطعه مصطفى بكل حدة: عفوًا يا والدي، اتركني أتحدث عن ذاتي.

نظرت لوالدتي نظرة دهشة مستنكرة، كيف يقاطع والده بهذا الشكل! فنظر إليَّ وقال:

- لا تندهشي يا عروسي، فأنا ووالدي صديقان، اعتدنا الحديث هكذا، كما أني لا أحب أحد وإن كان والدي يرى أن يعبر عني وعن مشاعري، فأنا مؤمن

أن المشاعر لابد أن يوصلها صاحبها وأن يبذل مجهودًا لتعبير عنها، أليس كذلك؟

أجابته بصوت خفيض وبتردد وأنا أنظر بخجل لأبي وأخي:

- نعم، المشاعر شيء راقٍ، ولابد أن تكون نابعة من القلب دون وساطة أو تزيين لكي تصل سريعًا للقلب..

نظر إليَّ وشعر بخفقان قلبه وكأنه إعلان عن حب دفين لي، وشعر كأنه يحبني منذ زمن، فبدأ ينظر إلى جسدي وخصري، فوصفني بأني أمتلك مفاتن النساء، وجهًا أبيض كالقمر يشع نورًا وبراءة، وعيونًا براقة تملؤها طيبة وحنان، وشفتين يتدفق منهما الدماء وتجعل لديها حمرة طبيعية، كما لمس جمال ملامحي الطبيعية التي تخلو من تلك المساحيق الزائفة، كنت واضعة كحلًا فقط زين عيوني ووضح جوهر ما تنطقه العيون من طيبة، كما أن خصري متوسط، يعلن عن أنوثة متفجرة تحمل تضاريس إذابة عقله.

فقاطع شروده بي أخي أسامة:

- لماذا لم تأتِ لمصر كثيرًا، فأنا لم أرك مذ كنا أطفالًا، عندما آتي لوالدي المصنع كنتُ دائمًا أراك تجلس بمكتب والدك صامتًا، تنظر للمكان بصمت دون حركة.

أجابه وقد كسا ملامحه الأسى:

ليس بمصر ما أتمسك به لكي آتي إليها من حين لآخر.

صمت برهة وكأنه أحس أن ما يقوله أكثر غلاظة ثم قال:

- أقصد بعد وفاة أمي، شعرت بغربة داخلية وغربة في كل مكان أذهب إليه، حتى بعد ما حاولت أن أقدم على وظيفة فشلت محاولاتي، حتى مشروعي لم يكتمل، فالأحلام لا تتحقق هنا، ولم يعد لي بمصر سوى والدي وزوجته وأبنائهما، كما أني لديَّ أعمال كثيرة بدبي لا أستطيع أخذ إجازات كثيرة، لذلك مُقل في زياراتي لمصر، ولكن إن شاء الله، إن أكرمني ربي ورزقني بزوجة الصالحة سوف تتعدد زياراتنا.

ثم نظر لوالدتي لكي يلتقط نظرة رضا وهو يلقي بسهم كلماته، وكانت عيونه مثل كاميرا فوتوغرافية يلتقط بعدستها انطباعات الحضور عنه، وبعد صمت غلف الجلسة لدقائق تحدث مع أبي، أستأذن حضرتك في المكوث مع روح بمفردنا، أريدها بحديث خاص أمامكم طبعًا.

احمر وجهي واندهشت أمي من جرأته! ولكن صمت أبي وقال:

- لا مانع لديَّ يا بني، تفضل بتلك الحجرة.

كانت حجرة أمام الصالة، دخلت بعد أن أمرني والدي بتلبية مطلبه، جلست وقد زادت دقات قلبي وارتعشت يدي خجلًا من ذلك الموقف، فشعرت أنه قبض على أفكاري وقيد شعوري وسيطر على حواسي، أما هو، فبكل ثقة نظر إلى عيني بحنان ودفء لم أرهما من رجل غير أبي وأخي، فزاد من حدة توتري ثم قال:

- أنا أعلم ما تشعرين به الآن، ومُقدر أنك تشعرين تجاهي بمخاوف من شخص مجهول لا يربطك شيء تجاهه، لا عاطفة ولا سابق معرفة، وكما يحدث بزواج الصالونات، كل من الطرفين يقدم أفضل ما لديه، لكن أحدثك بكل صراحة، كنت لا أريد المجيء لمصر ولا أريد مقابلتك، ليس لك علاقة بالأمر، كل ما بالأمر خاص بي، لولا إلحاح والدي بالمجيء والارتباط وأنه يريد أن يفرح بي، وخوفًا على صحته ما كنت جئت.

نظرت إليه نظرة حادة وكأني أريد أن أفر من جلسته وكلماته النافرة، ولكنه هرول بكلماته المبطنة التي حبسها داخل طيات مشاعره حتى ينفرد بي.

- يا روح، لا أزيد عليك بالحديث، أنا أصارحك بأني كنت أنوي مقابلتك، مجرد مقابلة، ثم أدعي إنه لا يوجد نصيب، مجرد راحة لوالدي، ولكن عندما رأيتك تغير كل إحساس سلبي داخلي منذ الدقيقة الأولى، فشعرت بمشاعر جياشة داخلي لا أعرف مصدرها، شعرت بزلزلة كياني وأنا الذي لا أعترف بالحب من النظرة الأولى ولا أؤمن به، فكنت أراه بالأفلام وأقرأ عنه بالروايات فأسخر منه وأشعر أنه دعابة يسخرون بها على عقولنا وأنا شخص أؤمن بالعلم، شخص عملي أترك العاطفة جانبًا، ولكن عندما رأيتك شعرت أنك شريكة أحلامي وبطلة أيامي، شعرت من عينيكِ بطيبة وحنان أمي التي فقدتها منذ نعومة أظفاري، قابلت نساءً كثيرات، ولم تهز واحدة منهن مبدئي، كما أعجبني بك الثقافة والفكر والأدب، فأنا أحب المرأة الذكية، فالمرأة لم تُخلق للولادة وتربية الأطفال وتغيير الحفاض فقط، ولكن خُلقت لتكون زينة لحياة الرجل في كل شيء وفي جميع مناحي الحياة.

نظرت إليه بدهشة، فقد زالت عنه عجرفته التي تحدث بها أمام الجميع وتعاليه في مقدمة حواره، وشعرت بطفل يتحدث تارة، ورجل مثقف واعٍ يحادثني تارة، كنت أستمع إليه بصمت واهتمام، ثم استطرد في حديثه وقال:

- أنا أعدكِ إذا رزقني ربي بك، سوف ألبي كل طلباتك، وأقدم لك كل ضمانات السعادة والحياة المريحة والرفاهية.

- يا أستاذ مصطفى، الحياة ليس بها ضمانات.

- نعم أنتِ محقة، ولكن سوف أسعى لتحقيق ما يجب أن أقدمه، فالسعي أمرنا الله به، وأكد علينا أنه سوف يصاحبنا، فيقال "اسعَ يا عبدي واستعن بي أبارك سعيك".
ها قد أظهر أمامك أني شاب متعالٍ، فخور بأموالي ومركزي، وذلك انطباع يأخذه الكثيرون عني، ولكن سوف تعلمين أني جاهدت وتعبت كثيرًا لأصل إلى ما أنا به، فلا يحق لي أن أتباهى بمجهود سنين وحرماني عشرات السنين لأصل لهذا، فربنا يقول "وأما بنعمة ربك فحدث".

بدأت نظراتي إليه ترق، وخطفني صدى كلماته، وأعطيت له الحق في حواره، ولكن كان هناك شيء غامض بالنسبة لي لم أعلم مصدره! نظرت له نظرة كلية فوجدته شابًا بالفعل ناجحًا، له مركز مرموق، ويحمل رفاهية وأموالًا، كما أنه وسيم جدًا، طويل القامة، يرتدي بذلة أنيقة وساعة ماركة تدل على ثرائه وشياكته واهتمامه بالتفاصيل، كل ذلك لم أكن أراه قبل أن صرح لي عن مشاعره، والأهم أنه لبق بالحديث ومُطلع، استطاع بحديثه الذي لا يتعدى الدقائق أن يخطف عقلي ويحرك ستائر قلبي.

- أريد منكِ طلبًا قبل أن نخرج لهم.

- ماذا تريد؟

- أن تفكري بي بشكل جدي، فاستخيري الله أولًا، ثم حدثي نفسك عني أني سوف أكون فارس أحلامك ومصباحك السحري، ولكن هذا لا يتم بالزواج فقط.

- ماذا تعني أنه لا يتم بالزواج فقط؟!

- نعم، أنا لا أريد زواجًا دون حب، أريد منك أن تحبيني، بل تعشقيني أيضًا.

ثم لمس يدي، ولكن نفضت يده سريعًا وخرجنا لهم وقد كسا وجهي الخجل والدهشة، ثم خلفني وهو مبتسم لكل الحضور وقد انفكت أسارير والده بعد أن رأى الفرحة تكسو وجه ابنه، ثم قال للجميع: لماذا لا نقرأ الفاتحة على هذه المقابلة؟ فنظر أبي إليَّ، ثم إلى وجه أمي، فوجد ترحيبًا، فقال توكلنا على الله، ثم تمتم الجميع بآمين بصوت عالٍ، ثم قال أسامة وأبي: سوف نفكر بالأمر ولنا لقاءات كثيرة.

مر يومان وقد رن هاتفي برقم غريب لم أعلمه، فأجبت:

- من معي؟

- فارس الأحلام.

فصمت قليلًا ثم قلت: عفوًا.. من حضرتك؟

- أنا المتيم بالعشق، أريد أن أحادث من ملكت شعوري وكياني.

- إن لم تكشف عن هويتك سأغلق الخط.

- اهدئي، أنا مصطفى نسيتِ صوتي؟!

الاسم زلزل كياني وشق روحي من المفاجأة، لم أكن أتخيل أن يحادثني بهذه السرعة بهاتفي الخاص!

-أهلًا حضرتك كيف حالك؟

- حضرتي تائه وسابح في ملكوت الله.

فابتسمت..

- أعتذر لك إن اقتحمت حياتك، ولكن أريد أن أقترب منكِ أكثر وأعرفك عني، ولا أؤثر في قرارك، ولكن أعطيك فرصة تحكمي عليَّ من قرب، لذلك

قابلت والدك بالمصنع وطلبت منه رقمك الخاص، ورجوته ألا يخبرك لكي أفاجئك، فأنا أعشق المقالب.

- هكذا علمتُ شيئًا جديدًا عنك غير مطمئن!

- لا تتسرعي، ربما تكون مقالبي أكثر رومانسية.

- كيف تكون مقالب رومانسية؟!

- لا تستبقي الأحداث، ولكني وددت أن أقول لك أني لست طيبًا على طول الخط، وأحمل بعد الصفات الشريرة.

- يا ساتر!

ضحك بصوت عالٍ ثم قال: لا تخشي منى، فأنا لست مؤذيًا، خصوصًا للناس الذين أحمل لديهم حبًّا، هؤلاء أعطيهم عيوني.

فصمت قليلًا:

- ما زلتِ تخجلين مني؟

- نعم، ما زلت في مرحلة التعرف عليك.

- سوف تكتشفين مزايا كثيرة مع الأيام..

واستمرت المكالمة في جو من المرح، تحدثنا بارتياح، ومر أسبوع وهو يهاتفني، حتى استطاع أن يقنعني، واستطاع أن يجعلني أتيح له فرصة اختراق عالمي، لم يترك فرصة إلا وسبح في أحلامي وخيالاتي لكي ينال رضاي بلباقته وسياسته، فكان يجيد الحديث لأنه عمل فترة بالعلاقات العامة، وتعلم فنون الحديث مع جميع الطوائف والشخصيات، استطاع أن يُميل قلبي ويثير عواطفي له بفترة قصيرة، حتى جاء يوم الخميس لمقابلة أهلي للاتفاق على الشبكة وأمور الزواج.

ومن جانبي جلست ساهرة قبل مجيء الخميس، تذكرت آدم وما قاله لأخي، فشعرت بغصة بقلبي أنه لم يجهد نفسه ويقاوم من أجلي ولم يتحمل كلمتين من أبي، واستسلم من أول ظرف مر عليه، وحدثت ذاتي قائلة:

سوف أطوي صفحتك وأبدأ من جديد، والحمد الله، رزقني الله بشخص ليس كما تصورت من أبي، شخص يشتريني، ولكن شخص تتمناه أي أنثى فارسًا لأحلامها، لذلك قدَّر الله لي الأفضل. توضأت وصليت استخارة، وغفوت واستيقظت الفجر بعد رؤيا طويلة، أرى نفسي عروسًا، أرتدي فستانًا أبيض ولكن دون عريس، لم يكن موجودًا! كل الأشخاص موجودون بحلمي، حتى والده محمد السيد، ولكن لم يظهر أمامي مصطفى بهيئته،

فتوضأت وصليت الفجر وظللت مستيقظة، حتى استيقظت أمي للذهاب إلى عملها، فناديتها وقصصت عليها رؤياي، فباركت حلمي وقالت: ترتدين الفستان الأبيض خيرًا، قاطعتها: ولكني لا أرى العريس بجانبي ولم يظهر!

أجابتني بثقة وفرحة: لكنك شاهدتِ والده وكل أقاربه، أي أن نصيبك معه، مبارك يا قرة عيني، إن شاء الله ربنا سيفرحك. مر اليوم وعادت الأم وتمت التجهيزات لمقابلتهم، وحضر مصطفى ووالده وزوجة والده وإخوته محملًا بالشوكولاه والزهور وهدية، قام أبي بالترحيب بهم، وكان المنزل مهيئًا ومستعدًّا لزيارتهم.

تزينتُ وارتديتُ فستانًا أظهر مفاتني، وضعت قليلًا من المساحيق التي أظهرت جمالي، وكان كل الحضور فرحين في جلستهم، فهي بمثابة قراءة الفاتحة، وجلسوا يتحدثون ويتغزلون بجمالي ووسامة ابنهم، وبدأ الحديث الجدي قائلًا:

- يا عمي، أنا إجازتي ثلاثة أشهر، وعملي حساس، أريد الزواج من ابنتك، أريدها أن تكون رفيقة دربي، منزلي بدبي مجهز بكل شيء وكل سبل الراحة، لا أريد منك جهازًا، أريدها بحقيبة ملابسها، حتى الملابس سوف نشتريها سويًّا.

- صعب يا بني بهذا السرعة.

فقاطعه:

- يا عمي لا أريد أن تسيء فهمي بما سوف أقوله، ظروفي صعبة لمركزي ولإجازاتي المحدودة، وأعلم أن ما أطلبه صعب، ولكن حبي كبير لابنتك ولأسرتك، وشعرت بالدفء بينكم، أريد أن يكون لي أسرة حُرمت منها، واستعجالي على الزواج لهذا الأمر.

- لماذا لا نؤجل الزواج وحفل الزفاف للعام القادم، ونقوم بالخطبة وعقد القران فقط، حتى يتم الوفاق بينكما ونترك لكما مساحة تتعارفان على طباع بعضكما؟

أكد أسامة حديث أبي، فقال والده: يا صديقي خير البر عاجله، نحن أصدقاء منذ زمن، وأنت تعلم أخلاق ابني وأنا أعلم أخلاق ابنتك، فما الداعي للانتظار؟ ألا تريد أن يكون لك أحفاد وتصبح جدًّا؟ فرمقه ابنه وقاطعه: يا عمي، أنا استخرت الله، فوجدت أموري تسير، كانت إجازتي شهرًا، فأصبحت ثلاثة أشهر، كنت أنتظر عرضًا وفاجأني الرد، أنا أؤمن بأن لكل شيء فألًا وفأل ابنتك عليَّ خير، فردت أمي، ولأول مرة تتحدث في وجود أبي قائلة:

- كما أن روح رأت برؤياها، أنها ترتدي الفستان الأبيض، وذُكر اسم مصطفى، ورأت والدك.

فنظر إليها مبتسمًا وقال:

- فأل خير، ماذا تريد يا عمي بعد كل هذا؟

فقالت زوجة والده: لماذا لا نعجل بالزواج؟

فنظر والدي إليَّ وقال ما رأيك؟

- لا أعلم! أحتاج وقتًا لأفكر فيه.

فنظر إليَّ مصطفى قائلًا:

- من حقك، أعلم أن ما أطلبه صعب، فزواجك من شخص وسفرك وغربتك عن أهلك ليس بالشيء الهين، أقدر ظروفك.

فهربت مني دمعة تأثرًا لما قال، وكأنه صوب سهمًا بقلبي ونظرت أمي وقالت:

- ولكن يا بني معذرةً، ابنتي يجب أن يؤسس لها منزل بمصر.

نظر إلي والده ثم قال:

- ولكنا لسنا بحاجة لهذا المنزل، فإذا أتينا مصر سوف نجلس بأي فندق أو أي مكان تختاره.

قاطعته:

بلدكما ستظل مصر، وسوف يأتي يوم تعودان فيه، كما أنك سوف تدخل عليها بمصر.

ابتلع ريقه وقال:

- لا مشكلة، ما زالت شقتي موجودة، يمكن أن نبتاع ما نحتاجه.

قرأنا الفاتحة، وقامت زوجة والده بإطلاق الزغاريد، وقام والده بمباركتي، وساد جو من الفرح، وانتهت الليلة وقد أهداني مصطفى باقة الزهور وهديته التي لم أكن قد رأيتها، فقد أهداني أنسيالًا يحمل حرفين، حرفي وحرفه، يتوسطهما قلب، وكارت به كلمة بمنتصف الكارت "بحبك".
فأسرتني هديته، وشعرت تجاهه بحب خطف وجداني وأنساني آدم، وشعرت برجولته وحنانه، ولكن كنت أشعر بشيء غامض تجاهه ينغص عليَّ فرحتي،

لم يكن يريحني، ولا أعلم ما سر وخز ضميري وهدهدة روحي ومخاوفي! فأثناء ما كان يجول بخاطري، أرسل إليَّ رسالة تحمل:

"عروسي.. كما دعوت الله أن يرزقني إياك، فاستجاب لي بأكثر مما دعوت، فأنا الآن أدعو أن يستجيب لي الله ويرق قلبك وتستجيبي للزواج مني غدًا، بل الآن، فأنا لا أستطيع تحمل فراقك لحظة. فخطفتِ قلبي يا سارقة... إمضاء المتيم بكِ عشقًا...مصطفى".

فأرسلت إليه سريعًا:

"يا أيها المتيم عشقًا، لم أسرق شيئًا، فوالدي أحسن تربيتي وأخشى الله، فالسرقة حرام، ولكن القلوب تُسلب عندما نحب حد العشق؛ فتذهب بخاطرها لمن عشقناه دون استئذان، وتُسجن بقلب من أحببناهم، بل وتعشق محبسها الجديد وكأنه جنة... إمضاء زوجتك بإذن الله".

تلقى رسالتي، قرأها سريعًا واستوقفته كلمة "زوجتك" فانفرجت أساريره وطار من الفرحة، وأرسل إليَّ رسالة تحمل أربعة حروف: "ب ح ب ك" تلقفتها بسعادة حاضنة هاتفي.

وتوالت الأيام، حتى جاء موعد خطبتنا، فأحضر لي شبكة فخمة تعدت المائة ألف، وأقام حفلًا عائليًّا وعقدنا القران في وجود الأهل والأقارب، ومرت الأيام وهو يتودد إليَّ ويقص لي عن كل شيء يعمله دون أن يسرد لي أي شيء

عن ماضيه، وكنت أسرد له عن مشروعاتي الكتابية وما أحبه وما أمقته، ولكن دون أن أقص له عن آدم، اعتبرته ذكرى سوف تندثر بطيات النسيان، فوعدني بأن يساعدني بنشر أول عمل لي، كنا دائمي الخروج لشراء ما يلزم الشقة لكي يتم الزفاف بها كما شرط أبي وأمي، فابتعت الملابس التي سوف أسافر بها، حتى انقضى شهران بسعادة ولم يتبقَّ سوى شهر، فأراد أهلي إتمام الزواج، ولكن تحجج مصطفى بأنه سوف يجهز أشياء تلزم الشقة، وهو مشغول بإجراءات إقامتي بدبي وحجز تذاكر السفر، حتى استنكروا من ردوده ولكنهم صبروا.

مرت ثلاثة أسابيع وانتهى من أعماله ولم يتبق سوى أسبوع، لذلك تم الزواج، وهيأ حفلًا كبيرًا بفندق على النيل جعله مفاجأة لي ولأهلي، وقال هذا ما أخر إتمام زفافنا. سعد أهلي بمفاجأته، وأقام لي فرحًا تحاكى به الأهل والأصدقاء، وكست السعادة وجوههم حتى انتهى الزفاف، وقد حجز الفندق لنا غرفة شاملة لقضاء الزفاف للعروسين. انتهت مراسم الزفاف والسعادة تغمر كل الحاضرين، وبعد السلام الحار للأهل والدموع المنسكبة من أمي وحضن أبي وأخي الحار، صعدت إلى الغرفة بالفندق ومصطفى يحملني إلى السرير بكل حب وحنان، وقام بفك البابيون، ثم قام بحركة مفاجئة، استدار حول ذاته كالمروحة كأنه فاز بجائزة قائلًا:

- شكرًا يا الله، عوضتني بكل لحظة سيئة مرت بحياتي!

ثم انحنى على ركبته كأنه فارس أمام أميرته، وأمسك يدي وقبلها، فمررت يدي على رأسه وقلت:

- ربنا يقدرني لإسعادك.

- أنا لا أريد شيئًا منك أكثر من أن تحبيني وتتحملي معي كأي زوجة صعوبات الحياة، أهذا مستحيل؟

- بل هذا واجبي.

- الحب والعشق ليس واجبًا، ولكن هذا نداء القلب.

- لا تخف، فالمعاشرة الطيبة وحسن الخلق والرحمة بنا ستجعلك سيد أيامي وأحلامي، وأنا بالفعل شرعت في حبك، فأنت زوجي الآن وحلالي.

فقام وقبلني على جبيني؛ فارتعشت خجلًا، فقال لي سوف أغير بالحمام لأتركك على راحتك.

فرحت، وبالفعل قضى وقتًا في تغيير ملابسه، وشغل التلفاز، وتناولنا العشاء معًا، وأعطاني العصير، واقترب مني وهمس بأذني وقال أحبك جدًّا.

فقلت أنا أيضًا أحبك.

فشدد من عناقه لي حتى فكك أواصر جسدي...

- أنا أسف، فلم يكن لديَّ تجارب ولا أجيد فن التعامل مع المرأة، فأنا على سجيتي حين أشعر بالفرح، أقوم بمعانقة من أحبهم.

- لا عليك.

- لن ألمسك حتى تعتادي عليَّ ويزيل عنك خجلك ونتقرب من بعضنا، دعينا نتحدث عنا.

وأخذنا نتسامر حتى غفت أعيننا ونحن معانقان بعضنا البعض، واستيقظ هو قلقًا، فوجدني نائمة فأطال النظر إليَّ وقد حركت كل ما به، فتمالك نفسه وذهب إلى الشرفة ليشاهد المنظر، فالنجوم مضيئة، ومنظر النيل خلاب، حتى شعر بألم بمعدته وبصداع لا يعلم مصدره، فشرب نعناعًا دافئًا وذهب إلى سريره وحاول مواصلة نومه دون أن أشعر به.

أشرقت الشمس بنورها واستيقظت ورأيته نائمًا، فذهبت إلى الحمام مستغربة! وارتديت رداءً آخر يليق بالصباحية التي لم تتم، ونظرت إلى هاتفي، وجدته مغلقًا، جلست أنتظره ولم يستيقظ، فحاولت فتح هاتفي، فاستيقظ على صوت الفتح فقال لي:

- مبارك علينا الصباحية، منذ متى مستيقظة؟

- منذ ساعة تقريبًا.

- أعتذر لكِ، قلقت ليلًا وشعرت بألم بمعدتي ورأسي جعلني أغفو لهذا الوقت.

- لا عليكَ يا حبيبي.

قام مسرعًا إليَّ وأعطاني قُبلة وانتشل مني هاتفي.

- أنتِ حبيبة قلبي وروحي، لماذا تقومين بفتح هاتفك؟ أمللتِ مني؟

- لا، ولكن لم أغلقه، وأمي أرسلت لي رسائل.

- أنا أغلقته لكي نستجم بعيدًا عن صداع الأهل وتطفلهم.

- ولكن أمي وأبي يريدان الاطمئنان عليَّ.

- وهل سوف أعذبك مثلًا أو أخطفك؟! أنا زوجك، سوف أهنئك. واقترب مني وقال أنتِ ملكتي وروحي، استحالة أن أؤذيك.

استنكرت عدم معرفته ونظرت إليه:

- هما لم يستفسرا عن حالي وكيف تعاملني، هما يطمئنان عن حالهما وشيء لهما.

- صمت قليلًا ماذا تعني هل تقصدين الـ.

- نعم.

- وما دخلهما بهذا الشأن؟ هذا شرفي أنا وهذا سر بيننا يخصنا نحن، وتلك العادات لم يأمر بها الدين. ثم استطرد بحزم وبلهجة آمرة: أنا لن أفعل ذلك.

- ما أصابك؟ لماذا توترت وعلا صوتك وتصببت عرقًا هكذا؟! من حقهما أن يطمئنا على شرف ابنتهما، وأنا لا أعني أن تريهما شيئًا، فهذا لم يحدث بعائلتنا، ولكن الوالدين لهما حق الاطمئنان لكي يهدأ بالهما.

اقترب وأمسك بيديَّ وقبلهما معتذرًا، وأخذ يخفض صوته وهو ما زال يتصبب عرقًا، زائغ العينين، والتوتر يلجم لسانه ويغطي ملامحه.

- أنا مغترب عن مصر منذ زمن وعن هذه التقاليد، وأجهل ما يحدث في هذه العادات، ولكني على أهبة الاستعداد لأفعل ما تأمرين به.

- الأمر لله، أنا لا دخل لي، فهذا الشأن سوف يسألان عنه، فهذا حقهما.

- لديَّ فكرة، سوف أتصل بهما وأطمئنهما بنفسي حتى يطمئن قلبهما ويتركانا وشأننا، وأمنع نفسي حرج عدم أخذهما قطعة القماش التي لا تعني لي شيئًا، فشرف المرأة بعقلها وبأدبها وأخلاقها، وليس بقطرات دم صغيرة.

أخذت أنظر إليه بدهشة وحيرة من كلماته ونظراته التائهة!

- لماذا أنتِ صامتة؟ أتريديني أن أفعل ذلك الآن؟ أنا مستعد.

وأخذت تتسارع أنفاسه ولم تستقر نظراته على موضع، نظرت نحوه باستغراب!

- اهدأ ماذا أصابك؟! أنا لا أريد شيئًا، اجعل الأمور تأخذ مجراها الطبيعي، فقد استرحت لك عندما قدرت رهبتي منك وخجلي، ولكن ما أنت به الآن أقلقني أكثر.

أخذ نفسًا عميقًا وهدأت نبرات صوته:

- ماذا أقلقك مني؟ أتخشين مني؟

- ماذا أصابك؟ أنت تتصبب عرقًا.

فربت على معدته بيده وهو يتلوى:

- ألم أقل لكِ إني قلقت ليلًا أشكو من ألم بمعدتي؟

- اجلس وسوف أطلب لك شيئًا ساخنًا.

- طلبت نعناعًا.. أعتذر لك يا روح إذا مرضت بليلة صباحيتنا.

- لا توتر ذاتك، أكيد لديك القولون.

- نعم نعم، فأنا أشكو دومًا منه، فربما هذا سبب ما أنا فيه!

- استرح، ولكن النعناع سوف يزيل ألمك.

- دعكِ مني، سوف أستريح وسأبقى بخير.

مرت الساعات، لا أعلم ما سر تقلباته! وانهالت الرسائل والهواتف مغلقة حتى قلت له:

- لابد أن أتصل بأهلي، أكيد أصابهم القلق.

- دعيني أحدثهم معك.

وقمت بمهاتفتهم وهو يجلس بجواري:

- أمي، كيف حالك؟

- أقلقتني عليك يا روح قلبي.

- أنا بخير.

فانتزع مني الهاتف محدثًا إياها:

- يا ماما ابنتك خطفت قلبي وسلبت روحي، تستكثرون علينا هذا الوقت نهنأ به بالجنة؟!

- يهنئكما الله يا بني، كنت أريد الاطمئنان فقط.

- اطمئني يا أمي كل شيء بخير.

- مبارك يا بني، لقد أدخلت السرور على قلبي.

فرمقته بعيني مستنكرة ما قاله! وأعطاني الهاتف، وسيطر عليَّ التوتر وملأ القلق قلبي وهو ينظر إليَّ نظرة بلهاء! فاستأنفت حديثي مع أمي بأني بخير،

وحدثني أبي وأخي وأغلقت الخط، ثم نظرت إليه في صمت فتهرب من نظراتي.

- ما رأيك نخرج لنسهر في اللوبي أو نحضر حفلة بالفندق؟

- مثلما تحب.

- ارتدي ملابسك.

فقمت وارتديت أمامه في خجل، فأخذ ينظر إليَّ ويتفحصني، فاقترب مني وعانقني بحنان وقَبَّلَ كل جزء بي حتى سقطنا على السرير من شدة شهوتنا، ولكن سرعان ما كتم أنفاسه وقام مسرعًا رابطًا معدته وتركني ملقاة على السرير.

- أعتذر منك، عبثت بملابسك، يمكنك هندمة ذاتك مسرعة حتى لا نتأخر على الحفل.

نظرت إليه بريبة، وتملكت أعصابي، ولملمت زمام روحي، وأسرعت بهندمة حالي وهو أعاد تمشيط شعره ووضع عطره الخاص، وبعد برهة من الوقت كنا بالقاعة، وبدأ الحفل، وأخذنا نتبادل النظرات التي تحمل استفسارات كثيرة، فطلب أن أرقص معه، ولكني رفضت لشدة خجلي وهو يمسك يدي

بحنان، فكان يعاملني وكأني ملكة ولا ينظر لغيري، برغم وجود نساء كثيرات جميلات منسدلة شعورهن ويرتدين ملابس مثيرة وملفتة، ولكن لم يلفت ذلك انتباهه، وكأنه لا يرى غيري بالحضور، فأسر قلبي وتحيرت من أمره! كنت معه شاردة، أرى تصرفاته أمام الناس وكأني ملكة متوجة، ولكن تصرفاته المريبة بمفردنا في لحظات حبنا واضطرابه، وما أخبر به أمي أقلقني! قطع شرودي بنظراته وكلماته:

- بدبي سوف تستمتعين، فالسكن فندقي، كل شيء منظم، وكل شيء سوف يريحك هناك.

ابتسمت وعيني حائرة:

- حبيبتي بلاها نظرة الحيرة، لا تكترثي بشأن الغربة، لأني سوف أُملي عليكِ حياتك، كما أن الوسائل التكنولوجية الحديثة سهلت وسائل الاتصال، فلن تشعري بغربة، وبوقت الفراغ سنخرج وتمارسين هواياتك مثل الكتابة.

- إن شاء الله.

انقضت السهرة ما بين ابتساماته وصمتي وحيرة قلبي، وقضينا الليلة دون أي جديد، حتى حزمنا حقائبنا وذهبنا لشقته في منزل أبيه، فقد تبقت ليلتان على سفرنا لدبي ومباركة الأهل وتوديعهم لنا، فأتوا محملين بما لذ

وطاب وهدايا، بالإضافة إلى إعطائنا نقودًا. كانت الشقة مزدحمة بكل أحبائنا وسلاماتهم الحارة، فهي ليست مباركة لزواجنا فقط، بل هم يودعونا قبل السفر أيضًا، وكانت الحوارات دائرة بين أبي ووالده وأخي ورجال العائلة، وكان مصطفى، برغم انشغاله بالحوار، دائم النظر نحوي وكأنه يراقبني، فيجد صديقاتي وأقاربي وأمي فيرتاح قلبه، ومع الوقت استأذن كل منهم حتى اختليت بوالدتي، وكنت أنتظر الفرصة لأقُص لها عن أمور حياتي وعن اضطرابه، وعن ألم معدته والكثير من الأشياء المهمة بالنسبة لي، فقلت لها:

- أنا أشعر بحبه طوال الوقت، ويريد أن يسعدني بشتى الطرق، ويعاملني كالملكة، ويعدني بأشياء كثيرة مطمئنة لي ويتحاور معي برُقيٍّ.

- الحمد والشكر لك يا رب، استجبت لدعائي بزوج صالح لابنتي.

- لكن أحيانًا تفلت منه بعض الكلمات والتصرفات، لا أعرف مصدرها أو سبب انقلابه للنقيض! ولكن سرعان ما يفهمني سبب انفعاله.

- يا بنيتي، كل شخص له طباعه الخاصة، وأنتما ما زلتما بأيام زواجكما الأولى ولستما على دراية بطباع بعضكما، مع الوقت والمعاشرة والمودة

والرحمة ستتقاربان وستفهمان بعضكما وتتقارب أفكاركما وتعلمين ما يجول بخاطره وهو أيضًا.

شردت وكدت أخبرها بالشيء الذي يقلقني، لكنني صمت.

- ماذا بكِ يا بنيتي؟ ما زلتِ تخجلين مني؟ أنا أمك، قصي عليَّ كل شيء تريدين أن تعيه كي أرشدك ولا تخجلي، إذا كنتِ تريدين استفسارًا عن علاقتكما الحميمة فلا تخجلي.

صمت ونظرت إليها بعين حائرة، وكدت أخبرها، فطرق الباب ووجدته أمامي قائلًا:

- لماذا أنتِ يا حبيبتي بعيدة عني كل هذا الوقت، ألم تفتقديني؟

همَّ بتقبيل جبيني أمام أمي، فضحكت أمي داعية: ربنا يبارك لكما يا بني، فنظرت إليه متعجبة من أمره قائلة:

- من فضلك، أريد أن أتحدث مع أمي على انفراد، فسوف أتركها وأتغرب، تستكثر عليَّ دقائق أجلسها مع أمي؟!

فكسا وجهه الإحراج وقال: "أعتذر، لم أقصد شيئًا ومع ذلك حاضر". كتم إحراجه وخرج لجلسة الرجال، فنهرتني أمي: "ما هذا الجفاء وهذه القسوة؟!" فبكيت واحتضنتها قائلة:

- لا أعلم لمَ فعلت هذا! ولكني في حيرة من أمري، والشكوك تملؤني، وأشياء جديدة عليَّ فوق مستوى تفكيري لم أمر بها لأقيِّمها.

- ماذا بك يا بنيتي؟

- لا أعلم، أنا أشعر بشك تجاهه!

ثم صمت برهة، ولكن بكائي لم يصمت، همست: "أنا ما زلت عذراء يا أمي، فهو لم يلمسني"، تعجبت أمي من تصريحي قائلة: "ماذا؟!"

أضفت: "نعم.. ففي بادئ الأمر تحجج بأنه يتركني حتى لا أخجل وأعتاد عليه"، وبهذا استرحت له، ولكن هناك شيء غريب حدث بالأمس..

- أخبريني ماذا؟

- كنا نغير ملابسنا لنسهر بحفلة وغيرت أمامه، فإذا به قد همَّ بي وسقطنا على السرير، وقد استثير جدًّا وأنت تعلمين، ونظرت بالأرض خجلًا.

- أكملي، وماذا بعد؟

- ولكن بالنهاية شعر بألم في معدته، ويوم الزفاف أيضًا شعر بألم بمعدته ورأسه، أنا أشعر وأشك أن لديه شيئًا يخفيه عني!

- اهدئي يا بنيتي، سوف نسأله.

- لا، أرجوكِ يا أمي، فقد اتفقنا أنا وهو أن حياتنا الخاصة بيننا، ولا أريد أن أخل بالاتفاق حتى لا يغضب.

- ولكني أستعجب، فلماذا قالَ لي أنَّ كل شيءٍ على ما يُرام؟!

- هذا ما يشككني به، كما أنه دائمًا يتحاشى أن أجلس معك بمفردنا، ولا يريدني أن أقُص لكِ عن هذا الموضوع ويرى أنها عادات وتقاليد.

- لا تقلقي، من الجائز أنه لم يأخذ راحته بالفندق، وسوف يتم اليوم بمنزلكما، فما زال أمامك اليوم.

- أملي أن يصارحني إذا كان يشكو مرضًا.

- وإذا كان يشكو مرضًا، فلماذا لا يصارحك؟ فالمرض من عند الله، ولا يحول بينكما، ولا يقلل من شأن رجولته وهذا طبيعي، قد يكون مرهقًا من

تجهيزات الشقة والفرح، فلقد أرهقناه بمطالبنا بوجود شقة بمصر، وتجهيزات الفرح، كما أنه أخبرنا في بادئ الأمر أنه ليس لديه علاقات نسائية، وهناك رجال يستحون.

- هو قال لي أكثر من مرة عن أنه رجل عملي وليس له علاقات نسائية ولكن..

- لا شيء، هو زوج رحيم بك ويخشى عليك من النسمة، يريد أن تحبيه، فوالدك أيضًا كان رحيمًا بي، وتركني حتى يزيل رهبتي، تفاءلي خيرًا يا بنيتي، صحيح أني زدت قلقًا بهذا الشأن، فأنا كأم أريد الاطمئنان عليكما، ولكن كل رجل وله طباعه وأفكاره، وكل زوجة لابد أن تطيع زوجها طالما لا تغضب ربها، فطاعة الزوج من طاعة الرب. يا بنيتي تفاءلي خيرًا وهيا بنا نخرج لهم.

خرجت أمي وهي تحتضني، وأخذت أسلم على أبي وأخي سلامًا حارًا، فقال لي أخي: سوف آتي قبل السفر، ولنا جلسة طويلة أودعك بها بطريقتي، لا تقلقي يا صغيرتي، وتركوني وقد تساقطت دموعي، فرفق بي مصطفى واقترب مني واحتضني ومسح قطرات دموعي التي سقطت على وجنتي وقال لي:

"كفي عن دموعك، فهي تحرق قلبي. وأخذني ودخلنا غرفة النوم، وقال لي أنا أحضر لك مفاجأة". فسكنت وأنا أنظر إليه بلهفة، فتش بدولابه، وأخرج منه صندوقًا كبيرًا قديمًا وأعطاه لي.

- ما هذا؟

- هذا عمري الذي قد مضى، أعطيه لكِ.

- لا أفهم!

- افتحيه.

فتحته، فوجدت بداخله صورًا أبيض وأسود وهو صغير مع سيدة تحمل ملامح طيبة، وصور نفس المرأة بفستان زفافها، ولكن مقصوص منها الشخص الذي بجانبها، وجدت ملابسه وهو صغير وبعض الورق، وألعاب صغيرة، ومصوغات ذهبية.

- شيء جميل أنك تحتفظ بذكرياتك.

- هذا عمري كله.

- أكيد أن تلك السيدة الطيبة والدتك أليس كذلك؟ ولكن لماذا قصصت صورة والدك؟

- لأن والدي ما زال حيًّا معي، ولكن هي ليست معي.

- منطقك غريب!

- أعلم، ولكن أنا أريدها بمفردها وأريد صوري معها، فهذا صندوق حياتي بمفردي، فكل إنسان منا له حقيبة ذكريات يضع بها ما يحبه ويخشى على فقدانه وما يريد إخفاءه عن الآخرين.

فقلبت فوجدت أجندة قديمة..

- هذه خواطري، مع إني لا أجيد الكتابة مثلك وخطي سيء للغاية، ولكن أعتقد أن المشاعر الداخلية وخبراتنا السابقة لا تحتاج لانتقاء كلمات وتزيين الحروف. أليس كذلك؟

نظرت له بإجلال. نعم، كم أنت عظيم! لم أكن أرى منك الجانب الرومانسي.

- أنا سعيد، لذلك أريد أن أهدي لكِ هذه السلسلة "ما شاء الله" لكي تحرسك من العين.

- هذا كثير عليَّ.

- لا تقولي ذلك، أنت زوجتي وحبيبتي..

- ربنا يجعلني زوجة وأمًّا صالحة لأبنائك.

اقتربت الساعة من الواحدة، فبعد العشاء دخلنا حجرة النوم، فارتديت قميصًا أسود، أظهرت به جميع مفاتني، كنت أريد أن أثير مشاعره وأنفذ حديث أمي، فحركت بداخله الشهوة، فاقترب مني وأخذ يداعب مشاعري بالقول وبالفعل، حتى استسلمت له نهائيًّا، وبدأ يغوص بمجدافه على جميع بحري، وغاص بكل مياهه وامتزجنا، وقام بحرث أرضي جميعها، ولكن دون أن يصيب بفأسه جذوري واكتفى بحرثي، وبعد دقائق انتهى بري جميع أرضي بمياهه دون أن أُروى أو يصل إلى مكنوني. كان يعبث بجسدي كالمجنون دون جدوى، فحاولت إبعاده عني، وبعد محاولات متكررة نهض من فوقي وتسارعت أنفاسه، فشعر بألمه المعتاد بالمعدة، ولكن كان ألمي أكبر، فشعرت بكل جسدي يتهتك ويرتعش ولا أقوى على الحديث، فذهب إلى الحمام وغاب برهة من الوقت وعاد، فوجدني قد بدلت ملابسي التي ارتوت بمائه، جالسة على السرير أنظر له بحدة:

- ماذا بك وماذا تخفي عني؟

- لا شيء...ماذا تعني؟

- أنت تشكو مرضًا وتخفيه عني.

نظر إليَّ وقد تصبب عرقًا واقترب مني: لا أعلم ماذا حدث لي، وما هذا الألم اللعين الذي ينتابني عند الاقتراب منك! فاقترب أكثر وأمسك يدي وكأنه يتوسل قائلًا:

- أرجوكِ أن تتحملي، هذا طارئ عليَّ، سأعرض نفسي على طبيب وأقوم بالفحص لعله خير.

نظرت له متذمرة.. إن شاء الله، فنظر إليَّ بأسى، فتذكرت حديث أمي، فاستطردت بعطف قائلة:

- ما عليك، لم يحدث شيء، كلنا معرضون للتعب المفاجئ، ربما تكون تجهيزات الفرح أرهقتك.

- نعم، أنتِ بالفعل خير زوجة.

وبعد أن واسيته وجدته يذهب إلى مخدعه، وراح في سبات عميق وكأنه لم يحدث شيء! ولكني سهرت الليل بعيون ساهرة حائرة، أحمل شكوكًا ومخاوف من المجهول الذي ينتظرني، وأشرقت الشمس وعيناي مفتوحتان، فاستيقظ ووجدني لم أغفُ، فقال:

- ماذا بك؟ لماذا ذبلت عيناك واصفر وجهك؟ أما زلتِ قلقة من السفر؟

- أخشى من الغربة والمجهول!

ألم أعدك بأنك معي لن تشعري بغربة؟ ما زلتِ لم تثقي بي.

- لا تقل هذا ولكني قلقة.

ومرت الساعات وانتقلنا جميعًا للمطار مع الأهل، وودعونا توديعًا حارًّا بالأحضان والبكاء حتى أقلعت الطائرة، وبعد ساعات وصلت منزلي، فوجدته قصرًا مصغرًا، فوصفه لي لم يكن دقيقًا، كان مليئًا بالأثاث العصري والتحف وكأنه متحف ولا يوحي بأنه منزل مصري مغترب!

- ما رأيك؟ كل هذا سوف يكون لكِ، فكنت أعمل وأجهز هذا المنزل منذ عشر سنوات ليليق بامرأتي.

وقبَّل يدي مثل الأميرات فاحتضنته قائلة:

- ربنا يقدرني وأسعدك.

مر أول يوم بسلام، وذهب باليوم الثالث دوامه، فشعرت بوحدة، كنت لا أعلم ماذا أفعل! فهاتفت أمي وقصصت لها عن أحوالي وعن منزلي، وأني بحالة جيدة، واضطررت أن أكذب عليها أنه قد تم المراد لطمأنتها، فقررت

أن أحمل شكوكي وحيرتي وحدي. سارت الأيام بانتظام ورتابة دون جديد ودون أن يذهب للطبيب للفحص، حتى جاء يوم لم تطلع عليه شمس، وكان عائدًا من دوامه عصبيًّا من مشكلة بالدوام، فقدْ فَقَدَ عرضًا ماليًّا، فكان يسب ويلعن ويركل كل ما أمامه، حتى خشيت منه وسألته، ماذا بك يا مصطفى؟! اهدأ.

- لن أهدأ، اتركيني وشأني، ما هذا البرود؟! أقولك لكِ فقدت عرضًا ماليًّا ودخلًا عظيمًا لنا، تقولين لي اهدأ! ما هذا البرود؟!

أخذ يحدِّث نفسه ويلومها أنه فعل ذلك ولم يفعل ذلك، فتركته وذهبت إلى غرفتي، أخذت أبكي بكاءً حارًّا وأحدث ذاتي: ما ذنبي في كل هذا؟! أنا فقط أردت تهدئته، ومرت ساعة، فأتاني مُكفهر الوجه، محملًا بأسف كثير قائلًا:

- لا أعلم كيف أعتذر إليكِ، ولكني أطمع بكرم أخلاقك وأعتذر منك بشدة، لم أكن بوعيي حين أغضبتك، كنت هذه الساعة أحاول توبيخ ذاتي وتأنيبها على ما بدر مني، ولكن قُلت لنفسي لابد أن أعتذر، فالاعتذار لا ينقص من شأني بل يعلي من شأني أمامك. يا روح أعتذر لكِ ولن أغضبك مرة أخرى، ثم نظر إليَّ بحنان وقال هل سامحتني؟

أجبته ودموعي على وجنتي: سامحتك..

ومر الوقت، حتى جاء الليل وطلب مني أن أرتدي قميص نوم أحمر، يظهر كل مفاتني، واقترب مني بحنان وغازلني، ولكن دون أن يقترب من جسدي، وقام بممارسة عادته أمامي، وأخذ يلقيني بألفاظ جنسية مفجعة، وكان يقترب مني ويعبث بجسدي وهو يرتعش، وكان جسدي ينكمش كلما اقترب مني، وبعد أن انتهى من هذا العرض الأسود رمى بجسده على السرير، وقمت مسرعة مرتدية روبي إلى الصالة أبكي حظي ونصيبي الذي رماني بين أحضان رجل عاجز جنسيًّا، مريض لا يستطيع إرضائي أو يلبي متطلباتي، وحكم عليَّ بالحرمان وعدم الشعور بأنوثتي وحرماني من الأمومة أيضًا، ظللت أبكي بكاءً حارًّا، وألعن حظي وعدم تصديقي لشعوري الداخلي الذي كنت أشعر به أنه يخفي عليَّ شيئًا ولكن لم أتوقع هذا، أخذت أمسح دموعي وأتساءل: ماذا أفعل، هل أواجهه بما علمته من تصرفاته، أم أخبر أهلي، أم أحاول تفهم وضعه؟! قد يكون له علاج أو... أصابني دوار شديد، وقمت بإفراغ ما بمعدتي من هول ما رأيته، حاولت أخذ مُسكن حتى أستريح من الألم الذي أصاب رأسي ومعدتي وجميع جسدي، حتى استكنت وغفوت بالصالة، فقام وحاول إيقاظي، وفتحت عيني فوجدته فشعرت برجفة وخوف شديد.

- بماذا تشعرين؟ حرارتك مرتفعة جدًّا سأستدعي لك طبيبًا.

- لا، سوف أستريح قليلًا.

فأسندني وأدخلني غرفتي ولم يذهب لدوامه وأنا أهذي بكلمات لم يفهم معناها. طهى لي طعامًا حتى أفقت بعد ساعات من تعاطي خافض للحرارة ومسكن، فرأيته ممددًا جانبي، فرمقته بنظرة عميقة تحمل كل معاني العتاب واللوم، استقبلها ولم يعلق، حتى جاء المساء وخرجت إليه في مكتبه بعد أن استجمعت قواي قائلة:

- أريد أن أتحدث معك.

- تفضلي يا روحي، دقائق وانتهي من هذه الأوراق.

- سوف أنتظرك.

بعد ربع ساعة احترقت فيها تفكيرًا وتحملت أثقال إحساسي ومشاعري جاءني:

- أنا معك حبيبتي.

اقترب ليقبلني ولكن امتنعت بشدة، فقال باندهاش:

- ماذا بك؟ تخشين عليَّ وأن تنقلي لي عدوى؟

نظرت له باستهزاء وقلت:

- عدوى البرد والسخونة يمكن علاجهما، ولكن هناك أشياء أخرى لا تُعالج أبدًا!

- ماذا تقصدين؟ لا أعي معنى حديثك!

- أنت تعلم مقصدي، ولكنك اعتدت البرود.

- ماذا حدث لتحدثي زوجك بهذه الطريقة؟

- زوجي لم يكن صريحًا معي منذ البداية، زوجي كسر ثقتي وهز مكانته أمامي.

- ماذا حدث لكل هذا؟ ما زلتِ غضبانة لتعصبي عليك بالنهار؟ كنت مضغوطًا ومضطربًا، كما أن من واجبك كزوجتي المصونة أن تتحملي أعباء وأحزان زوجك.

- انتهينا من هذا، لن أحدثك عما حدث بالنهار لأني بالفعل سامحتك، كنت أبكي بالفعل من فرط حساسيتي، لكني أحدثك عما حدث ليلًا.

فصمت وقد زاغت عيناه وتصبب عرقًا:

- وماذا حدث؟ أنتِ زوجتي وعليك إسعادي بكل الطرق.

فرفعت صوتي: إلى متى ستدعي عدم الفهم؟ لماذا تريد أن تحرق أعصابي بهذا البرود؟ أنت تعلم ماذا فعلت بي، كيف تجرؤ على هذا، وكيف خدعتني

كل هذا الوقت، وخدعت أهلي وخدعت براءتي وثقتي وثقة أهلي بك؟ فلم يعطوك ابنتهم لتعبث بها وبكرامتها وتحرمها من أبسط حقوقها.

كنت أبكي بحرقة وأنا أنظر إليه، وهو كان شاردًا يتصبب عرقًا صامتًا لحديثي دون أن يعي معنى كلماتي الرنانة بأذنه، كان يريد أن يفيق من دوامة ذكرياته، ذهب إلى مرحلة طفولته وتذكر كيف توفيت أمه، ومر أمام عينيه شريط حياته، وتذكر حرمانه من حنان الأمومة، وكيف أن والده تزوج بعد وفاة أمه بستة أشهر، وكيف قاسى مرارة الغيرة من أن تأخذ بنت العشرين مكان أمه وتصبح سيدة المنزل، كيف كانت ترتدي لأبيه ملابس خليعة، كيف كان يتلوى ألمًا عندما كان يسمع رنات ضحكاتها بغرفتهما، على الرغم من أنها لم تسئ معاملته، لكنه كان يكرهها، يكره والده، ويكره كل أقاربه، وفضل أن يعيش مع ذاته ولذاته، حطم كل معاني الحس والمشاعر داخله، كان لديه طموح وحلم أن يصبح غنيًّا يملك كل شيء ولديه سلطة تغنيه عن الاحتياج لأحد أو مشاعر أحد.

فصرخت بوجهه: إلى متى ستصبح صامتًا؟ وقمت بهز جسده حتى أفاق من الرؤية السينمائية لشريط حياته، فهبطت من عينيه دمعة لم تهبط بحرقة وألم منذ وفاة أمه، وقال بصوت يشبه أنين عصفور غريق:

- أشهد الله أنكِ أنتِ الوحيدة التي أحببتها وجعلتني أشعر أني آدمي، أحس وأشعر، وأقسم بالله أنا لا أقصد جرح كرامتك أو إهانتك أو هز ثقتك بي، كل ما بالأمر أني أعاني مشكلة نفسية تجعلني أشعر بـ...

صمت وقال: اصبري عليَّ حتى أتفهم وضعي الجديد.

- لماذا لم تصارحني؟

- بأي شيء أصارحك؟

- أنك.. صمتُ حتى لا أجرحه، فبكى بكاءً شديدًا، لم يستطع تحمل الدموع داخل مقلتيه، وانحنى أمامي وقال:

- صدقيني، لم يكن لي ممارسات جنسية قبل الارتباط بك، ولم أحاول، كنت أعف نفسي وأبتعد عن معصية الله.

لا، أنت تعلم حالتك، وحاولت بكل الطرق أن تخدعني حتى آتي إلى هنا وتضعني أمام الأمر الواقع.

- كنت أخشى أن تتركيني وأنا أحببتك حبًّا عظيمًا، صدقيني أنا عانيت بحياتي كثيرًا.

وأخذ يسرد عليَّ عُقده النفسية، حتى جمعنا بكاؤنا وانتهى حديثنا بأن قطع على نفسه عهدًا أن يعرض نفسه على الطبيب ويخضع للفحوصات، ومن جانبي أعطيته فرصة أخيرة، وقطعت عهدًا عليَّ أن أصمت وألا أخبر أحدًا بحالته حتى لا تهان رجولته.

مرت الأيام والليالي ما بين دوامه وما بين المطبخ والتلفاز ومهاتفات أهلي من حين لآخر، حتى شعرت بالوحدة والغربة، وحدة داخلية من نوع خاص، شعرت بصداع يلازمني دومًا، وعرض عليَّ أن أذهب لطبيب ليفحصني ولكني رفضت، كنت أسهد الليل أفكر وهو يفعل ما اعتاد عليه ثم يذهب في سبات عميق، وظللت أتحمل الذل ومهانة كرامتي والعبث بجسدي، وأتكبد ألمًا وتحترق مشاعري وأدفن احتياجاتي ومتطلباتي الأنثوية، واستعنت بالصبر والصلاة والدعاء أن أخلص من ظلم الحياة لي، وأطلب من الله أن ينير لي الطريق ويحسن تدبيري.

توالت الأيام وهو لا يحرك ساكنًا ولا يعرض نفسه على طبيب كما وعدني، ولكن خضع لفحوصات أظهرت أنه لا يشكو مرضًا عضويًّا أو جسديًّا، فلبثت أناقشه الذهاب إلى طبيب نفسي، وألححت عليه، فكان يماطلني بحجة العمل ومصاريف الأطباء الباهظة هناك، وأنه غير مقتنع بالعلاج النفسي، وأن الإنسان طبيب ذاته، ويرى أنه مع الوقت سيعتاد عليَّ، كنت أسترضيه تارة، وأشجب تارة، وأستعين بالدعاء، حتى قلت له ذات مرة:

- أنا لا أستطيع تحمل هذه الحياة وأريد حلًّا.

- ماذا تريدين أن أفعل؟! هذا أمر الله وهذا نصيبك.

- ما زلت تتحدث بكل برود، أنت أناني، تفكر بذاتك ولا تفكر بمشاعري، وتريح ذاتك بطرقك الملتوية، وتقوم بإهانة جسدي ولا تفكر باحتياجاتي.

فَهَمَّ وصفعني صارخًا: كيف تجرؤين على التحدث معي بهذه الطريقة؟ كنت أظن أنك على خُلق ماذا تريدين مني؟ أتريدين أن أستأجر لكِ رجلًا آخر يريحك من متاعبك؟ أنا لا أكفيكِ؟

- ما هذا الحديث؟! حقًّا هذا الحمق لا يخرج من رجل يشعر برجولته.

فصفعني على وجهي بعنف وأخذ يسبني ويلعنني بألفاظ نابية مفجعة لم أكن أسمعها يومًا واستطرد قائلًا:

- أنا اشتريتك بأموالي وأقدر على شراء غيرك، وأنتِ في عز لا تحلم به عائلتك.

فقمت بكل عزة وكرامة ومسحت دموعي ونظرت إليه وبتحدٍّ أنثوي قائلة:

- صحيح، تستطيع أن تشتري بأموالك أشياء كثيرة، من وجهة نظرك مهمة، ولكنك لا تستطيع شراء محبة واحترام أو حتى تعوض رجولتك.

فكرر صفعاته المتتالية على وجهي، فاستقبلتها كلها دون أن أبكي، فتحجرت الدموع بمقلتيَّ ونظرت له وقلت بعزة وكرامة:

- أنت لست رجلًا، قد تكون ذكرًا، ولكن الرجولة والفحولة ليست بالسرير فقط، ولكن بكلمته وأمانته، وأنت لم يكن لك كلمة، خنت الأمانة التي وضعها أبي برقبتك، فإذا كنت تحتفظ بذرة كرامة طلقني.

- لن أطلقك، ولن أنوِّلك مرادك، ستعيشين معي ذليلة حتى أمَلَّ منكِ.

وأنهى حديثه وتركني، ومنذ هذا اليوم تركت له الغرفة ونمت بمفردي، وأخذت أفكر كيف أنجو من هذا الشيطان اللعين الذي تملكه ومن أمراضه النفسية، أخذت أبحث عن حلول بالإنترنت وأقرأ، حتى وجدت هناك مثلي الكثير على مستوى الوطن العربي، يتحاورن في منتديات ويضعن طرقًا للتعامل مع أزواجهن الذين طرأ عليهم الضعف الجنسي فقرأت، ولكن لم أستطع أن أعرض مشكلتي لحساسيتي الشديدة وخوفي من إفشاء سري ومعرفة هويتي، كما أني لم أستطع فعل ما قرأته من مساعدات وحلول لأني لم أرد البقاء معه، ولم أعد أحبه أو أحترمه بعد إهانته وضربه لي.

مرت أيام غربتي، ولم أجد شيئًا يخرجني من انكسار مشاعري وجرحي الغائر بأعماقي غير الكتابة. أخذت أكتب خواطري، وسردت كل شيء في دفاتري، شعرت ببعض من الراحة واستعدت قواي، حتى قررت الاتصال بأهلي

بمصر وحدثت أبي على الفور، وسردت له كل شيء دون تحفظ عن كل ما فعله وما فعلته، وطلبت منه أن يتدخل، أكدت بحديثي بشكل مبطن لعدم جرح مشاعر أبي أنه السبب بما مررت به في اختياره العريس ذي الأموال والمكانة الاجتماعية، ولكن أنهيت حديثي أنه نصيبي وأنه أيضًا سندي حتى لا أحمله فوق طاقته، فتلقى أبي صدمة شديدة حتى مرض مرضًا شديدًا وأصيب بالسكري من شدة الغضب، وقام بالإرسال إلى والده وسرد له كل شيء وأنه لا يريد شيئًا في الحياة غير أن تعود ابنته بين أحضانه، وأن يطلق سراحها ولا يريد منه شيئًا، إذا كان يريد كل شيء يأخذه، لكن يرجع ابنته دون أذى، احتج أخي قائلًا:

- لابد من تعويضها، وأن تأخذ حقوقها وتعلمه الأدب.

فاشتد والده أسفًا من الصدمة ولم يجد من الكلمات ما يقوله، ولكن بكى على حال ابنه وحالي وما أصاب صديقه وأسرته، فاعتذر بشدة وقطع وعدًا بشرفه أنه مسؤول عن كل هذا وسيصلح ويحل الأمر، فقام والده بالاتصال به وقال له كل ما حدث وعما فعله بها وكيف لم يصارحه بكل هذا. أنَّبه عما فعل ببنات الناس وهو لديه أخوات بنات، فصرخ بالهاتف وقال:

- أنا لم يكن لي أخوات، أنا وحيد طوال عمري، منذ أن توفيت أمي وأنا أحمل ذاتي ومسؤولية حالي وليس لأحد حكم عليَّ وبنت... سأتصرف معها.

عاد مصطفى بكل غضب، يحمل بركانًا ثائرًا بأعماقه، حتى وصل للمنزل، فوجدني بالغرفة أحاول أن أبحث عن جواز سفري، فوجدته أمامي وقام بنهري وصفعي.

- ماذا بك أيها المجنون؟!

فجذبني من شعري وألقاني على السرير وأخذ يمزق ملابسي وهو يلهث ويقول:

- سوف أجعلك لا تصلحين للزواج ولا الإنجاب مرة أخرى، سأذبحك حالًا وأرى قطرات دمك لكل رجال عائلتك ليعلموا أنك كاذبة.

صرخت به وقلت: "استعذ بالله واهدأ"، ولكن شيطانه كان غالبًا عليه، وهمَّ بي وقام بتكتيفي محاولًا ذبحي ليحصل على قطرات شرفي، وأصبحت لا أقوى على التحمل، فبكيت وأنا أستجديه وأرجوه، ولكن دون جدوى، حتى استطعت صفعه بتحفة كانت على الكمود وأفلتت روحي، فخلفني وصفعني وهو يسبني وكاد يذبحني حتى استحلفته بأمه وكأني لمست نقطة ضعفه، فذكرت اسمها وقلت: "أمك سوف تغضب منك وتتبرأ من تربيتك، أنت ابنها الذي تحبه وأفنت عمرها من أجله، اجعلها فخورة بك". فهدأ وأخذ يبكي بكاءً حارًّا فاستكان، ونهض فجأة يصفع رأسه بالدولاب قائلًا:

- كيف يا أمي تريديني أن أتركها وهي من تسببت بفضحي؟!

ثم أفاق من نوبته ونظر إليَّ نظرة غاضبة، فقمت وأحضرت له صور أمه فخطفها مني وقال:

- اخرجي، اتركيني وشأني، لا أريدك ولا أريد أحدًا، أكرهكم جميعًا.

بالفعل تركته وأسرعت في ارتداء ملابسي وتركت له المنزل، اتصلت بوالده الذي حضر بعد ساعات وحاول تهدئته واسترضاءه، وأخذ يعانقه بشدة محاولًا تهدئته، وطلب منه أن يعرض نفسه على طبيب، واستطاع إقناعه، وذهب به إلى مشفى خارج نطاق عمله حتى لا يفتضح أمره، فقام الطبيب بإعطائه مهدئات، وتركه والده ليبحث عني بالمناطق القريبة، فوجدني في كافيه بالقرب من السكن أجلس وحدي فأعادني إلى المنزل، وسردت له كل شيء وأطلعته على الصندوق وأجندته الخاصة، وأنه يعاني من مشكلة عجز جنسي بسبب وفاة أمه، وزواج حضرتك أثر عليه بالسلب، وأحداث كثيرة قد تفيدك لعرضها لطبيبه المطلع على حالته.

أجاب بتوتر: لا تقلقي يا بنيتي، لن نغصبك على تحمل ما لا تطيقين، صبرًا، سوف أخلصك منه وأعيدك لأهلك. عاد لابنه بالمشفى وطلب منه الطلاق، رفض وامتنع؛ لأنه بالفعل يحبني، بالإضافة لخوفه من الفضيحة.

أجابه والده: يا بني الفضيحة هي ما تفعله { الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }.

شعر بمحبة والده له وكم تكبد من أجله، ومدى حزنه عليه، وأنه ترك كل شيء من أجله وسافر إلى بلد أخرى لنجدته، شعر أنه يحبه حبًّا شديدًا لم يكن يعلمه، استطاع والده أن يطلقني منه بالفعل، وأعطاني كل شيء ومستحقاتي وأوراقي الرسمية، ولكن طلب مني أن أُسامح ابنه لأنه لم يكن مسؤولًا عن تصرفاته لأنه مريض منذ زمن وأن أدعو له، فبكيت قائلة:

- أنت لا تعلم ماذا فعل ابنك بي وما قال لي، فأساء معاملتي وأشعرني بمهانة و..

- يا بنيتي ليس على المريض حرج، أعلم جيدًا وأشعر بك، ولكن هذا ابني فلذة كبدي، لا أستطيع كرهه أو القسوة عليه بعد أن علمت بمرضه، فأرجوكِ أريد منك أن تسامحيه، وأطمع أيضًا أن تصفحي عني، فأنا كنت السبب في آلامك.

رقَّ قلبي من انكسار والده وإلحاحه فقلت له: سامحتكما وربنا يغفر الذنوب ويعفو عنه.

قال: لي طلب أخير قبل أن أصطحبك إلى مصر وتعودي لأهلك، بل هي رغبة قوية ومُلحة.

- ماذا تريد مني يا عمي؟

- أرجوكِ قبل أن تجيبيني حكِّمي قلبك قبل عقلك، قبل أن ترفضي أو تقبلي، ابني يريد أن يحدثك لآخر مرة ويطلب منك الصَّفح.

أجبته وجسدي يرتج بشدة وأنا أبكي:

- يا عمي أرجوك، ارحم ضعفي وراعِ كياني وكرامتي، لست ملاكًا، لقد طلبت الصفح والدعاء له وهذا فوق طاقتي، ولكن قلت الله يسامحه، ولكن أنا بشر لا أستطيع الغفران، فالغفران من صفات الإلهية، أرجوك لا أستطيع لقاءه.

وبكيت، فأخذني في حضنه قائلًا:

- كفِّي عن البكاء، أنا مُقدر يا بنيتي، ولكن كانت رغبته الأخيرة، فهو بالمشفى، سوف أتركه وأوصلك مصر وأعود إليه وربنا يتولاه بحكمته.

أقلعت الطائرة وتركت دبي، أحمل معي حقائب ملابسي، محملة بخيبات وجراح تملأ حقائب عديدة، فما زلت أحمل ذكريات وجراحًا لا تُداوى، ولكن كنت واثقة أن الله كريم، وهو خير سند وهو الذي نجاني من كل المهالك واستعنت بالصبر والدعاء.

وصلت إلى أهلي محملة بجراح داخل أعماقي، مخفية ما أصابني بابتسامة وطمأنينة، عندما رأيت منزلي وأبي أمي وأخي ووطني كأني شفيت ظاهريًّا باحتضانهم جميعًا، فخيَّم على الجو حزن وبكاء شديد وحار منهم، ولكني احتضنتهم بثبات، أخذت أواسيهم ألا يحزنوا، بل يشكروا الله ويصلوا، إنه كان كريمًا معي. كان أبي لا يقوى على النظر إليَّ، ومرت أيام يتحاشى الحديث معي، فدخلت غرفته بعد أن اشتد مرضه وأصبح لا يقوى على النهوض وقلت:

- يا أبي هوِّن عليك وخفف من ملامة نفسك، هذا نصيبي مكتوب عند الله، لا شأن لبني آدم به ولا يستطيع أحد أن ينفذ شيئًا إلا بإرادة ربنا { قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا } كما أن دعاءك لي أنجاني، فأنا أمامك، سليمة

لم يحدث لي شيء، فهوِّن عليك، فأنا أحتاجك بظهري، لماذا تعجبك رقدتك في السرير والتزامك غرفتك؟ أريد أن أستقوي بك، أنت سندي بالحياة.

لكنه لم يستطع سماع همس كلماتي، فبكى أمامي، لأول مرة أرى أبي يبكي بهذه الطريقة وقال:

- تحاولين ترميمي وأنتِ في أمس الحاجة لترميمك؟ تريدين أن تستندي عليَّ وأنا من قصم ظهرك وحطمكِ؟! يا بنيتي أنا لا أصلح أن أكون سندك، فظهري قُصم، وقلبي تهشم بكل لحظة بكيتِ بها، بكل لحظة ألم شعرتِ بها بسببي، أرجوكِ سامحيني يا بنيتي، لم أكن أعلم الغيب.

- كفاك يا أبي، بكاؤك يعذبني، أقسم لك بالله أنه لم تُرد عليَّ روحي إلا عندما وصلت مصر واحتضنتكم، شعرت بأمن وراحة، من فضلك أبي، لا أريد أن أرى لحظات الانهزام في عينيك فأنا أراك دومًا قويًّا، وأستمد من قوتك أمني وراحة بالي.

فبكيت واحتضنته بشدة، وفي الصباح الباكر استيقظت على خبر رحيل أبي، لم يكن باستطاعته تحمل صدمة ما حدث لي وتأنيب ضميره، رحل عني من كان سندًا لأيامي، لم يبقَ لي سوى أمي وأخي اللذين اختبأت في ظهرهما، ولم أستطع أن أخرج من محنتي أو أهرب من ألم فراقه بغير الدعاء والصلاة.

وتشجيع أخي لي بالرجوع للكتابة وتحقيق كياني. كان يمدني بالكتب ويبتاع لي كل ما أميل إليه، كان دومًا يخرجني ويتحدث معي، أراد أن يشعرني بأني لم أفقد شيئًا، أعطاني من حنانه ومدني بإرادة قوية، فحاول معي بكل الطرق أن أنفذ مشروع الكتاب الذي كنت أحلم به وأحقق طموحي، وبعد محاولات مستميتة منه ومن أمي، استطعت أن أشرع بالكتابة وأواصل حلمًا راودني منذ مراهقتي.

جمعت معلومات وبحثت وقرأت، وكتبت أول عمل لي بعد سنة من البحث والتأمل والصراع الداخلي والألم والفقد والحنين ومشاعر الإحباط، ولكن تشجيع أخي وأمي جعلني أخرج عملًا مميزًا وأسميته "حكاية روح". ظل العائق أمامي ليست الأموال، ولكن اختيار دار نشر محترمة، فبحثت مع معارفي السابقين حتى اخترت عدة دور نشر، ولكن بالمصادفة، كان هناك رجل معجب بكتابتي أثناء ما كنت أكتب بجروب "ماذا تقرأ هذه الأيام" ولكن بعد أن اختفيت تاه حسابي لديه، فوجدني بالجروب أعلن أني أبحث عن دار نشر متميزة تطبع أول عمل لي، فأرسل إليَّ على الخاص عن استعداده لنشر كتابي، وأملاني نظام الدار لديه، فأعجبت بشروطه واستشرت أخي وأمي والمعارف، فباركوا لي قائلين شروط ممتازة. بالفعل طبعت الرواية ولقيت استحسانًا كبيرًا من النخبة ومن القراء العاديين.

استطاع سامي عبد الكريم صاحب الدار أن يوزع روايتي بشكل لائق، وعمل لها دعاية ممتازة، حتى وصلت بفترة قصيرة إلى الطبعة السابعة، فأردت بعد فترة أن أشكره، فأرسلت له شكرًا برسالة تليفونية، ولكن صمم أخي أنه من المستحسن أن أشكره بمكتبه، فذهبت بباقة من الزهور مع أخي لمكتبه، فاستقبلني استقبالًا حارًّا وأخذنا نتحدث كثيرًا، وفاجأني أمام أخي أنه معجب بي منذ فترة، أثناء ما كنا بالجروب، ولكن لم أعطه فرصة الاقتراب مني، ومع الوقت علم بالصدفة أني تزوجت وسافرت لدبي، ابتسم أخي وصمت ولم أتحدث وهو يسرد لنا عن مدى إعجابه بي وأنه علم بانفصالي لعدم التوافق وعدم تحملي الغربة؛ فزاد بداخله الأمل أن اقترب حلمه، وزاد بريق أمله عندما قرأ بأني أبحث عن دار نشر لطباعة روايتي، وواجهني بطلبه أنه يريد الارتباط بي، ابتسم أسامه ابتسامة قوية وقال:

- أنت شخص ناجح وممتاز، ويسعدنا أيضًا طلبك، ولكن الأمر يخص روح وحدها.

فنظر إليَّ، ولكني لم أتفوه ببنت شفة، طلبت الاستئذان وتركت المكان، عدت إلى المنزل وأغلقت غرفتي، وكنت لا أريد التحدث مع أي شخص بالكون، واتجهت للنوم الكثير كعادتي للهروب من أي شيء يقلقني، ومرت الأيام وأمي تقنعني، وأخي يحاول معي لإعطاء الفرصة لذاتي أن أعيش، وبأن الحياة لا تقف على أزمات قد مررت بها.

بعد مناقشات عدة، وحديثي مع ذاتي واسترجاع ما قد مضى، قررت أن أعطيه فرصة، وجلست معه، فصارحني بكل شيء، هو رجل مثل أي رجل، مر بالعديد من الارتباطات والعلاقات والعثرات، ولكن الدنيا علمته التعلم من خبراته، كنت أسمعه بعقلي ولا أترك المجال لقلبي، وقررت ألا أتسرع وأضعه بالعديد من الاختبارات المتنوعة لكي أرتبط به رسميًّا.

وبعد مرور علاقتنا بمراحل هبوط وصعود تمت الخِطبة، ولكن بشرط مد فترتها كي أدرس طباعه جيدًا، حتى وصلت الفترة إلى تسعة أشهر دون أن أستمع لحديث الناس عن أني مطلقة ولا يصح تمديد فترة خطوبتي، فوضعته في مواقف عدة أثبت فيها رجولته، وأنه شخص يُعتمد عليه. بالنهاية وافقت على إتمام الزواج، وباقتراب موعده صرحت له أني لا زلت عذراء، وسردت له كل شيء عن حياتي الماضية؛ فزاد إعجابه وحبه لي واحترم شخصيتي ورأى فيَّ نِعم الزوجة!

تزوجنا وعشت معه أحلى أيام عمري، أنجبت توأمًا، ولدًا وبنتًا، كان الولد يشبهني والبنت تشبهه، ولم أعد أتذكر أيام الحرمان وسنين الألم، وأصبح لديَّ العديد من الروايات والكتب الناجحة بمساعدة زوجي الذي كان خير سند وخير رفيق، الزوج صالح، والأب الحنون لأولادي.

انتهت

2016

* * *

حلوى الصبار

مثل صحراء جرداء قاحلة جافة، لا تنبت إلا النَّبت القليل الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، مثل الأشجار في الخريف، لا تزهر ثمارها ولا يبرق عبيرها، فتتساقط أوراقها واحدة تلو الأخرى، فتبقى فروعها عاريةً غير مطمئنة، تشعر ببرد حرمانها من غطائها الورقي الذي يكسوها ويؤمنها ويزيد من قيمتها ويعطي للأشجار حياة، فكان حموها يشبهها بتلك الصحراء التي لا تفيض عليهم بالخير الكثير، بأرضها القاحلة التي لا تنبت ولا تحمل خيرات لذويها، مهما سقيتها لا تعطي إلا القليل، فلا تنبت محصولًا يكفي، هكذا هي "رحمة" زوجة "حامد" لحميها الذي كان ينعتها بالصحراء القاحلة أو الجدباء التي لا تنبت له ولدًا مهما سقاها ولده من مائه، فهي أرض بور، لا تصلح لجني محصول صالح من صلبه يحمل اسمه ويخلد ذكراه من بعده، فالصعيدي لا يرتاح له بال أو تهدأ روحه إلا إذا أنجب ذكرًا يخلد اسمه واسم عائلته.

"سليم العوضي" صاحب تجارة الأخشاب الذي أنجب ثلاثة ذكور وبنتين، وأنا "حامد" ابنه الأصغر الذي أحبه كثيرًا وأتعلق به بعد أن زوج إخوتي الأربع وتفرغ لتربيتي. قام بتعليمي حتى تخرجت في كلية الهندسة، فطلب مني مساعدته في تجارته، ولكني رفضت قائلًا: يكفي أن إخوتي وأزواج أخواتي

يعملون معك، أنا أريد تحقيق ذاتي بنفسي خارج مصر. لم يفرض عليَّ سطوته كأب يحبني كثيرًا ويهدهدني، فحقق رغبتي، وسنحت لي الفرصة بالسفر إلى قطر، حيث شركة إنشاءات كبيرة كان يعرف مقاولًا بها فتوسط لأجلي.

كنت بارًّا بوالدي، لا أخلف لهما أمرًا، طيبًا، ودودًا، متعاونًا، هادئ الطباع، كسحابة الصيف التي لا تعصف ولا تمطر دون سابق إنذار، كما يصفني الجميع، منذ صغري أحب وأعشق بنت الجيران "رحمة" لكن دون أن أُصرح لها أو أظهر مشاعري، فلقد تربيت على احترام الجيران وبنات عائلتي، ووالدي كان يبث داخلي صفات الرجولة بأن لا أتغزل ببنات منطقتي، فهذه أفعال صبيانية ذكورية لا تمت للرجولة والشهامة بصلة، كان يغرس داخلي الأصول الصعيدية منذ صغري، فعشت وفعلت كل شيء كشاب مراهق مع أصحابي، ولكن دون أن ألهو بالفتيات أو أعدهن وأخلف، أو أشرب مخدرًا، أو أتنازل عن أصولي الصعيدية مهما تمدنت.

فكلما تقابلت مع الإناث لا أستجيب لإشعاعهن، كانت رحمة بداخلي، أهواها منذ نعومة أظفاري، أكبرها بستة أعوام، فشاهدت مولدها، وكبرت وترعرعت تحت نظري، لذلك أشعر أني أمتلك تاريخها بين راحة يديَّ، فهي بنظري جوهرة ثمينة لابد أن أسعى وأجتهد حتى أصل إليها، لذلك لم أفكر

يومًا أن ألهو معها أو أن أصارحها، كنت أكتفي باستلاب النظر إليها والابتسامة التي توحي ولا تصرح.

وهي كانت صبية ناضجة الأنوثة، تحمل وجهًا ملائكيًا تشع منه البراءة، وعيونًا تستحي، وثغرها يشع منه حمرة تذيب السكارى، وشفاهًا صغيرة جدًّا تشعرك بأنها شفاه طفل صغير. كانت قليلة الحديث، تكتفي بخطف النظر وتوزيع الابتسامات من حين لآخر، والدها "رؤوف" صديق والدي، فهما جيران منذ زمن، منذ أن نزح والدي إلى قاهرة المعز وترك المنيا، وكانت بينهما مصالح يؤديها لأجله والدي بنفوذه وسطوته وغناه. كان رؤوف متوسط الحال، ولكن بمصالحه مع والدي استطاع أن ينفذ مشروعًا زاد من دخله، وتدفقت الأموال بيده مثلما تتدفق المياه في النهر الثائر.

كلما زادت أمواله تزوج من أخرى، غير والدة رحمة، فكان يحب النساء ويشعر معهن بسعادة ترفع من شأن رجولته، فكان يتباهى بأنه رجل مزواج، أو ربما أراد أن يحقق نبوءة الطبيب الذي ذهب إليه أبوه بعد حادثة مؤلمة تعرض لها عندما كان يلعب مع الأطفال، فكانوا يترامون بالحجارة، فأصاب حجر كبير عضوه الذكري؛ مما أصابه بذعر وتسبب له بألم عظيم لا يستطيع وصفه، فذهب به أبوه إلى المشفى وأسعفوه وضمدوا جراحه وطمأنوه على حاله، فلم يطمئن والده، فذهب به إلى أكبر الأطباء، فكان والده عابس الوجه، خائفًا يتفصد عرقًا، ينتظر نتيجة ما حدث لولده

الوحيد، فكان يخشى على ذكوريته وعلى نسله من بعده، ولكن جاء الطبيب بالبشارة، بعد الكشف الدقيق والفحص بالأشعة الحديثة، لم يصب الحجر ذكورته، فأخبره أنه كامل الذكورة، لم يصدق من الفرحة، فأقسم أن الحجر لم يصب خصيتيه ولا أثر على ذكورتِه، وأنه يستطيع الزواج من خمس، اعتقد أن الحادثة ظلت بذاكرته ولم ينسها، فتزوج بخمس نساء، من ضمنهن والدته رحمة التي كان يبقي عليها مهما مر وتلاشى الزمن، فهي صبيته التي تربت على يديه وعِشرة عمره وابنة خالته.

كانت رحمة نجيبة بالدراسة، ولكن والدها لم يجعلها تلتحق بالدراسة الثانوية العامة، فكان يكتفي بالقليل من التعليم ليدخر أمواله لنزواته وشهواته والزواج من أخريات، هي دائمًا صامتة شاردة، تحب الأغاني الرومانسية وكتابة خواطرها على الورق، فهي دائمًا بالمنزل، تشاهد التلفاز أو تجلس بشرفتها، أو تذهب لصديقتها. كانت حياتها أمام عيني دائمًا؛ لذلك لم يخلُ خيالي منها، فقد كانت تجوب بروحي وعقلي وتتمركز بقلبي، حتى جاء موعد سفري لقطر لأبدأ حياتي، فشعرت بقشعريرة داخلي، وذعر نخر في روحي من الغيب، ليس على مستقبلي أو الغربة التي تأكل في أرواحنا وتنهش أعمارنا بعيدًا عن الأهل والأصدقاء وارتباطنا بالأماكن، ولكن خشيت على رحمة أن تضيع مني.

هي صبية لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها، لها قوام جذاب وجمال طاغٍ يسلب القلوب، أخلاقها كريمة، وعقلها في تدبير الأمور وإدارة المنزل، فيحلم بها أي شاب لتزيين بيته، فكان عليَّ أن أفعل أي شيء حتى لا تضيع مني رحمتي أو أفقدها، فهي رحمة قلبي، فسهّدت الليالي أفكر كيف أُصرح لها وأطلب من والدِي فعل شيء من أجلي، كيف أقنع والِدتي بأن تكون رحمة كِنَّتها بدلًا من بنت صديقتها أماني التي تحبها، كيف أقنع والد رحمة وإخوتها بأني جدير بها وأنا لم أعمل ولا أعلم ماذا يخبئ لي الغد! هجرني النوم وخسرت الكثير من وزني، وتركت لحيتي، فكان يشعر بي والدي برغم مشاغله، فأنا كنت قريبًا من قلبه، يعتني بي ويفكر بي دومًا، فذات نهار كان يصحو والِدي مبكرًا لاستقبال شحنة أخشاب في مخزنه، فطرقت باب غرفته، فأذن لي بالدخول. كانت والدتي بالمطبخ تجهز كعادتها إفطار والِدي، حتى وإن لم يكن يفطر كثيرًا بالبيت، ولكنها كعادتها، تحافظ على واجباتها كزوجة وأم منذ سنين، فدخلت وكنت مطأطأ الرأس، أشعُر بخجلٍ شديدٍ من والدي، كيف سأجرؤ وأطلب منه أن يزوجني برحمة وقد رفضت أن أعمل معه وخيبت ظنه بي، وقررت بكامل إرادتي أن أبعد عنه لأحقق ذاتي بمفردي؟! كانت كل الاحتمالات تدور بذهني، من رفض وغضب، وقبول وشفقة وتوعد، لم أستطع أن أرفع نظري بوجهه.

- ما بك يا ولدي؟ أما زلت تخشى السفر والغربة؟ أتريد الرجوع بكلمتك؟ قل لي يا ولدي، لساك عالبر، لا تخشَ لائمة لائم، ما زال يا ولدي عودك أخضر.

- يا بوي أنا مستعد للسفر ومجهز حالي، فهذا قرار أخذته بعد تفكير عميق، ليس في قراري شيء يقلل من عملك أو أني لا أريد العمل معك -حاشا لله- ربي يعلم أني أريد أن أعيش في كنفك وتحت أقدام أمي، ولكن أردت يا بوي أن أحقق ذاتي وأرد إحسانك عليَّ وأعود لك مهندسًا كبيرًا له اسمه، وأرجع بلدي نتعاون في رفع شأن تجارتنا.

- يا ولدي تستطيع أن تحقق كل ما تتمناه هنا وأنا أساعدك، ولكن أنت لا تريد مساعدتي، أعرفك منذ كنت طفلًا، كنت تعتمد على حالك، ولديك عِزة نفس، لا تطلب شيئًا، لذلك كنت ألبي لك كل شيء تحتاجه دون أن تطلبه، كان إخوتك يرون أني أُدلِّلك بزيادة لأنك آخر عنقودي، ولكن لا يعلمون بأنك تحمل عِزة نفس وكبرياء يمنعك طلب أي شيء، كما أنت الآن أمامي، لا تعلم كيف تطلب ما تريده وتخشى مني وتعمل لي ألف حساب قبل أن تتفوه!

- يا والدي أنا أحترمك قبل أن أخشاك.

- أعلم يا ولدي، الجميع هنا يخشاني لأنهم يرون حزمي وقوتي بالأمور ظاهريًّا، فالعمل لا يدار بالمهاودة، بل لابد من حزم الأمور بشدة، لكني أحمل حنانًا كبيرًا لأولادي، وأيضًا أعطف على عُمالي وأراعى احتياجاتهم، المهم يا ولدي، صارحني، ما جاء بك إلى غرفتي وجعلك تخسر وزنك وتصير نحيفًا

كيف عود الجصب؟

ضحك حامد ونظر لوالِده وجمع زمام لسانه وقال:

- أنا أريد رحمة بنت رؤوف في الحلال، يا والدي أريد أن آخذ كلمة قبل سفري.

صمت سليم وهو ينظر بشدة في عين حامد، فارتجف وقال:

- لا تسئ فهمي يا بوي، أنا لم أصرح لأحد بهذا الأمر، أنت أقرب الناس إليَّ بالدنيا، ولم أبُح بمشاعري ورغبتي، حتى لرحمة ذاتها.

ضحك سليم من خوف ولدِه، وقال: كبرت والله يا ولدي، وتريد أن تكمل نصف دينك، وأيضًا تؤمن ضماناتك قبل السفر.

- يا بوي والله... قاطعه سليم: يا بني أنا أعلم كل شيء، منذ صغرك وأنت تحبها ولا ترى غيرها، كانت عيناك تبرُق عندما تراها، كنت تجلس بالدار إذا أتوا إلينا، دائم التودد لأبيها رؤوف، مع أنك تكره فيه أنه مزواج، كنت لا تستجيب لعروض والدتك ببنات كثيرة من أجل رحمة.. أعلم يا ولدي أنك لم تفعل شيئًا يجعلني أغضب عليك، أنت رَجُل.

- وما رأيك يا ولدي؟

- لا تخف، سوف أطلبها من والدها ولن يمانع، فسوف أعطيه جوهرة عائلة العوضي، كما أن رحمة بنت خلوقة وجميلة ولساها صغيره، وليست ابنة رجل غريب نخشى منه، سوف تكون أيضًا طوعًا لنا.

- ألست معترضًا أنها ليست من أهلنا صعيدية؟

- يا ولدي، منذ تركنا الصعيد واختلطنا بأهل مصر بدأ يتلاشى هذا الأمر قليلًا، وكما يقول إخوتك أني أدللك بزيادة تدلِيلة أخرى.

انتهي الأمر بالموافقة، ورحب الجميع بهذه الخطبة، حتى والدته، باركت الأمر بعد أن علمت مشاعر ولدها وأنه يطيعها ولا يغضبها. سافر حامد قطر على اتفاق أن يجهز أحواله وينحت في الصخر حتى يأتي بعد عام ليتزوجها.

مرت الثواني عليه في الغربة كحجر ثقيل على قلبه، وظل يعمل كساقية تدور، ولم يختفِ ظل رحمة من خاطره، ولم يسْهُ يومًا عن تذكرها بمكالمة أو رسالة، كان يرسل لها كلمات فتذوب شوقًا له، فهو رجلها الذي لا تعلم غيره، كان يسلب منها الإرادة فلا تستطيع إلا أن تفكر به، وتلبي كل مطالبه وهو كان يخلص لها في غربته، ففي كل موقع يذهب إليه كان يرسم هندسته على الورق ويبني أحلامه معها بالخيال، فكان يتخيل أنه يعيش بقصر مع رحمة مليء بالحدائق والأشجار الغَنَّاء، فرحمة تعشق الشجر واللون الأخضر.

ما لبث أن انفرد في سكنه، فأخرج هاتفه يرسل إليها رسالته الأثيرة:

"حبيبتي... يا من ملكتِ فؤادي وأسَرتِ روحي، كم أشتاق إليكِ في كل لحظة، كم أحصى نجوم الليل وأقذف نجمة نجمة على الأرض! فأوراق

الزهرة لا تليق بكِ، فأنتِ امرأة يُقدّر لها تقاذف النجوم على الأرض واحدة تلو الأخرى حتى تنتهي من السماء وتبقين أنتِ قمرًا منيرًا ساطعًا لا يحتاج لنجوم تزينُه، فأنتِ من تُزيني سمائي أينما كنت...أحبكِ".

وعلى الجانب الآخر قرأت رحمة رسالته ولم تستطع امتلاك زمام روحها، فأرسلت إليه كلمات تطمئنه ودموع الفرح تسيل على وجنتيها مثل انفجار عين بالصحراء من شدة سعادتها بحبه لها، وأنهت رسالتها بأنها تنتظره على أحر من الجمر، وتنتظر أن تسكن بيته، كما سألته: كيف امتلك مفاتيح قلبها بحبه لها!

مرت ليالي الغربة، وحدد حامد الأسبوع القادم، موعد رجوعه مصر لكي يجمع شمل المحبين ويعيش لحظات العشق مع رحمة، فبعد أيام قليلة سيتوج سُهد الليالي وأحلام يقظته، وسيتحقق حلم عمره ويتزوج من رحمة حب طفولته وشبابه.

وجاء موعد عقد القِرَان، وتم زفافهما بعد ليالي فرح عديدة أعدها والده، دعا إليه كبار التجار ورجال الأعمال، وانتهى بود ومحبة بشقة في عمارته الجديدة، فلم يسكن حامد مع إخوته، أراد أن يبتعد عن العائلة ومشاحناتها، وتحجج بصغر الشقة وهو يريد إعدادها بأسلوب عصريٍّ وحديث، ولم يخالف والده إرادته، وأتم تدليله ووافق.

وبعد مرور أسبوع من مباركة الأهل والأصحاب والمقربين، سافر ورحمة إلى شرم الشيخ ليقضي شهر العسل، مرت الأيام والليالي عليهما بسعادة وفرحة وتفاهم، كان يحترم مشاعرها، فلا يرى من نساء الكون غيرها، وكانت تلبي مطالبه قبل أن يتفوه بها، وعادا وعاشا ما بين زيارة أهلها وأهله، واندمجت رحمة مع أهله وأحبوها لطاعتها ورقة أسلوبها، وكانت دائمة المساعدة لكل من يحتاج إليها، اقتربت من والدته، فأحبتها وحنت عليها.

توالت ليالي إجازاته وعاد إلى قطر يداوم عمله، فكانت رحمة ما بين أهله وأهلها وزوجها، دائم الاتصال بها، يتبادلان أحاديث حبهما وكلمات العشق التي تصبرهما على الغياب الذي يأكل في أرواحهما، حتى مرت الأيام ونزل إجازة، وبدأ يرى مدى اهتمام أهله برحمة، واكتملت سعادته باستقراره بعمله وحصوله على ترقية، وباستقراره مع زوجته وحب أهله لرحمة، واكتملت سعادته بخبر حملها، وكانت فرحة للعائلة جميعًا، فدعا والده العائلتين واحتفل بهذا الخبر السعيد، فالعوضِي ينتظر مولودًا لحامد، آخر عنقوده وابنه المقرب لقلبه.

جرَت الأيام وحامد يرعى زوجته ويلبي طلباتها ويُناغشها ويزيد من تدليلها، وكان يكرس نفسه لحسابها، ويذهب معها لطبيبها، ويباشر أمور تغذيتها وأدويتها، حتى جاء ميعاد سفره، فخشي أن يتركها بمفردها بعد أن سمع من طبيبتها أنها تحتاج لراحة تامة؛ لأن الحركة الزائدة سوف تؤثر بالسلب على

الجنين، ولكن رحمة طمأنته أنها سوف تجلس مع والدته ووالده، وسوف يرعيانها كما أبديا لها اهتمامًا بالآونة الأخيرة.

سافر حامد وهو يحمل قلقًا على رحمته وعلى ابنه الذي يسكن أحشاءها، ولأول مرة تثاقلت عليه الغربة ولعنها لأنها ستمنعه من رعاية رحمة ومتطلباتها.

وذات يوم استيقظت رحمة على مغص شديد كاد يهزم معدتها، وأخذت تصرخ، حتى سمع صوت صراخها حماتها وحموها، واشتدا قلقًا عليها وهي ذاهبة إلى الحمام، وما لبثت أن دخلت الحمام لتجد قطرات الدماء تتساقط، فذعرت وخرجت لحماتها بوجه مصفر شاحب يشبه الليمون، وقالت لها حماتها: ما بك يا رحمة؟

لا أعلم! تتساقط الدماء مني وأشعر بمغص شديد.

فأخذها حموها بسيارته على الفور لطبيبة النساء والتي علمت على الفور أنها حالة إجهاض، فخرجت وأبلغتهم، فاكفهر وجه العوضِي وعَلت استغفارات حماتها، وقال إخوة حامد للطبيبة افعلي اللازم يا دكتوره. انتهى اليوم برجوع رحمة لمنزل والدتها لكي تستريح وتُضمِّد حزنها على مولودها المفقود.

على الجانب الآخر، لم يبلغوا حامدًا ذلك الخبر السيئ الذي وقع على أسرة العوضي وأسرة رؤوف، وكأنه يشعر بما حدث، لم يمل الاتصال على كل فرد من أفراد العائلة بعد أن أهمل والده الرد عليه، ولم يجد من هاتف رحمة

غير أن الرقم ربما يكون مغلقًا، فأخبرته أخته بالخبر وقالت له احتسب، فلم يكن لكَ نصيب، وأمامكما العمر طويلًا يرزقكما الله بغيره. استقبل حامد الخبر بمرارة شديدة، ليس لأنه فقد ابنه فقط، بل لأنه شعر بحزن رحمة على مولدها وعلى غربته التي حالت بينه وبينها، وأن يلمس وجنتها ويربت على جروح قلبها.

وكأي شيء يمر ويتآكل مع الزمن، مرت حادثة إجهاض طفلهما.

مرت السنون، وتكررت حالات إجهاض الجنين لرحمة مرتين، كل مرة تتجدد بها الأحزان، ولكن سرعان ما تتلاشى بحب حامد ورحمة وصبرهما وثقتهما أن الله سوف يفرحِ قلبيهما عما قريب، ومع الوقت نُقل حامد إلى شركة هندسية أكبر، وترقى لمنصب أعلى وأثبت وجوده، فطلب من رحمة أن تأتي معه لتعيش في قطر، تؤنس وحدته ويكون بجانبها. أنجز إجراءات السفر، ومرت ثلاث سنوات لم تحبل بها رحمة ولم تأتِ بالولد الذي ينتظره حموها وينتظره الجميع، وبدأت تشعر بسأم بحياتها بقطر، فهي لم تكوِّن علاقات ولم تعمل؛ فكانت حياة مملة يملؤها السأم والضجر.

طلبت من حامد أن ترجع إلى مصر ويأتيها هو في الإجازات لكي تكون بجانب أهلها وجيرانها. لم يمانع حامد واحترم رغبتها، وعادت رحمة تعيش بجوار أهله، وكانت دائمة التجوال ما بين بيتها وأهل حامد وأهلها، ومع الوقت تغيرت معاملة حماتها وحميها لها، وبدآ يشعرانها بنقصها وأنها أرض بور لا

تطرح ثمرة، وبدأ التعيير والتفاخر من جانب أخوات حامد وزوجات إخوته. عاشت رحمة في منزلهم كأنها نبات صبار وسط الصحراء، تتحمل مشقة وحرارة كلماتهم اللاذعة، وجفاء حنانهم وظمأ اشتياقها لزوجها، حبيبها الأوحد الذي لم يشعرها يومًا بنقص، وبرغم أنها لم تنجب له، لكنه كان يدللها ويشعرها بحبه كل يوم، ويكتب لها كلمات الشعر ويرسل لها رسائل حب وهيام، لم يغير طريقته يومًا ولم يتخلَّ عن عاداته معها وشراء الهدايا، فكان حامد يشعر أنها ابنته قبل أن تكون زوجته، هو من رأى طفولتها وصباها ومراهقتها، فقد عاصر كل مراحلها، كيف يقسو عليها وهو الذي دعا الله صباحًا ومساءً أن تكون من نصيبه!

كانت رحمة لا تشعره بمعاملة أهله الجديدة، وتتكتم في طيات ذاتها وتتحمل نظراتهم وإهاناتهم وذلاقة ألسنتهم، فكان يناديها حموها "برحمة ونور" وكانت حماتها تتلامز عليها مع بناتها وتلمح أن ولدها خاب أمله بزواجه من تلك الجدباء. كانت تسمع وتكتم مشاعرها حتى تختلي بذاتها وتنفجر الدموع وتتقافز بسرعة البرق من مقلتيها، ويعيد عليها عقلها كلماتهم اللاذعة بصورهم وإيماءاتهم، فتشعر أن نصيبها بالدنيا قليل، وأن الحياة ظلمتها ووضعتها بمقصلة عدم الإنجاب ومعايرة كل من حولها، فشعرت بنقص رهيب كاد يهشم فؤادها وينخر روحها، فلم تجد حولها أحدًا تشكو إليه وتبث همها إليه غير الله. كانت تقصُّ أوجاعها لأُمها، فكانت تصبرها وتهوِّن

عليها من وطأة أفكارها، حتى اقترحت عليها أن تستعين بعملية الحقن المجهري، فهي منتشرة، ونسبة نجاحها كبيرة، فتشجعت للفكرة وكأنها القشة التي يتعلق بها الغريق.

أخذت تتصل بحامد وتطلب منه المجيء، واقترحت عليه تلك العملية، ولكن أخذ يمانع ويتساءل: لماذا إذا كنا طبيعين؟ وإذا أراد ربنا ألا يكمل الحمل مرات فله حكمة بذلك، وأن يصبرا على الأدوية التي نصحت بها الطبيبة، ولكنها أصرّت على موقفها، ولأول مرة تنشب المشاكل بينهما،

فكان حامد لا يعلم كم تتحمل سوء معاملتهم، وكم تتكبد آلامًا من نظراتهم وأحاديثهم. وبعد شد وجذب، أخذ إجازة ونزل مصر، وخضع لرغبة رحمة بعملية الحقن المجهري، وتكلف مصاريف العملية، وجهز نفسه من أجل رحمة وأن تكون سعيدة ويخلو عشهما الصغير من نشوب المشاكل مرة أخرى، وتمت العملية، ولكن إرادة ربنا كانت أعظم وأقدر، ولم يتم المراد، وأصبحت رحمة أكثر حساسية ومداومة على افتعال مشاكل مع حامد غير مبررة، وكان يتحمل من أجل حبهما، ويعلم مدى حساسية موقفها وما كانت تشعر به، ومد إجازته لكي يكون بجانب رحمة بأزمتها، فدخلت في نوبات اكتئاب ومرض نفسي بسبب عدم إنجابها وشعورها بالنقص، وما تتحمله من معاملة سيئة من جانب الجميع.

وبدأ العوضي يلح على ابنه أن يتزوج، ويحدثه أنه انتظر على زوجته كثيرًا، ولابد أن يتزوج عليها ما دام الشرع يسمح له بذلك.

- يا والدي أنا أحب رحمة وأخاف على شعورها من ذلك الأمر، كما أننا طبيعيان لا يشوبنا مرض يعيق، كله يا والدي من إرادة ربنا.

- ونعمة بالله يا ولدي.. لكنه شرع ربنا، إذا كانت زوجتك لا تحتفظ بالحمل برحمها شهرًا، وأجرت عملية الحقن المجهري الذي تتحدثون عنها حديثًا ولم تنجب، والطبيبة قالت إن نسبة حملها ضعيفة، فماذا تنتظر؟! كما أني لا أريدك أن تطلقها، بل أن تفعل شرع الله وأن تتزوج من أخرى تنجب لكَ ولدًا يخلد اسمك ويصبح سندًا وعزوتك بالدنيا "فالمال والبنون زينة الحياة الدنيا يا ولدي".

نظر إلى والده بيأس شديد ثم قال:

- أعلم يا والدي ما تقوله، ولكن لا أستطيع أن أفعل ذلك برحمة، فأنا أحبها وأخشى على شعورها.

فقاطعه والده بصرامة وبصوت عالٍ:

- ماذا بك يا حامد تحدثني كَما الحريم؟! تمالك نفسك وتحدث معي كَما الرجال، عن أي شعور تتحدث؟! أنت لك أسباب، انظر إلى والدها، هل

يراعي شعور زوجاته؟ ومع أن والدة رحمة أنجبت له الذكور والإناث تزوج للمرة الخامسة، لا أحد يلوم عليه لأنه يطبق شرع الله بدلًا من أن يمارس الرذيلة والعياذ بالله، إذا كان يحب النساء فليتزوج، لا أقول لك تزوج زواج متعة، كما أني لم أتزوج من غير والدتك، وأنا قادر، ولكن أقول لك تزوج لتنجب ولدًا يعينك على مشاق الحياة.

ولكني يا والدي لا أقدر، ليس خوفًا فقط على مشاعرها، ولكني لا أستطيع الزواج من أخرى، فمشاعري وحواسي تملكها رحمة.

- لا حديث آخر في هذا الأمر، فأنا آمرك بالزواج من أخرى، ولا رجعة بهذا الأمر، وأقسم أني قمت بتدليلك في كل شيء وألبي طلباتك برغم غيرة إخوتك منك، طاوعتك في كل شيء لأني أعلم مدى استقلالية شخصيتك، ولكن هذا الأمر الذي سوف يحيل بيني وبينك إذا لم تنفذه...

طأطأ حامد رأسه مجيبًا في خضوع: سوف أنفذ لك يا بوي، أعلم دون أن تقسم بأنك إذا قلت شيئًا لابد أن ينفذ أيضًا.

تثاقلت ليالي الإجازة على حامد، يشوبها القلق والتوتر، تتصدع الأفكار بداخله، كادت تفقده توازنه، ما بين كيف يصارح زوجته بأمر والده، وبين كيف سيتحمل ألم مشاعرها بيده؟! كيف سيجني عليها وهو الذي يعشق ابتسامتها ويسعى دومًا إلى الحفاظ على بسمتها بكل الطرق؟! طاردته

الذكريات داخل ذهنه، وتذكر أنها بإحدى مرات ليالي غربتهما، كانت تشكو الملل والسأم، وأن قطر مختلفة عن مصر، لا يوجد ونس بالسكن، ولا أطفال تلهو وتلعب وتتشاجر، ولا البنات تشد كل منهن شعر الأخرى، فحينما عاد من دوامه، جلب إليها مجموعة من توك الشعر بألوان طفولية زاهية، وقام بتمشيطها بنفسه وضفر شعرها الناعم مثل الحرير إلى جدائل صغيرة طفولية أنيقة، ووضع مختلف الألوان، ووضع لها مكياجها أمام مرآة نومهما، لم ينسَ ابتسامتها عندما رأت نفسها جميلة على يديه، ولم ينسَ مدى سعادته ونشوته وهو يرى طفولة حبيبته أمامه متجسدة بسيدة ناضجة وزوجة. وعدها وقتها أن تبقى زوجته وابنته المدللة دومًا حتى يصبح كهلًا وجَدًّا لأولاد كثيرين، ستصبح ابنته المقربة له.

لم يقطع خاطره ونوبات شروده غير صوت رحمة تنادي عليه بأن الطعام جاهز، وكعادتها، وضعت على السفرة ما لذ وطاب وكل ما يفضله، جلس معها بجسده ووجهه المبتسم غير المبالي، لكن روحه خائرة، وعيونه منهزمة زائغة، كان يتحدث كثيرًا ويمزح معها ويدللها كعادته، يطعمها بفمها، وانتهيا من طعامهما، فقام بحمل الأواني الفارغة وأوصلها إلى المطبخ بابتسامات عالية وهي تمنعه قائلة: ارتح أنت وسأنجز أنا غسل الأواني، ولكنه رفض وقال:

- كنت بقطر أغسل الأواني، وأحيانًا أغسل ملابسي وأساعد زملائي بتحضير الطعام، ما بالك وأنتِ زوجتي التي أعشقها كيف لا أساعدها؟!

- لا حرمني الله منك يا حبيبي وقلبي وأبي وكل شيء لي في دنياي.

صمت حامد، صمت الشجن، ثم أراد أن يهرب من عينيها، وأخذ يلف في حركات دائرية حول ذاته وارتدى مريلة غسيل الأواني مقلوبة، وارتدى طاقية بلاستيكية على رأسه، وكادت تغيب عن الوعي من فرط ابتساماتها وضحكاتها الصاخبة، كادت تصل ضحكاتها عنان السماء، فكان يغني أغانيها المفضلة لديها، ويقلب المعاني ويغير كلماتها مزحًا، فكانت تحب أغنية عمرو دياب" تملي معاك" لأنها تذكرها به عندما يسافر، فكان يقول لها:

تمرجي معاك... وتمانية معاك...وهرميك من الشباك...إلخ

وبعد انتهاء وصلة ضحكهما ذهبا لغرفتهما، وامتزج جسداهما وأرواحهما المنهكة والممتلئة من آثام التقاليد والنصيب وفروض الأهل وتدخلهم، وفي أثناء علاقتهما التي لم يكن يشوبها توتر أو قلق أو تفكير يعطل اندماجهما الروحي قبل الجسدي، شعرت رحمة بتغير حامد معها، وكأنه مثقل، يؤدي حركات نمطية بحس ثائر وبوعي غائب عن الوصول بالنشوة، وبعد الانتهاء من الممارسة، رحل الحب والشقاء على سرير فاقد الأمل، نظرت إليه رحمة قائلة:

- ما بك يا حامد؟ أشعر أنك تتألم بداخلك، ماذا بك؟ أفصح لي، فأنا أشعر بك من مسافات بعيدة، وليس بمقاربة أنفاسك بجسدي ما يشغلك وتتكتم عليه وحدك وينخر قلبك ويفت في عزيمتك.

- لا شيء يا حبيتي، لماذا تقولين هذا؟ أنا بخير لأنك بخير، وأرى ابتساماتك أمامي، قد أكون مجهدًا.

اقتربت من حامد ونظرت بعينيه، فرأت عمق روحه:

- منذ أن عُدت من عند والدك الأسبوع الماضي وأشعر أنك تخفي عني أمرًا، قل لي ما الذي قاله لك جعلك مُشتت الذهن لا تستطيع النظر لعيني؟ تفعل كل شيء لإسعادي، وتجلب لي الهدايا، برغم أنك جلبت معك من قطر ما يكفي ويزيد، انظر إليّ وصارحني.

انهار حامد يبكي، بكاءً لم يبكه منذ أن كان طفلًا صغيرًا وارتمى بحضن رحمة بمطر عينيه على صدرها، لا يعلم ما تخفي له الأيام، فربتت بيديها الحانية عليه وعانقته قائلة:

- لا تبكِ، فبكاؤك يحرقني، أعلم أن والدك ألزمك بأن تتزوج من أخرى لكي تنجب وتأتي بالولد الذي ينتظره، وأعلم بحيرتك منذ أيام وصمتك الذي ينهش عقلك كيف ستصارحني بذلك الأمر.

فقام ونظر إليها قائلًا:

- لا تخشي من هذا الأمر، لن أفعل ذلك، فلا أستطيع الزواج من غيرك يا رحمة، لا تفكري بهذا الأمر ورجاءً انسيه.

- يا حبيبي لا تستطيع أن تقف أمام والدك أو أن تكسر كلمته من أجلي، وأنا لا أرضى ذلك، كما أني من شدة حبي لك لا أقدر على منعك من أن تكون أبًا، ولا أتحمل أن يغضب عليك والدك من أجلي، أعلم مدى حبك لوالدك واحترامك له، وأعلم أنه يعشقك منذ صغرك وأنك مقرب لديه كذلك..

صمتت قليلا وهربت منها دمعة لم تقصد انهمارها، برغم ما تمرنت عليه لحبسها وسجنها أمامه، ولكن دموع الألم دومًا تخوننا وتهرب لتتساقط!

- تزوج من أخرى، فأنا راضية، ولا تخشَ على مشاعري، فحبي لك أعظم من أن يهزه ذلك الأمر، وسوف أكون سعيدة لأني أجعلك بارًّا بوالدك، والأهم أنك سوف تكون أبًا وتنجب ولدًا ينتظره الجميع.

اقترب حامد منها يمسح قطرات دمعها الهاربة من مقلتيها قائلًا في وهن:

- لا أستطيع يا رحمة صدقيني، أستطيع أن أتحمل عدم أُبوتي، وأتحمل الاغتراب والابتعاد عن كل الناس، ولكن لا أستطيع أن أفعل ذلك بكِ، فأنتِ حلم عمري الذي دعوت الله دومًا تحقيقه.

- أرجوك يا حبيبي، أقسم عليك بكل شيء جميل بيننا أن تنفذ رغبة والدك لأنها الخير لك، وألمي من زواجك لا يُعد جزءًا من مليارات الآلام التي سأشعر بها وأنا أحرمك من الإنجاب، إن كنت تحبني افعل ذلك من أجلي، ولا تخشَ عليَّ، يكفيني حبك هذا، ويكفيني معرفتي بمكانتي بقلبك.

كان الصمت أثقل من أن يرويه أحدهما، فقام بمعانقتها وتقبيلها، فأشاحت بوجهها عنه والدموع تنهمر من عينيها، فساد الصمت الموقف، وأصبح العالم أوسع من أن يضيق بأفكارهما، فيخطف هدأتهما إلى الأبد ويخلع روحهما من مفاصلها.

عاش حامد أعلى درجات التوتر التهابًا بعد أن قام حموه بجلب عروس تقطن بالأرياف، تقرب لإحدى زوجاته، جميلة ومن عائلة كريمة، في مقتبل عمرها، مطيعة، وبالأرياف صحتهم الإنجابية سليمة كما ذكر للعوضي، فعاش حالة من اللاوعي، كيف أن والدها هو من لا يرعى شعور ابنته ويساعده على الزواج من أخرى، ويعاونه في تحطيم مشاعر ووجدان ابنته؟! وقبل أن تنتهي إجازته، خطب سريعًا، وقبل أن يسافر، أخبره أهل عروسه أنه لابد من عقد القِران على ابنتهم قبل سفره، خصوصًا وأنه رجل متزوج، ومنعًا للقيل والقال، فطلب والده منه ذلك، فاستدعى كل كوامن الصبر

والإيمان، مسفوح الروح، فأجاب طلبه وتم عقد قرانه وسافر إلى قطر يمارس عمله على اتفاق أن يجلبها إليه ليتم المراد.

عزفت رحمة عن الجميع، وصممت على العيش بمفردها بشقتها بضعة أيام لتستعيد نفسها وترضى بما قسم الله لها، وترمم شروخ قلبها وروحها، وتستوعب ما فعله والدها معها، فلم تجف دموعها، ولم يغب عن مخيلتها تنبؤ الأحداث، وما سيحدث لها إذا أنجب زوجها من الأخرى. شردت أفكارها وتذكرت حامدًا، وما كان يفعله معها من حب وعطاء، فأخذت تتقلب على جمر الذكريات، فخدشت روحها المرتكنة على عامود حطب يابس فأشعلت الذكرى حطبه، وتقطعت أواصر روحها جزعًا من المجهول الذي ينتظرها، وخشيت على حب عمرها، ومن أن تعيش وحيدة دون ولد تستند عليه، فتملكتها فكرة أنها إنسان ناقص، وكرهت جسدها، وشعرت بأنها تريد العزوف عن كل متع الدنيا، ولكنَّ حامدًا كان دائم الاتصال بها، واستحلفها بأن تعود لتعيش مع والدتها حتى يطمئن قلبه، وبعد إلحاح منه استجابت وذهبت مع والدتها وعاشت معها، واتخذت من الصمت طريقًا، ومن النوم مهربًا مما يحِيطها، واقتصرت على مهاتفة أهل حامد والاطمئنان عليهم، وهم أيضا اكتفوا بالحديث تليفونيًّا.

مرت الأيام ولا جديد بشمس رحمة التي لا تضيء عتمة اكتئابها أو عزوفها عن الكون، ولا تستجيب لإلحاح إخوتها بزيارتهم، ولا والدتها بأن تخرج لتتنزه وتحادث صديقاتها القدامى، فكانت تشعر بخجل وتقول:

- يا أمي، كل منهن تزوجن وأنجبن سريعًا، ولا أريد من إحداهن أن تنظر إليَّ نظرة شفقة أو خوفًا من حسد.

- يا ابنتي لا تكوني شديدة الحساسية، ربنا سيرزقك إن شاء الله، ليس بك عيب.

- يا أمي ذكرت لي الطبيبة أن حملي أصبح صعبًا ولن يحدث بسهولة، كما أن زوجي تزوج من أخرى وسافر، فلم يعد لي أمل بالإنجاب.

ظلت متمسكة باكتئابها لأيام، حتى أرادت أن تخرج طاقتها السلبية بأن جمعت كل سجاد البيت وأرادت غسله وتنظيف البيت بأكمله، استنكرت الأم فعلتها قائلة:

- يا بنتي ماذا تفعلين؟! هل تريدين الانتحار؟! لماذا تعملين كل شيء مرة واحدة هكذا وكأنك تنتقمين من ذاتك؟!

- لا أعرف يا أمي! فأنا منذ يومين وأشعر بتعب داخلي ينخر روحي، فأردت إخراجه بالعمل بالبيت، كما أن لدي مغصًا يلازمني.

- وما سبب المغص؟

- لا أعلم! فقد تأخرت عادتي، وأردت أن أجهد ذاتي كي تأتيني لأرتاح.

- منذ متى تأخرت عليك؟

- منذ شهرين تقريبًا، لم تعد مستقرة بعد كل ما حدث.

تغير وجه والدتها وانفكت أساريرها، فقاطعتها رحمة قائلة:

- إياكِ أن تطلبي مني أن أقوم بتحليل! فهذا من المستحيل، أنا لا أريد أن أؤمل نفسي بشيء ولا يحدث، فكثرة عمليات إجهاضي، وفشل عملية الحقن المجهري جعل اليأس يتملكني، لا تفعلي فيَّ ذلك يا أمي.

- يا بنيتي لا شيء بعيد عن رب العباد، فهو من يقول للشيء كن فيكون، وأنا دومًا لا أَمَلُّ من الدعاء لكِ، فأنتِ تستحقين كل خير، بالله عليكِ قومي بالتحليل منزليًّا من أجلي، فلن تخسري شيئًا.

- سأخسر يا أمي إذا لم يكن إيجابيًّا، سوف يملأ روحي الإحباط، ولن أستطيع المقاومة والعيش هكذا.

- بالله عليكِ قومي به واستجيبي لمطلبي منك.

- حاضر يا أمي، طالما مازلتِ مُصرة على جرحي، فوالدي قصم ظهري نصفين بإحضار عروس لزوجي، وأنتِ تُصرين على منحي الأحلام العقيمة.

أسرعت الأم واشترت من الصيدلية شريط الاختبار، وقامت رحمة بالتحليل يتملكها خوف شديد ودقات قلبها المتلهفة تتسابق، والأم تترقب خروجها بالبشارة، وبعد برهة من الوقت لم تخرج رحمة. لم تستطع الأم الانتظار،

فطرقت الباب عليها ولم تجبها، ففتحت، ففوجئت برحمة ودموعها منهمرة، ممسكة بذلك الشريط الذي أعاد إليها الحياة، وتوهج بريق الأمل بعينيها.

- ابنتي حبيبتي، طمئنيني هل النتيجة إيجابية؟

رأت شرطتين، بكت الأم من هَوْل الفرحة والمفاجأة وأرادت أن تخرجها من الحمام، فكأن رحمة أصيبت بشلل مؤقت من الفرحة، لا تعلم ماذا تفعل أو ماذا تقول! فرحت فرحًا شديدًا، لم تستطع التعبير عنه غير أن توضأت وسجدت سجدة شكر لخالقها على منحها الحياة مرة أخرى، ذهبت إلى طبيبتها، فقالت تلك هي المعجزة التي لا تقف أمام إرادة ربنا، الحمل تم وحالتك مستقرة، فأنتِ بالشهر الثالث وتحتاجين راحة.

- هل تعتقدين أنه سوف يكمل يا دكتوره؟

- بإذن الله، لا تخشي شيئًا، وربنا سبحانه وتعالى قادر أن يتم نعمته عليكِ، رجاءً تناولي دواءك بميعاده، وحافظي على تغذِيتك وتجنبي أي إجهاد زائد أو توتر وارتاحي.

خرجت من عيادة طبيبتها ولم تسعها الفرحة، فاتصلت بحامد وقصَّت عليه كل شيء بعد أن تأكدت من حملها وحالتها الصحية، الذي لم تسعه الفرحة وكادت الدنيا تدور به ويسقط على الأرض، فشكر الله أنه استجاب لدعائه الذي لم يَسْهُ يومًا أو يَمِل منه، فحمده أنه كَلّل صبره وتحمل آلام روحه بإنجاب من حب عمره رحمة، فرأى أفضل تصرف يقوم به لكي يُدخل

السرور إلى قلب رحمة، هو أن يرسل توكيلًا سريعًا لوالده لكي يطلِّق العروس الجديدة التي جلبها حموه كأداة للإنجاب وكأنها بقرة مهمتها أن تنجب ولدًا! تعجب، كيف وافقت هي وأهلها على ذلك! فأراد أن يصلح خطأه بحق ذاته قبل إرضاء كرامة ومشاعر زوجته، وبالفعل نفذ ما أراد بنفس راضية لأنه لم يدخل عليها، فكما خطبها سيتركها، وأصر على ألَّا يأخذ شيئًا مما جلبه كنوع من الاعتذار عن أن لا نصيب له معها.

ومرت شهور حمل رحمة، أتى حامد كي يحضر ولادة ابنه الذي اختار اسمه قبل مولده، فأراد أن يخلد اسم والده، فقرر أن يسميه "سليم"، وبعد برهة من الوقت أتى سليم إلى الدنيا بصرخات وآهات من والدته، وخوف وترقب من الجميع، ولكن أتم الله نعمته وفرح، وجمع شمل عائلة حامد بمولوده الذي سيزيد أواصر الحب بينه وبين رحمة، ويحمل اسم والده الذي أعطاه الكثير.

وتذكر آية الله في سورة الزمر:

{ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ }

فأخذ يفعل كل شيء يرضي به ربنا، وعلم أن الله نعمه كثيرة ويكافئ بدون حساب الصابرين.

انتهت

* * *

خلف الستائر

في منتصف صالة استقبال عظيمة واسعة الأرجاء بعيادة كبيرة أُسست بأثاث عصري أنيق، تبرق أرضياتها وتلمع وتعكس ظِل المار عليها، جدرانها منقوشة بالخزف وتزينها تابلوهات تجريدية ولوحات تعبيرية تنم عن ذوق رفيع لذويها، وعن أفكار سريالية، وصور لعلماء النفس، وشاشة عرض كبيرة، ويضفي على المكان موسيقى هادئة ناعمة تجعل المكان أكثر هدوءًا، وينتشر الاسترخاء ويخفف من توتر الانتظار، كما يرتدي فريق العمل الزى الموحد ذا الألوان الهادئة، وتظهر الابتسامة الرقيقة على شفاههم ويتسمون بحسن المعاملة، فكان هذا مركز الطب النفسي للدكتور محمد طه.

كانت "ريما" تنتظر وعندما أتى دورها، اصطحبتها السكرتيرة لغرفة الطبيب التي كان يكسوها البياض الشديد، فكل أرجائها وجدرانها مدهونة باللون الأبيض، وبها تابلوهات مثل الموجودة بالاستقبال، ولكن اللون الأزرق يحدد الغرفة، فيأخذك ببساطة وجمال ورونق أثاثها، بها مكتبة عظيمة على شكل read والشيزلونج أزرق، كل شيء يدعو لارتياح العين، كما تحتوي على بعض التماثيل العارية العظيمة التي ترجع للحضارة الرومانية واليونانية في رموزها وعظمة تصميمها. كان الطبيب يجلس بمكتبه، واستقبلها بابتسامة

أعطتها ثقة واطمئنانًا، هذه جلسة الثانية بعد أن علم مشكلتها، وبدأ في تحليل حالتها، فاكتسب ودها وطمأنها، لذلك أتت له مرة أخرى:

- تفضلي يا مدام ريما، أنتظر لقاءك بشدة، كيف حالك؟ لم أركِ منذ شهر.

Thanks dr Mohamed I'm fine.

- ابتسم... أعلم أن دراستك كانت بالجامعة الأمريكية كما ذكرتِ لي بأول جلسة، ولكن أود أن نتحدث بالجلسة باللغة العربية، فهي لغتنا الأم والتي تقرّب الأمور دون تكلف.

- عذرًا يا دكتور، اعتدت التحدث بالإنجليزية بحياتي العملية، ولكن معك كل الحق، لسنا بمكان عمل، أعلم أني بعيادة نفسية، وأتيت بمحض إرادتي لكي أجد علاجًا لمشكلتي، وهل بالفعل أشكو مرضًا أم لا. فأرى ذاتي أني لست مريضة نفسية بقدر ما أن لديَّ مشكلة أريد حلها مع ذاتي وحلًّا مع عدم تقبل الآخرين والمجتمع لي أو عدم شعور الأقربين لاحتياجي.

- ما زلتِ لا تعترفين أنكِ مريضة بشيء لعين وتحتاجين المساعدة والشفاء؟

- صدقني يا دكتور، ما بي ليس بالمرض المستعصي، ويوجد مثلي الكثير بالعالم وبوطننا العربي، ويوجد أيضًا بمصر، ولكن نحن العرب اعتدنا دفن رؤوسنا بالرمال مثل النعام، أو أن نعيش خلف الستائر المظلمة، سعداء ما دامت أسرارنا خلف الجدران، فكل ما بالأمر أني أجد هناك مشكلة مستعصية وأريد حلولًا لها.

- إذا لم تعترفي بأنك مريضة نفسية لماذا أتيتِ لطبيب نفسي؟
كما ذكرت، أريد أن تساعدني بتقبل ذاتي كما هي، وكيف أجعل المجتمع يتقبلني، وكيف أحل مشاكلي مع زوجي.
- ولكني لست حلالًا للمشاكل، أنا طبيب نفسي، أحلل وأشخص الأمراض النفسية، وأعالج المشكلات النفسية وأسعى لشفائها.
- امممم.. إذن فاعتبرني مريضة نفسية وتريد الشفاء.

- لابد أن تعلمي أنك مريضة وتعترفي بذلك، فالاعتراف بالمرض نصف العلاج.
- فليكن يا دكتور، أنا مريضة وأريد أن أُشفى، ولكن كيف وليس لحالتي علاج؟! فأنا منذ أول جلسة ولا أعلم كيف أخبرك بحالتي! فمنذ سنين وأنا أكتم حالتي، وأكبت مشاعري وأعيش مع أُناس لا يعلمون أو يراعون احتياجاتي ولا يتقبلون ما أنا به، أشعر أني بسجن كبير، ولا أستطيع ممارسة حقوقي في العيش بحرية وانطلاق، كيف أُحاسب وقد خلقني الله هكذا، كيف يتهمني الناس، كيف تريدني أن أستمر بزواجي وأربي ابني وأنا لا أستطيع أن أحقق أبسط حقوقي وأكتمها ولا أبوح بها؟! ما ذنبي إذا كان الله خلقني مِثليَّةً أحب النساء وأعشقهن دون الرجال وأتعذب بحبهن وأريد ممارسة حقوقي معهن؟! الأمر ليس بيدي.
- مدام ريما، أريد أن أبدأ جلستي معك دون تفسير لحالتك، الآن أريد منك الهدوء وأن تعلمي أنك مريضة أمام طبيبها النفسي، فلا تخفي شيئًا عني أو

تحاولي إظهار قوتكِ وتخبئي ضعفك، فأنا لست عدوك، أريدك على سجيتك وكأنك تحدثين ذاتك، لا أحد يسمعك أو يتهمك بشيء أو يتآمر عليكِ، سأنصت عندما تتحدثين، وسأكتفي بتوجيه الأسئلة أو أستفسر عن أي شيء مبهم، تستطيعين تغيير جلستك غير المريحة، أمامك العيادة، اختاري بأي مكان تريدين أن تجلسي.

- أريد أن أمدد بالشزلونج.

- فليكن، هيا بنا، سأشغل لك موسيقى هادئة لتسترخي أعصابك.

استرخت ريما على شزلونج بوضع النائمة، وطلبت منه خفت الإضاءة، فهي تكره النور الشديد، فلبى طلبها وبدأ حديثه معها وهو ينظر إلى ملفها الخاص.

- علمت منك في الجلسة الأولى أن اسمك ريما الحملاوي، وعمرك 35عامًا، درستِ فنونًا تشكيلية وديكورًا بالجامعة الأمريكية، ولديك أخوان يقطنان بأمريكا حاليًا، وتعملين مهندسة ديكور بشركة أمريكية خاصة بالقاهرة، هل هي الشركة الأم أم فرع من فروعها؟

- نعم، فرع من فروع الشركة الأم بأمريكا، وكنت أعمل بأمريكا سابقًا، ولكني استقررت هنا بمصر.

- أخبرتني أنك متزوجة ولديك طفل. أليس كذلك؟

- نعم.

- منذ متى؟

- منذ سنتين وأنا بجحيم.

- أريد منك أن تقصي لي عن طفولتك كيف كانت، دون أن تخفي عني شيئًا.

- لن أخفي عنك شيئًا يا دكتور، أتذكر أني كنت طفلة مسالمة رقيقة ومدللة، كنت وحيدة أبي وأمي، كنت أقطن بحي الدقي قبل نقلي للتجمع الخامس، لذلك أبتعد عن الضوضاء، أحب الموسيقى والرسم منذ نعومة أظافري، نشأت بمنزل يعطي الحريات لنا في اختيار كل شيء، فأبي يعمل مستشارًا، وأمي تعمل طبيبة أطفال، وأخواي درسا التجارة والألسن، وكنا متفوقين بالدراسة، ولكن ميولنا مختلفة، أخواي أحبا الرياضة حبًّا جمًّا وأنا كرهتها منذ صغري، اشترك لنا والدي بنادي وادي دجلة، فكانا يمارسان رياضتهما المفضلة، كان شادي أخي الأكبر يحب التنس، وكان فادي مولعًا بكرة القدم، أما عني، فكنت أجلس وحدي صامتة أغلب الوقت، أحمل أدوات الرسم، وأتأمل الأشجار والخضرة وصفاء السماء، وأطلق العنان لخيالي لرسم لوحاتي. منذ صغري كانوا يُشيدون بخطوطي ورسوماتي، لذلك دائمًا شاردة صامتة.

كان والدي ووالدتي يأتيان إلى النادي كل خميس يتناولان معنا وجبة الغداء ويجتمعان بأصدقائهما، ويتجاذبون الأحاديث السياسية، فكنا نجد زميل والدي بالمشفى، وزوجته وأولاده بالنادي أيضًا، فيدعوهم أبي لتناول الغداء

معنا، فكان يسعد فادي وشادي اللعب مع ولديهما محمد وقاسم، أما أنا، فكنت أظل على مائدتهم ولا أتحرك، أنصت لأحاديثهم السياسية والكروية والاجتماعية، أما عن والدتي وزوجة صديق أبي فيتحدثان عن الأولاد والطعام والموضة والحفلات، فكنت أشرد وأتحدث داخليًّا مع ذاتي حديثًا خاصًّا، حديثًا لا يشعر به غيري ولا يفهمه سواي.

- ما هو؟

- عن جمال طنط ثريا، وعن طلاء أظافرها وعطرها الجذاب واهتمامها بأناقتها وحوارها الرقيق، كنت أدقق النظر إليها وأغوص بخيالي بها، وأحيانًا كانت تتسلل إليَّ أفكار غريبة، كيف كانت تجلس بالبيت، وما ترتدي؟ وكيف تكون ملابسها بالمنزل ودلعها؟ وأشياء كثيرة.

- مثل ماذا؟ أعني ما هي الأشياء التي طرأت عليكِ؟ ولماذا طنط ثريا بالأخص التي فكرتِ بها ذلك؟

- لا أعلم لماذا هي بالأخص! لكن كانت جذابة بالنسبة لي، ليست صارخة الجمال، فكانت في عقدها الأربعين، ولكن كانت جاذبيتها بالنسبة لي ملفتة، أسرتني إليها، جعلتني أفكر بها ليلًا، أسرح في دلعها وكيف تتعامل مع زوجها وما ترتدي له!

- كم عمرك تحديدًا وقتها؟

- أظن أن عمري وقتها كان أربع عشرة سنة تقريبًا.

- أظن أنكِ بهذه الفترة قد وصلت مرحلة البلوغ.

نعم.. جاءتني الدورة الشهرية بسن الثانية عشرة، وبعدما جاءتني تغيرت معالم جسدي وأصبحت أكثر حرجًا من أخويَّ، فكنت أنطوي وأنغلق على ذاتي أكثر، أتذكر عندما كانت تأتيني كنت أعتزل الناس، خصوصًا تمرين السباحة، كنت أتحجج بأنني مريضة حتى لا أذهب.

- حدثيني عن علاقتك بوالدك ووالدتك؟

صمتت لبرهة من الوقت ثم أجابت بلامبالاة:

- علاقة نمطية، ابنتهما المدللة الهادئة، صاحبة الحس المرهف، يعاملاني جيدًا ولا يؤخران لي طلبًا، اهتما بدراستي وهواياتي واحتياجاتي.

- حدثيني عن أصدقاء الطفولة.

- أغلب الوقت كنت بمفردي، لا أختلط كثيرًا بالناس، لذلك كانوا قليلين، لي صديقة واحدة بالمدرسة وما زلت أعرفها، والباقي زملاء، وصديقة واحدة تعرفت عليها من النادي بعد أن اقترحت علي والدتي ممارسة أي رياضة حتى لا يزيد وزني وأحافظ على صحتي، فاشتركت بالتنس، تعرفت عليها واقتربت منها كثيرًا.

- كيف كانت علاقتك بها؟

- صديقة مرحة خفيفة الظل جميلة، تكبرني بعام واحد، جريئة وشجاعة، لها أصدقاء ومعارف كثيرون، تهتم بأناقتها، لديها شخصية قوية، تجذب من حولها بمغناطيس، استطاعت في يومٍ واحد أن تكون صديقتي المقربة.

- هل انجذبتِ إليها؟

- نعم، كل ساعة تمر عليَّ كنت أنشد حبها بقلبي، وقعت بحبها منذ الوهلة الأولى، رغم اختلاف شخصيتها عني، ولكني انجذبت إليها سريعًا، استطاعت أن تملك قلبي وعقلي، أصبحت أتحدث عنها كثيرًا في البيت ومع زملائي، حتى أحبوها من حكيي، أذكر أن أخي شادي أراد أن يتعرف عليها وأن تبقى من حريمه -كطبع الرجال- ولكنها أعطته درسًا لا ينسى.

- ماذا فعلت؟

- نصبت له فخًّا في النادي وميعاد مقابلة، وانتظرها وجمعت جميع أصدقائها وأصدقائه، وأرسلت إليه الكابتن إيهاب بعدما شكت له أنه يقوم بمغازلتها ومضايقتها، فحرمه الكابتن من التمرين لمدة أسبوعين.

كانت لطيفة معي، تبادلني الأحاديث وتصطحبني إلى المحلات والنادي وأي مكان، عرفتني على أصدقائها ومعارفها، أخرجتني من شرنقتي التي كنت سجنت بها ذاتي، كنت أحب الرسم، وكانت هي مولعة بالموسيقى، أصبحت أسمع موسيقاها المفضلة، وهي كانت تحضر لي أدوات الرسم كهدية، تقاربنا كثيرًا وأحببتها، وصرت أحلم بها بكل لحظة، كنت لا أَمَلُّ من محادثتها بالهاتف أو الخروج معها، فتعلقت بها كثيرًا، حتى أصبحت أغار عليها من نسمات الهواء التي تطوح بخصلات شعرها، تملكتني، فصرت لا أرفض لها طلبًا، حتى دعتني ذات مرة إلى منزلها فاستجبت بسعة صدر وترحاب، كانت تعيش بمنزل فسيح مليء بالنشاط والحيوية، وجدت والدتها تستقبلني بحب

وود، لها أختان صغيرتان، وكان والدها بالعمل، رحبوا بي ترحيبًا حارًّا، ثم سحبتني من يدي إلى غرفتها وأخذت تريني مكتبها وأدواتها الرياضية وألبوم صورها، كانت سعيدة بوجودي كثيرًا، وأطلعتني على ملابسها الجديدة، فطلبت منها أن تريني إياها، كانت ملابس منزلية صيفية، أخذت ترتدي ملابسها، فشردت بعيدًا، أحدث ذاتي بكل جزء فيها، وشعرت بأشياء تهد قواي.

- بماذا شعرتِ؟ صفي لي شعورك.

- شعرت بإحساس غريب يتملكني! أحسست أني أريد أن أعانقها بشدة وأصرح لها أني أحبها جدًّا وأردت...

- اتفقنا ألا نخفي شيئًا.

- أردت أن أقبلها من شفتيها، كانت الرغبة تتملكني بشكل غريب!

- وماذا فعلتِ؟

أبديت إعجابي بها وأنا أنظر إلى كل جزء بجسدها، فابتسمت وقالت أنتِ أجمل مني، فاقتربت منها وأنا أنظر إلى عينيها، وخفضت صوتي برقة وقلت لها أنتِ حبيبتي، أنا أحبك، بل أعشقك، فأجابتني أنها أيضًا تحبني، وأصبحت أعز إنسانة لديها، ولم أتمالك زمام روحي، اقتربت منها وحاولت معانقتها، فلم تمانع، ولكن اندهشت من انقضاضي عليها بشكل مُلفت ولم تمانع، ولكن ارتفعت حرارة جسدي، لأول مرة أشعر بشعور الشهوة الجارفة، فحاولت تقبيلها ولكنها استنكرت فعلتي، وقالت: ماذا بك يا ريما

أجننتِ؟!

قلت لها أحبك كثيرًا يا سارة، لم أستطع كبح مشاعري تجاهك، فأصبحت أعشقك وأعشق كل تفصيلة بك، وصرت لا أفكر إلا بكِ، أنا أريدك.

واقتربت منها، ولكنها أفلتت نفسها بعيدًا عني، وصرخت بوجهي: أجننتِ، ماذا تفعلين؟! أنا صديقتك، نحن إناث مثل بعضنا كيف تحبيني؟!
أجبتها: لا أدري! منذ أن عرفتك أحببتك، ولا أجد متعة بحياتي غير تذكرك، أفكر بكِ في صحوي، وأحلم بك بمنامي، أتخيلك دومًا معي تبادليني الحب والمشاعر.

- ما هذا الهراء؟! هذا جنون، لابد أن تعرضي حالك على طبيب، أنا لا أستطيع أن أفعل ذلك معك، أعترف أني أحببتك جدًّا وأعزك كصديقة وأخت لي، ولكن ليست لي ميول مثلك. بكيت كثيرًا، فَرَقَّ قلبها لي وعانقتني وطمأنتني أنها لن تخبر أحدًا بما حدث، ولن تغير معاملتها معي، فاستكنت، ولكن كنت أشعر بجرح عميق يغزو قلبي وعذاب داخلي لرفضها لي، عدت إلى منزلي وأنا أرى الدنيا سوداء وقد ملأ الحزن قلبي، كنت أترنح شمالًا ويمينًا دون اتزان، وتصدعت بداخلي الأفكار، سكن الوجع قلبي، وعشش الحزن على ملامحي، وهبطت عليَّ الأفكار والتساؤلات: كيف ستتعامل معي، وكيف أستعير وجهًا جريئًا فولاذيًّا لمواجهتها مرة أخرى؟!
ظلت تتقاذف على عقلي التساؤلات التي بتخيل إجابتها فقط أشعر بأنها

سهام تخترق قلبي. قابلت والدتي بوجه شاحب وبدأت تتساءل: ماذا بي، وما أشعر به؟ أجبتها أني بخير، وهرعت إلى غرفتي دون أن أتفوه ببنت شفة، فخلفتني أمي واستفسرت: هل بداخلي شيء ضايقني في زيارتي لسارة؟ شردت لدقائق ثم قلت لها إني مرهقة لأنه جاءتني عادتي وهي توترني وتقلب مزاجي، فنصحتني وهى تربت على كتفي: "لا بأس، اشربي مشروبًا دافئًا واستريحي".

توالت الأيام ولم تحدثني سارة، وأنا أعتزل الأماكن جميعها، أقطن بغرفتي مُرهقة الروح، مهزومة الخاطر، والتزمت الصمت، فانتبه أخي شادي لحالتي، اقترح عليَّ التنزه معه ولكني رفضت بشدة، ولكنه ألح عليَّ، حتى أرغمني على ارتداء ملابسي، وقال لي إنه يريدني بشيء، وجهَّز لأجلي برنامجًا مفاجئًا، كان قد حجز تذاكر سينما لفيلم أجنبي شهير"lala land" فيلم ينتمي لأفلام الميوزيكال الاستعراضية والرومانسية. اندهشت لاختياره عندما أخبرني، فأخي شادي الذي يحب الأكشن والعنف، كيف تسنى له اختيار فيلم رومانسي أكثره موسيقى وغناء واستعراض؟! وما لبثنا أن استقللنا السيارة وقد استعار سيارة والدي الجديدة، وفاجأني بصديقة له تنتظره ببوابة المول لم أكن قد رأيتها من قبل، فعرفني عليها، كانت بنتًا رقيقة وجميلة، تدعى "ساندي" سلمت عليها، لمحت بريق عينيها عند اللقاء، فعلمت أنهما بفترة إعجاب متبادل.

دخلنا قاعة السينما، وبدأ الفيلم بأوبريت طويل، موسيقى وألوان وزهور ورقص، فشردت في محبوبتي سارة، وتمنيت بخاطري أن تصطحبني لهذا الفيلم، أعلم أنها تحب الموسيقى والرقص والرومانسية، فخاطبني أخي -الذي كان بطبيعة الحال يجلس بجانب ساندي- إن كنت أحتاج شيئًا، فأجبته بالرفض.

وجهت نظري إلى اليمين، فوجدت سارة ومعها أصدقائها، لم تشاهدني أو تلاحظني، ولكني ظللت أنظر إليها خلال عرض الفيلم وأنا أتخيلها بجانبي تشبك يدها بيدي، وأخذني شرودي كيف أجعلها تراني! فنظرت لأخي فوجدته هائمًا بساندي، فهبطت عليَّ فكرة أن أدعي أني لا أرى جيدًا من الرجل ذي القامة الضخمة الذي أمامي وأريد أن أبدل مكاني، وقصدت أن أفعل بعض الضجة لكي ألفت انتباهها، ويشاء القدر أن يحقق ما تمنيت، ورأتني سارة وابتسمت لها، فلَوَّحت لي بيدها تحييني بنظرة تحمل عتابًا أعلمه جيدًا، ولكن أسعدتني تلك اللفتة، وتوالت الثواني بالمرور وما أثقلها على القلب والعقل! الثواني التي أريدها تمر لتسنح لي فرصة أن أصافحها، وفرصة لتصفية ما حدث. انتهي الفيلم وغادرت القاعة هي وأصدقاءها بسرعة الرياح العاتية الشديدة التي تجرف كل مشاعر وحنين للقاء.
هدمت آمالي باللحاق بها، فعدت للمنزل أحمل تلال الغيظ وخيبة الأمل، فاغرورقت عيناي بالدموع حتى انتفخت مقلتاي، واعتصر قلبي ألمًا، سمعت

هاتفي تتصاعد رناته، ولكني لم أجب، فلم تعد لي الرغبة في التحدث مع أحد ولم أنظر إليه، ولكن حدثني خاطر من السماء، ربما تكون هي من تهاتفني، فهرعت لهاتفي أنظر إليه، وجدتها هي بالفعل وقد أرسلت رسالة بعد أن حاولت الاتصال مرارًا فحواها:

"عزيزتي ريما، كم أحمل لكِ مودة وحبًّا وصداقة قوية! وأتذكرك دومًا وأتذكر فرحنا ولقاءاتنا ولكن....أعتذر عن تجاهلك بالسينما وعدم مهاتفتك هذه الفترة لأني غاضبة منكِ وأنت تعلمين السبب".

قرأتها بدموع صامتة، وشعرت ببصيص من الأمل بأن تعود المياه لمجاريها، فهاتفتها وقمت بالتحدث معها، وأخذنا نتجاذب الأحاديث حتى صفونا، وعاهدتها ألا أُكرر فعلتي مرة أخرى، أغلقت الهاتف وكنت قد أضمرت في قلبي بأن أحافظ على عهدها وتنفيذ ما أستطيع فعله وأن أنسي مشاعري نحوها.

عادت المياه تسير بمجراها الطبيعي، أصبحت أتعامل بحذر معها حتى لا أخطئ مرة ثانية وتبتعد عني، ظلت متحفظة معي في تعاملها قليلًا من الوقت، ولكن الزمن أزال كل تحفظ، أخذت أفكر بطرق جديدة تجذبها إليَّ.

- ماذا فعلتِ؟

- أصبحت لها سندًا لأي شيء تحتاجه، كنت أُقرب منها وأغلق عليها حلقتي، فكنت أجلب لها الهدايا الثمينة وأتفنن في تقديمها، ودائمًا أشدو بجمالها وأناقتها ولباقتها بالحوار، أصبحت وصيفتها، تأخذ بمشورتي وتقتنع بحكمتي

في أي شيء يمر عليها، كنت دائمة الثناء عليها، ملامحها وجسدها، وأرسل لها الحب بشكل غير مباشر، كنت بنهاية الصف الثالث الثانوي، على الرغم من أنها تكبرني بعام واحد لكن كنا بنفس المرحلة، تختلف مدارسنا، فكنت بمدرسة دولية وهي بمدرسة لغات، تختلف مواعيد إجازاتنا، ولكن كنت أُنظم وقتي لكي أكون بجوارها دومًا، حتى وقعت بحبي واستجابت لمطالبي.

- هل مارستِ السحاق معها؟

- نعم، أصبحت تبادلني الحب كما كنت أريد معها.

- بماذا كنت تشعرين معها؟

- كنت أشعر بنشوة من السعادة والبهجة لقربها مني، فعندما تنطق باسم الحب كنت أشعر وكأني لست على الأرض، أشعر أني سابحة ببحر من السعادة.

- كيف تمارسان الجنس وأنتما مثل بعضكما، أعني من منكما يقوم محل الذكر أو الأنثى؟

صمتت لبرهة ثم أطلقت رنات ضحكها بشكل لا يليق بعيادة نفسية أمام طبيبها الخاص، ثم قالت: أنتم لا تشعرون بنا ولن تشعروا.

- ما الذي لا نشعر به؟!

يا دكتور نحن مارسنا الحب معًا بالفعل لأننا عشقنا بعضنا، أحببتها وأحبتني، ليس لمجرد الجنس وإشباع غريزة، ولكن من أجل الحب.

- كيف تفعلان ذلك، أريد تفاصيل، كيف تصلين بنشوتك وهي امرأة مثلك؟

- لا يهم الطريقة، ولكن أؤكد لك أنني كنت أصل لأعلى مراتب النشوة والسعادة معها.

- لن أضغط عليك بشأن طريقتكما، ولكن أريد أن أعلم الشعور لكل منكما بعد الانتهاء.

- كنت كما ذكرت لك، أشعر بلذة وسعادة وانتصار بأني فزت بحبها بعد رحلة عناء وعدم اكتراثها لميولي.

- وماذا عنها؟

صمتت قليلًا وزاغت عيناها، فألح الطبيب بالإجابة.

- أظن أنها كانت سعيدة معي لأني كنت أبذل كل جهدي لإسعادها والحفاظ عليها وعلاقتي معها.

- أظن وليس أكيدًا.. بماذا كانت تشعر بعد الممارسة مباشرة، بمعنى: هل كنتما تشعران بوخزة ألم الضمير؟

- لا أخفي عليك، كانت تبكي بكاءً حارًّا في بادئ الأمر وأخذت تبتعد عني وتسبّني وتلعنّي، وتتساءل كيف حدث ذلك! ولكن مع الوقت اعتدنا بعضنا وأصبح الأمر يسيرًا.

- وماذا عنك من ألم الضمير؟

- كنت لا أفكر بهذه الطريقة، وما الخطأ الذي ارتكبته؟! خلقني الله هكذا، ماذا كنت أفعل؟ حبها كان يلح عليَّ فعل ذلك.

- وهل هذه كانت أول علاقة جنسية؟

- نعم، كانت أول ممارسة بحياتي.

- وماذا عن السيدة ثريا؟

- كانت مجرد خيال يجول بخاطري وبداية معرفة ميولي، ولكن لم أستطع التقرب منها بهذا الوقت وسني الصغير، لم أكن أميز لماذا أفكر بها كذلك، فكنت فقط أتحسس جسدي وأتخيلها بجانبي، وعلمت بعد ذلك أنها العادة السرية، كنت أمارسها حينما تجوب بخيالي وأتذكر عطرها وأناقتها وجاذبيتها وعذوبة حديثها.

- ولمتى استمرت علاقتك بسارة؟

- استمرت سنتين، حتى التحقنا بالجامعة، ثم بعدنا اختلاف الجامعة، وبدأت توسع دائرة معارفها، فأصبحنا نتشاجر كثيرًا بسبب الاهتمام والغيرة، وفي يوم من الأيام وجدتها قد تعلقت بشاب معها بالجامعة، أبدى لها إعجابًا فابتعدت عني رويدًا رويدًا حتى انتهت علاقتنا كليًّا، أصبحت أكثر كآبة وضجرًا وحزنًا ومشاعر مختلفة. احتار أهلي في تصرفاتي، فاقترحوا أن أسافر مع أخي لعمي بأمريكا، كان يعيش منذ زمن هناك، أخذت برأيهم، وأردت أن أبتعد عن مصر فترة الإجازة حتى أنسى سارة وما فعلت بي وأستعيد نفسي.

- وكيف قضيتِ الحياة بأمريكا؟

- الحياة بأمريكا مثلما حضرتك تعلم، أكثر حرية وانطلاقًا وتقدمًا ورفاهية، لبثت فترة من الوقت حزينة، أمكث بالبيت مع زوجة عمي وأولاده، ولكني مع

الوقت انطلقت واندمجت، التحقت بمعاهد للغة وتعليم فنون النحت والتصوير.

- وماذا عن سارة، هل نسيتها؟

- مع مرور الوقت تناسيتها وانشغلت بالدراسة أيضًا..

صمتت لبرهة زائغة بنواحي أخرى بالغرفة، وغيرت درجة مكانها وبؤرة سيطرة الطبيب عليها بعد أن كانت مسترخية على الشزلونج، انتصبت بجسدها بحركة سريعة وقالت:

هل يمكننا أن ننهي الجلسة الآن؟ فأنا أشعر بإرهاق.

- نعم نستطيع أن ننهي الجلسة كما تشائين، ولكني أريد أن أغلق الجلسة بسؤال واحد فقط لكي أبني تشخيصي بشكل سليم.

- وما هو سؤالك؟

- هل مارستِ السحاق هناك؟

- كنت أعلم علم اليقين أنك ستلقي هذا السؤال عليَّ، ولن أخفي عليك، نعم مارسته بشكل أوسع وبطرق متعددة، هناك اكتشفت مُتعًا أكبر لم أكن أعرفها، وبدون الخوض بتفاصيل، هناك شعرت بحُرية وثقة، فهناك يكفلون الحقوق والمساواة دون خجل أو محاسبة، ولكن ممارساتي كانت للمتعة فقط.

- ماذا تعنين؟ أريد توضيحًا.

- أقصد ممارسة من أجل إشباع الرغبات والميول وليس بحب مثل ما حدث مع سارة.

- أعي ما تعانينه، وكما ذكرت لك، كنت أريد أن أغلق ملفك بشكل واضح وسأنتظرك بجلستك الثالثة.

- إن شاء الله تكون بلا أسئلة كثيرة.

- لن أكذب عليكِ، هناك أشياء ما زلت أجهلها لابد أن أعلمها ولم تذكريها بمفردك ولم نتناقش بها.

- دكتور محمد.

- نعم... سيدتي.

- إلى متى ستستجوبني؟ أشعر وكأني بتحقيق نيابة أو كأني أمثل قصتي على مسرح، هل الطبيب النفسي يستمع فقط ويسأل؟ لماذا لا تساعدني بحل مشكلتي مباشرةً؟

- مدام ريما، الطبيب النفسي ليس ساحرًا، بمجرد أن يعلم بمشكلة يخرج من حاويته العلاج السحري، أو كضابط المباحث، بمجرد أن يجمع بياناته يلقي القبض على المذنب، وليس حكيمًا يستمع وينصح العامة، الطبيب النفسي مستمع جيد؛ لأن دوره يتطلب الإنصات التام للمريض، وعليه أن يجمع كل شيء عن المريض وتاريخه كله لكي يبني تشخيصه الصحيح لحل مرضه أو مشكلته، ربما تشعرين بتفاهة أسئلة معينة أو تغفلين سرد قصة أو بعض الأشياء التي تكون عاملًا أساسيًّا بحل مشكلتك، فالطبيب الناجح

برأيي هو من يشخص الحالة جيدًا ويحلل جيدًا، أما العلاج فهو بأمر الله أولًا، ثم بمساعدة المريض، ثم الطبيب، ولكن إذا مللتِ من جلوسك معي وسردك، أعدك أن الجلسة التالية ستكون الأخيرة بفرض الأسئلة.

- أعتذر منك يا دكتور، ولكني بالفعل أُرهقت وشعرت بصداع مفاجئ جعلني أظهر سخيفة أمامك.

- لا عليكِ.. بالعكس أنتِ لطيفة ومريحة جدًّا بصراحتك، وهذا جانب فعال في التشخيص، عمومًا تستطيعين الاستئذان، وأراكِ بالجلسة القادمة وستجدين ميعادك بالسكرتارية.

انتهت الجلسة وهي تشعر بصداع كما الجلسة السابقة، عادت إلى منزلها دون أن تنطق ببنت شفة، اعتاد زوجها صمتها الغامض بالآونة الأخيرة، فكان لا يكثر الأسئلة ويكتفي بالاطمئنان على صحتها وأحوالها، ويمكث بالساعات خارج المنزل ويأتيها ليلًا، لم يرغب بمعاشرتها، فقد مَلَّ وانتابه السأم منها فزهد في طلبها، كانت تحاول ممارسة حياتها بشكل طبيعي، تذهب لعملها والنادي، تهاتف أصدقاءها وتلتقي بعائلتها لكي تشعر بنوعٍ من الطبيعية، ولكن شعور الرفض والألم الداخلي يصيبها بذعر وعدم الراحة، فشعرت براحة الجلسات، وإن كانت بنظرها لا تفيد، ولكنها تجعلها تُفضي بما داخلها مع شخص مُكلف بالإنصات إليها ويتقبلها، بل أيضًا يريد مساعدتها.

توالت الأيام وحان موعدها، انتظرت بصالته الأنيقة حتى جاء دورها. وما أصعب ساعات الانتظار! ولكن بعد قراءة مجلتين أتى دورها أخيرًا والتقت بطبيبها بلهفة تعدت انتظاره بلقائها، وكانت قد عاهدت ذاتها قبل لقائه أنها ستحدثه كثيرًا وكثيرًا لإخراج طاقتها السلبية المكنونة داخلها.

- السلام عليكم يا دكتور محمد، كيف حالك؟

- أهلًا مدام ريما مرحبًا بك تفضلي..

ابتسم الدكتور ابتسامة عريضة وهو ينظر إليها، اندهشت وقالت:

- لماذا تنظر إليَّ مبتسمًا، هل بي شيء غريب؟

- نعم، أراكِ أكثر مرحًا وتكسو ملامحك ابتسامة مريحة، وقد تخلصتِ من ملازمة اللغة الإنجليزية كما..

صمتت لبرهة فألحت عليه بالتحدث وألا يخشي شيئًا.

- عفوًا.. أشعر بأنكِ أزحتِ عنكِ عجرفتك، وأنكِ لا تعاني من شيء، وأنك تتكرمين بالمجيء إليَّ.

نظرت إليه نظرات حاذقة ثم أشادت به قائلة:

- صدقًا، حضرتك دكتور فطِن، وماهر بعملك، حقًّا شعرت بالفترة الأخيرة أني لم أشعر بارتياح وزاد الأرق والتوتر وكأني اعتدتك أو أدمنتك.

- ممتاز، هذا مُبشر، ولكن لنبدأ جلستنا مباشرةً، دعيني أوجه إليك سؤالاً

مهمًا قبل البدء بجلستنا.

- تفضل.

- هل شعرتِ أن لديك شيئًا غريبًا لابد من إصلاحه؟ لم أقل مرضًا، كما تحبين، ولكن هل أتاكِ شعور بأنك تريدين بالفعل أن تكوني إنسانة طبيعية الميول وتسير حياتك طبيعية دون أن يشوبها قلق أو ما شابه ذلك؟

نعم يا دكتور بالفعل، قبل مجيئي كنت أريد أن أتتبع شيئًا جديدًا من باب الموضة أو الفضفضة مع طبيب نفسي، وأن أثبت لذاتي أني طبيعية وهم الذين لم يتقبلوني، ولكن حقًّا أصبحت بصراع حاليًا، لا أعلم فعليًّا هل أنا مريضة أم غير طبيعية، أم لدي مشكلة ويمكن حلها؟ أو.. أو..

- لماذا تشعرين بهذا الصراع؟

- عندما كنت بأمريكا مارست الحب بحُرية تامة وبحثت عن حالتي، وجدت اختلافًا بين المجتمعات الغربية وبين مصر ووطنا العربي، وجدت المجتمع الغربي يكفل حرية الزواج للمثليين ويعترفون بحقوقهم، وأعظم الأطباء لا يرونه مرضًا نفسيًّا أو شيئًا يُخجل منه، وادعوا أنها فطرة يولد بها الإنسان، فكيف يحاسب ويُقمع بسبب شيء لا إرادة له به؟! هكذا يكون الإنسان، مُسيرًا وليس مخيرًا!!

- الشعوب الغربية لا يحكمها أساسنا الديني والنزعة الفطرية التي خلقنا عليها الله وتدعو لحرية زائفة؛ لأن الحرية لا تضر والمثليَّة لها أضرار كثيرة

سوف أطلعك عليها، وكما وعدتك أن الجلسة لن يكون بها توجيه أسئلة كثيرة، بل مناقشة وتوضيح.

- أريد أن أفهم، لقد بحثت وقرأت وعلمت أن المثليَّة ترجع لميولنا غير الطبيعية بسبب الاعتداءات الجنسية المتكررة في الطفولة مثلًا، وهذا لم يحدث معي، لم يعتدِ عليَّ شخص في طفولتي، ربما تعرضت للتحرش اللفظي والمغازلات كباقي النساء.

شككت أنه ربما يكون لي خلايا ذكورية في المبيض أو ما شابه ذلك تسبب لي خللًا بميولي وقد قمت بعمل تحاليل، أثبتت أُنوثتي الكاملة كما رأيت، كما أنني منذ نعومة أظافري لا أشاهد الأفلام الثقافية أو البورنو، اعتمدت على خيالي فقط، وأشاهد الأفلام الرومانسية كباقي الإناث الحساسة وميلها الفطري للعاطفة، شاهدت مؤخرًا عندما كبرت، ولكن لم تكن سببًا بميولي هذه، لا أنكر أني كنت صامتة ومنزوية أغلب الوقت، ولكن هذا لا يؤدي إلى أن أكون سحاقية كما تذكر، أو سبب مقنع لما أنا به.
نظر الطبيب لها باندهاش وإعجاب بما ذكرته، وكأنها قامت بدوره الذي يفعله بعد معالجتها وتشخيص حالتها. بعد برهة من الصمت قال:

- ممتاز! اطلاعك بهذا الشكل يجعلني أشعر أني مع شخص مُطلع ذكي سوف يوفر علينا اكتشاف الحقائق بأسرع وقت ممكن، أنا سعيد بكِ، نعم هذه

تمثل بعض الأشياء التي تسبب المِثليَّة بالفعل، ولو لم تقنعك، لأنك تحملين ثقافة غربية ليست بثقافتنا، نحن العرب نرجع كل شيء لأُسس علمية وللدين والتقاليد والمكانة وما شابه ذلك، أما الغرب، أعطوا لأنفسهم هالة بأنهم يعطون الحرية للجميع ويرسخون أنهم من أوائل الناس الذين نظموا حقوق الإنسان، وهذا في بعض الأحيان زائف، نعم يا سيدتي، المرأة التي تعرضت للاعتداء الجنسي بالطفولة وتكرر معها، ربما تلجأ للسحاق، وهذا ليس مبدأ راسخًا، ولكن الاحتمال موجود بالفعل.

كما ذكرتِ، العامل البيولوجي يؤثر في ميول الأنثى، ولكن أريد أن أتطرق معك لشيء مهم ذكرته، قلتِ إنك دائمًا منزوية وصامتة، هل تشعرين بأرق مستمر وقلق دائم ووسواس قهري بصفة مستمرة؟

- نعم، أشعر هذا بشكل مكثف بالآونة الأخيرة، وأشعر بصداع وتنتابني حالات بعدم الفهم، ربما تكون وخز الضمير وأنا لا أدري!

- سيدتي ريما، أريدك أن تحدثيني بشكل فضفاض عن زواجك، وكيف تم، وعن علاقتك به إلى الآن دون أن تخفي عني شيئًا كما اتفقنا.

- ماذا تريد أن تعرف؟

- كيف تم الزواج إذا كنت تعلمين ميولك منذ الصغر؟

- بعد سفري لأمريكا ودراستي وتفتح عقلي وتوسع مجال اطلاعي على ثقافات مختلفة، وأخذي للحرية الكاملة في ممارسة الجنس مع مِثليَّات، انتابني

شعور المتاح والمتوفر بعيدًا عن أي تعقيدات.

- وضحي لي، ماذا تعنين؟

- أعني أن الممنوع مرغوب، دائمًا أعيننا تتطلع إلى ما هو مخفي غير معلن، أو محرم وصعب المنال، كما أن الممارسات كانت بدون حب، مجرد إشباع رغبة فقط كما ذكرت لك بالجلسة السابقة، أردت أن أشعر بالحب كما شعرته مع سارة، ولكن لم أجده، وبمرور الوقت انتهت إجازتي وعدت إلى مصر، وكنت بالسنة الأخيرة للجامعة، وأصبحت أبحث عن ملاذي بين الفتيات ولم أجد مثل سارة أحبها.

وأصبح ينتابني اكتئاب وعزلة وعدم رضا، ومع الوقت تصادقت مع بنت أحببتها ولكنها تزوجت بسرعة قبل أن أحاول معها، فأُحبطت ومرضت كثيرًا، حتى لجأت لربي ودعوته مرارًا وتكرارًا أن أنسى وأعيش أقوى من ذلك، وأخذت أصوم وأُواظب على الصلاة والدروس الدينية، وابتعدت عن أي شيء به جنس حتى أنسى ما أنا به، وربطت على روحي وأهملت رغباتي، وذهبت لأداء العمرة ورجعت صافية القلب ونقية الروح، وصرت أبتعد عن كل ممارسة غير طبيعية وغير شرعية، وبتوالي الوقت تقدم لي زوجي عن طريق العائلة، كان يقرب والدتي، رجُلًا طويل القامة، وسيمًا، غنيًّا، وله مكانة مرموقة ويعمل مهندسًا، من عائلة كبيرة لا تستطيع فتاة أن ترفضه، حاولت إعطاءه فرصة، خُطبت له، وجدته لطيفًا جينتل مان، سافرنا

وخرجنا وفعلنا مثل كل الخُطاب، لم يحدث شيء يمنعني من تركه أو أفتعل معه مشكلة.

- ماذا عن شعورك تجاهه، هل أحببتِه بالفعل؟ هل شعرتِ معه مشاعر الحب مثل ما كنت تشعرين مع سارة أو غيرها؟

- أصارحك يا دكتور، كنت لا أحبه ولا أمقته، أراه شخصًا لطيفًا مُسليًا مرحًا، كل شيء يليق به كرجُل، ولكن كصديق، لكن كحبيب لم أشعر أبدًا أني أحبه أو أفكر به ليلًا كما الطبيعي ولا تخيلته بذهني يقربني أو يلمسني، ولكن وجوده بحياتي كان حافزًا قويًا بأني ابتعدت عن ممارسة السحاق، كما عاهدت نفسي وأعطيت لنفسي فرصة، فأنا لم أمارس الجنس مع رجل قط.

- وماذا بعد؟

- تزوجنا بترحيب حار من الأهل، وسافرنا لبلدان كثيرة لقضاء شهر العسل.

- حدثيني عن لقائكما الجنسي الأول.

- عادي، لم يحدث غير المعتاد عليه بين الأزواج، أراد أن يفعل معي مثل أي رجُل ينقض على زوجته للحصول على قطرات الدماء التي تدل على عِفتها من وجهة نظره دون الشعور بشيء، ثم بعد ذلك توالت اللقاءات على حركات قد تبدو رياضية، وسرعان ما يلتقط أنفاسه بسعادة ويقبلني وكلمتان من قبيل: أحبك وأموت بكِ، ثم يغوص بسبات عميق وهكذا.

- امممم.. هكذا ترين العلاقة الزوجية؟

- هذا ما حدث ويحدث معي.
- وماذا كان شعورك نحوه؟
- لم أشعر بشيء، كنت بعالم آخر من التساؤلات: ماذا يحدث بي، وكيف لا أشعر بلذة اللقاء، ولماذا لا أندمج معه وأتوه مثله، لماذا أشعر بكل هذا الألم الروحي قبل الألم الجسدي؟! كنت أستنكر أني أشعر بألم خلال اللقاء كله وهو يشعر بأعلى مراتب اللذة.
- كيف لا تشعرين والألم الأنثوي باللقاء الحميم يعني اللذة؟ فالمرأة لذتها مرتبطة لديها بالألم، كلما زاد ألمها زادت نشوتها.
- لا أقصد ألم الجماع، أتحدث بألم داخلي كلما اعتلاني وعاشرني، كنت أشعر أني أختنق وكأنه يزهق روحي وليس يعاشرني، لم أشعر بلذة معه مثلما كنت أمارسه مع بني جنسي.
- ولا مرة شعرتِ معه بمتعة حقيقية؟
صمتت لبرهة وكأنها تحاول أن تتذكر أو تحاول التملص من السؤال، ولكنها أجابته دون أن تنظر لعينيه قائلة:
- بعد أن تفاقمت بيننا المشاكل وبدأ يخترع أشياء ويفعل أشياء كثيرة لكي أتجاوب معه، أصبح يفعل أشياء جنونية لكي ترضيني أو أشعره بذكورته وفحولته وأني مستمتعة معه.
- مثل ماذا؟
- يعني كنا نفعل مغامرات غير تقليدية، مثل أن نقوم بذلك في السيارة،

وأحيانًا تحت الدش وغيره، كنت وقتها أشعر بلذة غريبة غير معتادة، خصوصًا مع يقيني بأنه يحبني، ومحاولاته لأن أكون سعيدة معه كانت تحفزني لأن أنسجم معه.

- وهل انسجمتِ حقًّا أم مثلتِ الانسجام؟

- أرجوك لا تحرجني.

- أريد أن أعلم.

- أحيانًا كنت أمثل وأحيانًا كنت أشعر بلذة المغامرة، ولكن مع الوقت لم أعد أستطيع تحمل علاقتي به وممارساته، وأردت العودة لطبيعتي.

- وماذا تعني بطبيعتك؟

- لا أعلم! كنت أشعر بالبرود أثناء مُعاشرته لي، لم أشعر بأي شيء نهائيًّا، فكان يتأوه وأنا صنم صامت تحته لا أتحرك، هو من يفعل كل شيء، لا أنكر أنه بذل كل مجهود لكي أشعر به، ولكن بالفعل أصبحت أكره لمساته ولم أعد أطيق أن يعاشرني، وشعرت بالبرود الجنسي تمامًا، حتى أنه أحضر لي كل شيء لكي يحرك لدي العاطفة، من الألعاب الزوجية، واللبان ذي نكهة الفراولة المثير وغيره، ولكنه لم يفلح أن ينال استجابتي لأرضي رجولته، فاستمر الشِّجَار بينا وأوشكنا أن ننفصل بسبب تلك الممارسات، ولكن اكتشف حملي، وأصبح يصبر عليَّ ويتأقلم، يأخذ ما يريده دون استمتاع مني ومنه أيضًا، فكنت لا أشعره بسعادة اللحظة، فأحيانًا أسأله وهو يعتليني: هل انتهيت؟ وكأني فتاة مؤجرة يعاشرها ولست زوجته.

أنجبت طفلي، وأصبح هو يعاني من عدم استجابتي له حتى مل مني وسأم؛ فزهد بمعاشرتي ولم يعد يطلبها، تركني وأهملني، واضطررنا للعيش تحت سقف واحد من أجل طفلنا ومظهرنا الاجتماعي.

- هل حاولتِ أن تصارحيه بحالتك وميولك؟

- لا، لم أصارحه، فهو يعتقد أني باردة جنسيًّا، وعرضني بالفعل على طبيبة نساء وذهبت من أجله، ولكن لم نصل لشيء جديد.

- لماذا لم تصارحيه بميولك؟

- حاولت كثيرًا أن أصارحه وأصارح الجميع، ولكن خشيت على طفلي وحياتي وأسرتي، لذلك أنا في صراع دائم، ما بين قلب الطاولة على رؤوس الجميع والارتياح، وما بين كبتي لميولي واحتياجاتي؛ لذا لجأت لك لأني لم أستطع أخذ القرار.

- هل يعلم أحد من أسرتك؟

- لا أحد يعلم سوى أبناء عمي بأمريكا فقط.

- لماذا لم تحفزي نفسك وتعطي الفرصة لزوجك أكثر من ذلك، بأن تحبيه وتستطيعي أن تتأقلمي معه طالما استجبتِ مرات ولو قليلة؟

- حاولت ولكني فشلت.

- وماذا عن شعورك بالأمومة؟

صمتت لبرهة ثم انهمرت ببكاء شديد، فحاول تهدئتها، لكنه لا يعلم ماذا

انتابها أو ما تشعر به! فأعطاها فوارًا سريعًا ليهدئ من روعها، وبعد برهة استأنف الطبيب حديثه، طالبًا منها أن تهدأ، متسائلًا عما شعرت به منذ أن طرح السؤال ومما خشيت؟

- لا أعلم! خشيت على طفلي وعلى حياتي، رأيت مستقبله يمر أمام عيني بشريط سينمائي سريع: كيف سأربي طفلي وأنا لم أكن متزنة، كيف ستكون حياته إذا علم ما أنا به؟!

- اهدئي ولا تستبقي الأحداث، سوف تشفين وتتخلصين من كل شيء يؤرقك بإذن ربنا، لا تخشي، ولكن أتحدث عن غريزة الأمومة، هل شعرتِ بها أم انتابك برود أيضًا؟

- نعم، شعرت بمشاعر كل أم بطفلها، كنت أسهر ليلًا من أجله، أطعمه وأرعاه وألبي طلباته، لم أقصر بواجبي نحوه، ولكن كلما نظرت إليه يشعرني بقلق شديد ووساوس وأرق وأشياء كثيرة تتقاذف على عقلي، تجمد مشاعري وتصلب فكري يجعلني أفكر بشكل سلبي، حتى هبطت فكرة عليَّ من السماء بالانتحار والتخلص من ذاتي.

- هذه ليست فكرة من السماء، بل من فعل الشياطين.

- تعتقد يا دكتور أن الله ظالم، يخلقنا بأشياء فينا ويحاسبنا عليها؟!

- استعيذي بالله؛ لأن هذه التساؤلات ستفتح عليكِ باب الإلحاد، ربنا عدل، رؤوف بعباده، السحاق أمر من الأمور المكتسبة وليست صفة متأصلة

بالبشر، حتى ولو خُلقتِ بيولوجيًّا تحملين صفات ذكورية أعلى، تتم المعالجة، وأحيانًا يولد أطفال بعيوب خِلقية مختلفة، مثل طفل برأسين أو بثقب بالقلب أو.. أو... إلخ، أهذا ظلم أم لحكمة يعلمها الله؟! أحيانًا يفسر العلم أشياء بها رحمة للطفل تُكتشف فيما بعد، ولو علمنا الغيب لاخترنا الواقع.

مدام ريما، لا تتعاملي مع حالتك بشكل أنك مسيرة ومظلومة خلقتِ هكذا، هذا ليس صحيحًا، أمر السحاق مكتسب لديك، ناتج عن خوف وأشياء ومفاهيم خاطئة ترسخت بعقلك الباطن، وصمتك وانغلاقك على نفسك جعل بداخلك فورانًا وثورة داخلية، أخرجته بسلوك غير سوي وبميول معارضة للطبيعة، فأنا كطبيب نفسي، شعرت برغم صراحتك وجرأتك وميولك للمعرفة لذاتك، أنك تخفي شيئًا عظيمًا قد يكون فك شفرة عذابك وحل لغز مرضك.

- ما هذا الشيء الذي أخفيه عنك يا طبيبي؟ أحدثك بكل صراحة وصدق، ولا يوجد ما أخفيه عنك عن قصد.

- لماذا لم تحدثيني عن طفولتك ما قبل الرابعة عشرة واقتصرتِ طفولتك على ما بعد الرابعة عشرة؟ ففترة الطفولة وما قبل البلوغ لها أثر عميق وعظيم على الفرد، ما يحدث للطفل منذ ولادته حتى فترة بلوغه يترسخ في ذهنه، حتى مماته ومسح أشياء من ذاكرة الطفل مرسخة فيه صعب.

- لم يكن بها أشياء مهمة لأذكرها، أو لم تطرح عليَّ سؤالًا محددًا كي أجيبك، كما أن حينها لم يتكون لدي الميول للمثلية.

- هل يمكنني أن أطرح عليك بعض الأسئلة وتجبيني بصراحة وبطريقة محددة؟

بكل تأكيد تفضل.

- ما شكل علاقتك بإخوتك الشباب؟

- علاقة متوسطة، لم نكن أصدقاء بشكل جيد، ولم نكن على خلاف، نتعامل كما ذكرت بحُرية تامة، فقد أعطى والدنا لكل منا حريته كاملة، ولكن لم تخلُ علاقتنا أحيانًا من المضايقات والمشاحنات، بالأخص مع شادي، فكان يثير أعصابي أحيانًا بأوامر مثل افعلي هذا ولا ترتدي هذا، لا تقتربي من هذا ولا..إلخ، ولكن رأيه في النهاية يظل رأيًا وأفعل ما أريد.

- وما رأيك بشادي؟

- ماذا تقصد؟

- أقصد كرَجُل، وفادي أيضًا.

- أحبهما كثيرًا، فهما أخواي، لطيفان معي، يخشيان عليَّ كثيرًا، أنا مدللتهما، ولكن كرِجال، فادي كان طيبًا، مهووسًا بالرياضة والمطالعة والثقافة والعمل والاجتهاد، ولكن شادي منذ صغره مهتم بالنساء ومولع بهن، ويتبع أساليب ملتوية معهن، تستطيع أن تطلق عليه مسمى "رجل نسوانجي" فكان

يرتبط بتلك ويترك تلك، منذ صغره وله علاقات نسائية كثيرة.

- وما تقييمك لتصرفاته؟

- كنت أراه حرًّا يفعل ما يريد، طالما أن النساء اللواتي يرتبط بهن يوافقن على ذلك فما دخلي؟

- لم أعنِ هذا، أقصد رأيك الشخصي في أفعاله، هل توافقينه على أفعاله؟ أجيبيني دون عجرفة ومبادئ الأمريكان والخطب الرنانة، أسالك عن قرارة نفسك.

- بالطبع لا أحب أن يفعل رجل ذلك بامرأة، ويتنقل ما بينهن كالأزهار، يأخذ رحيقهن ثم يتركهن دون رحيق أو حياة، ولكن هذا طبع الرجال، يأخذون أحلى ما في الزهرة ثم يتركونها تذبل وتموت بالبطيء.

- لماذا أصدرتِ حكمًا على الرجال أجمعين، وليس لكِ علاقات وطيدة معهم؟

- كيف؟ أنسيت أني متزوجة؟!

- نعم، ولكنها علاقة سطحية لم تقم على أسس صحيحة، ولم تعطي لذاتك الفرصة لتقيمي حياة زوجية ناجحة قائمة على الفهم والتكامل والحوار. سيدتي الجميلة، أحب أن أطرح سؤالًا مهمًّا بنسبة لي.

- تفضل.

- أسردي لي علاقتك بوالدتك بشكل أوضح.

- أمي تعمل طبيبة أطفال، وأغلب وقتها بالخارج، ولكن كانت أمًّا حنونة

وعصرية، لا تبخل عليَّ بوقتها إذا تواجدت، والحق يقال ترعاني خارجيًّا.

- كيف خارجيًّا؟

- يعني إذا بَدا عليَّ شيء، أو طَرَأ أمر ظاهري تقوم مسرعة بتكثيف اهتمامها بي، وتتساءل وتقترب، ولكن الأشياء الداخلية لم أسرد لها عنها شيئًا أبدًا، كنت أحبس أفكاري بزنزانة مُوصدة بمفاتيح عملاقة محفوظة بخزنتي أنا فقط، العيب مني وليس منها، أعلم أنك ستسألني: هل قصرت بوجباتها معي ولم تصادقني؟ ولكن الحق يقال، أنا لم أعطها الفرصة.

- ذكاؤك حاد.

- وقبل أن تسألني عن علاقتي بأبي، هي علاقة أيضًا وسطية، برغم تدليله الزائد وتفضيلي بأمور كثيرة عن أخويَّ، كنت أراه منذ صغري رجلًا عمليًّا عقلانيًّا بالمنزل، وكأن مهنته انطبعت عليه، فكان يربط مكافأتنا وسفرنا ومصيفنا منذ صغرنا بتفوقنا العلمي والرياضي وطاعتنا للأوامر وانصياعنا للوائح.

- حدثيني عن علاقة والدك بأمك، كيف كان يعاملها كزوج؟ حدثيني عنه كأب، ولكني أحب أن أعلم سماته كزوج.

نظرت له باندهاش وحدة، ثم علا صوتها:

- ماذا تقصد؟ وكيف يتسنى لي أعرفه كزوج؟!

انتابها قلق شديد بَدا على ملامحها واحتبست الدموع بعينيها، ثم وثبت في خفة قائلة:

- هذا السؤال وجِّهه لأمي، أنا لا أعلم، ولم أكن بجانبهما على السرير.. بعد إذنك.

- مدام ريما، أين أنتِ ذاهبة؟ هدئي من روعك لم أقصد شيئًا.

تركت ريما المكان وأخذ الطبيب يكتب ملاحظاته في ملفها الشخصي مسجلًا:

بعد طرحي السؤال عليها والذي كنت أنتظر إجابته، لكن بتصرفها قد أثارت بداخلي الشكوك التي تراءت أمام عيني وتجلت بفكري بعد سردها بعض أمورها الشخصية، أنها تحمل عقدة منذ الصغر، ترسبت وترسخت بداخلها دون أن تناقش أو تحل، يا تُرى ماذا الذي تخفيه داخل طيات قلبها وعقلها يجعلها تتألم من تذكره وترفض البوح به؟! سوف أبذل أقصى جهدي لمعرفة تلك العقدة. توالت الأيام ببطءٍ شديد، وجاء ميعاد ريما ولم تأتِ، فهاتفها الطبيب بذاته، فأجابته ريما قائلة:

- أهلًا دكتور محمد.

- لماذا تخطيتِ ميعاد جلستك، أما زلتِ غاضبة مني؟

بعد صمت دام لدقائق...

- عفوًا يا دكتور، لم أغضب منك، ولكن لدي أعمال كثيرة تشغلني عن المجيء.
- أنتِ امرأة ذكية وفطنة وذات شخصية قوية وجريئة، لا تختلقي حججًا ضعيفة تعلمين جيدًا أني لا أصدقها.
- صراحةً وجدتني أضيع وقتًا في الحديث فقط، ولا يوجد لديك أي حلول جديدة تقدمها لي، أستطيع أن أسرد لصديقاتي المقربات إذا أردت الفضفضة.

قالتها بصوت مرح واستهزاء وضحكت بسخرية.
- مدام ريما، برغم محاولاتك الجادة أن تظهري لي بمظهر السماجة والسخافة، ولكن لم تجيدي التمثيل، أعلم جيدًا مما تخشين، ولكننا اقتربنا للنهاية والعلاج، أوشكت على البدء بمعالجتك بالفعل، وما انتابك هو شعور طبيعي، أرجو منك ألا تستسلمي لوساوسك.

ارتفع صوته آمرًا: سوف أنتظرك غدًا وسوف تأتي، وأغلق الهاتف ليدق جرس تهديد لكشف مخاوفها وسبب عِلتها، وفي ميعادها بالثانية حضرت ريما لمركز الدكتور محمد شاهرة راية الاستسلام، تقف أمامه مستسلمة خجولة، يكسو ملامحها القلق والتوتر مما سيحدث لها.
بعد سلامه الحار لها وابتساماته المعهودة ونظرته الحانية التي طمأنتها، طلب لها عصير برتقال طازجًا، وأخذ يتطرق لموضوعات الساعة، في السياسة

والكرة والأدب والفن، حتى خفض لديها حدة التوتر وقربها منه بشكل يجعلها تثق به وتتعامل معه كصديق قبل طبيب، وبالنهاية أرادت هي أن يبدأ معها الجلسة، وأخبرته أنها سوف تخبره بكل شيء كبتته وأغلقت عليه بزنزانة الكتمان.

- تستطيعين سرد كل ما تخفينه بعقلك الباطن ولا تخشين المصارحة به.
- كنت سألتني عن والدي كزوج، فأنا أرى أبي رجلًا عمليًّا كما ذكرت، الحياة لديه بالورقة والقلم، وقور، يملك احترام الجميع وإشادتهم بنزاهته وشرفه، وكأب حنون يوفر لنا سبل الراحة والرفاهية، وكزوج أغلب الوقت يحترم واجباته مع أمي، لديهما حوارات في أمور كثيرة، يختلفان ويتفقان كأي زوجين، لكن كنت أرى احترامهما لبعضهما، ولكن أتذكر وأنا طفلة في المصيف ولدينا شاليه على البحر، كنا نلهو أنا وأخواي على رمال الشاطئ، وكان في وقت العصاري كل الأهالي مع أولادهم، إلا أبي وأمي، كانا بالشاليه، واعتقد أخويَّ أنهما غَفوَا بقيلولتهما المعتادة، فوجداها فرصة لقيادة الدراجات التي كان أبي يحذر من قيادتها ..

كنت حينذاك صغيرة جدًّا، تسع سنوات على ما أظن، ولا أستطيع أن أقود دراجة بمفردي، فأخذني أخي أمامه على دراجته، وظللت أضحك وأمرح، ولكن أخي لم يكن متمكنًا بالقدر الكافي للتعامل مع اعوجاج الجادون الذي التوى فجأة بسبب الحِمل فسقطنا على الرمال، فالتوت وخُدشت قدمي،

ظللت أبكي بكاءً حارًّا وكان أخي يربت على كتفي ويهدئ من روعي، وبكل خوف من عقاب والدي؛ لذلك سارع يضمِّد جرحي، وابتاع لي الحلوى حتى أكُف عن البكاء، وبالفعل سكنت لبرهة وظل هو يلعب مع أصدقائه بالدراجة، فجأة شعرت بالملل فأردت العودة إلي الشاليه، أصبحت أسير ببطء وأتأوه داخليًّا حتى لا يبدو عليَّ شيء ويسألني والدي عما بي، وصلت الشاليه، ولكن لم أجد أحدًا بالصالة، فسرت لحجرتي على مهل دون أن أصدر صوتًا حتى لا يستيقظا بفعل خطواتي، ولكن سمعت داخل غرفتهما تأوهات صاخبة تشي بالألم وكلمات وتنهيدات أمثال ارحمني، براحة، وآهات عالية.. كان صوت أمي وسمعت أنفاس أبي.

ظننت بادئ الأمر أنهما يتشاجران بأمر ما، ولكن لم أرَ والدي يومًا يتطاول على والدتي باللفظ، فكيف يتسنى له مد يده؟! احترت، ماذا أفعل وكيف أتصرف؟!

فكرت أن ألفت أنظارهما وأحدثهما وأستفهم عما يحدث لديهما، ولكني خجلت، حاولت أن أنادي على أخويَّ كي ينقذا أمي من أبي، ولكن قدمي لم تسعفني، فأخذني فضولي أن أرى من ثقب غرفتهما، رأيت مشهدًا لم أتصور يومًا أن أراهما به! كانت أمي تصرخ وتتلوى بشدة، لم أعلم وقتها لماذا يفعل أبي ذلك بها! وبعد فترة وجدتها تضحك وكأن شيئًا لم يحدث، وكأن أبي لم يقم بتعذيبها!

هرولت إلى حجرتي بسرعة البرق وتناسيت جرح قدمي، وانشغلت بجرح طفولتي وبراءتي وفكري، كتمت كل ما رأيته واختزنته دون أن أتفوه به لأحد، وبدأت تتعاصف على ذهني تساؤلات: لماذا أبي يعذب أمي ليلًا بعد تكرار المشهد كثيرًا، ولماذا أمي ترضى بهذا العذاب ولا تشتكي أو تعامله معاملة سيئة؟! أصبحت لا أغفو ليلًا، وأستيقظ خائفة من نومي، ولكن دون أن أذهب إلى غرفة والدتي كما كنت أفعل، كنت أكتفي بتشغيل التلفاز ليصدر صوتًا يلهيني حتى أعود للنوم مرة أخرى ولكني كنت أظل مستيقظة. فيأتي الصباح لأجدني لا أريد التحدث مع والدي، وأشعر بالخوف منه، ولكني سرعان ما أرق إليه عندما يحنو عليَّ ويعطيني مساحتي من الحرية، وتفضيلي على أخويَّ، ولكن يا دكتور نسيت هذا المشهد عندما كبرت وعلمت أنها العلاقة الحميمة بين الأزواج.

- تقصدين تناسيتِ.

- ماذا تقصد؟

- أقصد أنكِ تخطيتِ الموقف، ولكن ترسخ بعقلك الباطن المشهد بصورته التي كانت بخيالك وقت طفولتك، خصوصًا أنك لم تحاولي أن تستفهمي عن هذا المشهد، استقبلتِ المشهد وصمتِ دون نقاش مع أحد.

- هل تظن يا دكتور أن هذا سبب ما بي؟ أنا لا أعتقد ذلك لأني علمت الجنس وتزوجت.

- علمتِ، ولكن المشهد لم يُترجم عندك كذلك، فترجم أن والدك يقوم بأذية

والِدَتِك وصوَّر لك عقلك الباطن - بعد معرفتك بالجنس أيضًا - أن الرجل يؤذي المرأة لأنه يسبب لها ألمًا، ولم تحتملي فكرة الألم في هذه العلاقة الطبيعية لأنك رأيت والِدَتَك تعاني من هذا الألم، حتى بعد معرفتك أن الأنثى تصل لقمة مراتب اللذة والشبق كلما تألمت بالعلاقة، وكما ذكرت لك من قبل، لذلك رفضتِ السماح لأي رجل أن يدخل حياتك بسبب الخوف، لأنك رأيتِ تصرف والدك مع والِدَتِك، برغم قمة الاحترام والوقار التي ترينه بهما، كما أن علاقات أخيك شادي التي ترفضينها بداخلك، تسببت في ترسيخ ونمو أفكار خاطئة عن الرجال، ولم تسمحي لذاتك أن ترى نماذج أخرى، فكنتِ مهما تعاملتِ مع الرجال تتعاملين كأنهم كائنات للمصادقة فقط ولا تصلح للحب، لذلك اتجهت ميولك للنساء؛ لأنكِ تعلمين أنهن لن يؤذينك، كما أن مشاعرك وخواطرك الداخلية والعاطفية صورت لكِ أنهن قادرات على تلبية احتياجاتك ورغباتك بما أنهن إناث مثلك يعلمن احتياجاتك، حتى محاولاتك اللجوء إلى الله، كانت فاشلة وخارجية دون وعي وتضرع، ولم تعطِ الفرصة لزوجك أن تنسجمي معه برغم كل شيء جميل يؤديه إليكِ وصفاته وخصاله الحميدة التي تتمناها أي أنثى كما ذكرتِ، وهذا لأن عقلك الباطن رافض كل شيء منه كونه رجلًا فقط. المِثليَّة أمر مكتسب، ولكنه مرض نفسي، ولو رفضه الغرب وأخرجوه من سياق المرض النفسي، لكن ظروفك والبيئة المحيطة بك لم تساعدك على فهم ذلك، وألزمتك على السير بالطريق المعاكس والخاطئ، فانطواؤك، ورقتك،

وصمتك وانغلاقك على حالك بفترة الطفولة أدى لنمو الخوف المرضي، فسلكتِ ضروب الكتمان والهروب، وفي فترة المراهقة عندما ألحت عليك وخزات الشهوة، اضطررتِ إلى اللجوء للمثليَّة، وحتى بعد الممارسة والصدمات التي مررتِ بها، لم يأتكِ شعور بالندم والخوف من الله؛ لأنه لم تترسخ لديك مفاهيم صحيحة منذ الطفولة؛ لأنك تخطئين في مصادرك والاكتفاء بطريق البحث على الإنترنت، وعندما وصلت لسن تسمح لك بالمعرفة العقلية والبحث والمناقشة، سافرتِ إلى أمريكا وحملتِ ثقافة غربية تمنح حقوقًا للشواذ، فنسبة الشواذ بأمريكا عالية، وأباحت أيضًا زواجهم، كما أن ثقافة الغرب بعيدة عن معتقداتنا الدينية وتقاليد مجتمعنا، ولكن أعجبك مبدأ الحرية وتصرفتِ على أنك حرة وغفلتِ مبدأ "أنت حر ما لم تضر".

أجابت بذهول من معرفة حقائق عنها وتحليل أمرها:

- ولكني لم أضر أحدًا، كنت وحدي من أعاني.

- بالعكس، أنت تُضرين ذاتك، والحرية مبدؤها عدم الضرر، لأن جسد الإنسان وعطايا ربنا ونعمه مجرد أمانة سوف نُحاسب عليها، سوف أطلعك على أضرار المثلية، وهذا ليس لترهيبك ولكن لمعرفتك بالمشكلة، هناك أضرار نفسية واجتماعية وعقائدية وفكرية، وسيادتك مررتِ بها ولم تعلمي سببها، فالقلق والهوس والوسواس القهري الذي كان ينتابك من كل حين لآخر

بسبب السحاق، لشعورك بعدم الثقة والاندماج مع الآخرين، وعدم تقبل المجتمع لميولك يصعب تكيفك مع الآخرين، وهذه أضرار نفسية، وهناك أخرى اجتماعية أيضًا، فعدم الاندماج والانعزال بسبب ميولك سلبكِ طاقة المشاركة الفعالة في المجتمع كجزء منه بسبب السرية والكتمان الشديد لتشعري بعدم الرغبة بالمشاركة، كما أن تكرار الممارسات يؤدي إلى غشاوة على القلب، وعدم الخوف من الله وتبلد الحس وموت الضمير، والسماح لمرور الشيطان لحياتك، حتى المِثليين بالغرب، ينادون بتزويجهم، وقد تم بالفعل ببلدان كثيرة، خلاف أن المِثليَّة حرام شرعًا ويعتبر زنا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "السحاق بين النساء زنا بينهن" ولن أتطرق إلى الدين لأني لست بفقيه يعظك، ولكن تعلمين من بحثك الدائم أنك مخالفة للطبيعة والشريعة.

ولم أغفل الأضرار الجسدية، فالممارسة تسبب التهابات مهبلية وفطرية وبكتيرية، وإدمانه قد يؤدي إلى تليفات بقنوات فالوب، ثم التصاقات، والتي - لا قدر الله - تمنع الحمل وتسبب العقم، ومع الإناث العذراوات قد يفقدهن عذريتهن، وبالاعتياد على الممارسة مع الإناث سيؤدي إلى البرود الجنسي بعد الزواج وعدم إشباع رغبتك كاملة بسبب ما اعتدتِ عليه، وهناك العديد من الأضرار الكثيرة، ولكن أكتفي بذكر ما يخص حالتك.

تنهدت في توتر وضيق قائلة:

- وماذا أفعل لكي أعود سوية؟ أريد بشدة أن تصلح حياتي وأصبح طبيعية.
ابتسم الطبيب ابتسامة عريضة ثم قال:
- وهذا أول خيط بالعلاج، لابد أن تكوني مؤمنة بالعلاج داخليًا، ويكون لديك إرادة قوية بأنك تريدين التخلص من هذا السلوك غير السوي، ولابد من البعد عن كل مسببات الشهوة والميول الخاطئة، واللجوء إلى الله في كل صغيرة وكبيرة، الجئي إليه بقلبك وكل كيانك، وأكثري من الدعاء ولا تملي، فالله يبتلينا ليرحمنا وليس ليظلمنا، تعودي أن تناقشي وتحاوري في كل شيء، خصوصًا بالصدمات، لا تأخذي الأشياء على شاكلتها دون تفسير، ابتعدي عن كل ما يثير لديك الشهوة المحرمة، أمثال الأفلام التي تشجع وتحلي لديك السحاق، والأهم امنحي لزوجك الحرية بأن يشعرك برجولته وأن تندمجي معه، اجعلي علاقتكما قائمة على الحوار وأن تناقشيه في كل أمور حياتكما الجنسية، اطلبي منه أن يتفهم وضعك واسردي له عن احتياجاتك ومتطلباتك، فقال الله تعالى: { لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ } والأهم هو أن العلاج النفسي يأخذ وقتًا، أريد منك الصبر والإرادة والإيمان، وسوف أكتب لكِ بعض الأدوية التي تقلل لديك الشهوة ومضادات الاكتئاب، سوف تعانين في بادئ الأمر، ولكن مع الوقت سوف تنعمين بحياة هادئة، وسوف تستمرين بالجلسات العلاجية وتسردين لي كل ما يطرأ عليكِ.
- شكرًا يا دكتور، سوف أنفذ كل برنامجك، فأنا أثق بأنك سوف تشفيني.
- الله الشافي وما نحن إلا سبب.

توالت الجلسات، وشعرت بتحسن وأحيانًا تعبًا، ما بين منحدرات الصعود والهبوط، حتى جاءت بجلسة وسردت له أنها استطاعت تنفيذ كل ما أوصاها به، وأصبحت حياتها هادئة وسوية، ولو أنها أحيانًا تشعر برغبتها بأخذ صديقتها بالعمل في حضنها وتقبيلها، بالإضافة إلى أنها تحلم بها ليَلا، ولكن تؤكد له أنها أيضًا أصبحت تستمتع مع زوجها وتشعر بأنها حامل وسوف يكون لديها طفل آخر...

انتهت

* * *

رسائل إلى السيدة راء

لم أعشق البحر وزرقته إلا عندما أحببت كائنًا حوتيًّا يحمل صفاء البحر في ملامحه، هياجه وثورته في غضبه، لم أعتد يومًا بشكل النهر في جريانه إلا عندما جرت مشاعرك في عروقي، فاعتدت حب المياه كونها سكنًا لكائنك، وكما يقال إن الساكن يتطبع ببيئة سُكنته ويتشبه به، فإذا كانت المياه بلا طعم أو لون أو رائحة، فغيابك يفقدني طعم الحياة ويسود لون الأيام أمامي، وتغيب رائحة زهورك عن مداري وفلكي.

يا من كنت أحبها.. اعلمي أن الحس النابض بفكرة الغياب حس غائب عن المعرفة، والتلقي حس يسكنك بكوكب اختلقته لذاتك، كوكب تعيشين فيه بمفردك، مليء بالخيالات التي اختلقتها لذاتك لكي تتماشي مع فكرك، ترين العالم بمنظور واحد هو منظورك، كيف يعيش الناس المحيطون بكِ بعينيك، وكيف يتخلون عن كيانهم في التفكير والتعبير لاسترضاء الخيال والحس والعاطفة على حساب عقولهم؟!

يا من كنتُ أحبها... كنت لا أملك لكِ غير الدعاء والمحبة الصادقة التي لم تقدِّري ثمنها، وبعت محبتي لك بأبهظ الأثمان.

لم أكن أعلم أن مرضك اللعين هو عشقك للعب والعبث بالمشاعر، فكيف لتلك الراء التي تلحفت بها ليلًا ونهارًا وتقت شوقًا إليها، أن تسقيني من

كؤوس المرارة وتذيقني العذاب كأنه عشق؟! لكنه عشق بنكهة الصبار،
كيف لتلك الراء التي نشد لها زيدان وقال عنها:
"للراء مع الحب سر مستتر، فلا حب إلا وفيه: رحمة، رقة، رأفة، رغبة، رعشة نوال".
كيف لتلك الراء أن تقسو وتجور وتزهد وتجرؤ على أكثر الناس حبًّا لها؟!
فأنا الفارس الهُمام الذي كنتِ تشدين بصفاتي لحنًا وهميًّا اختلقته، وأرفقتِ به كلمات وشعرًا رنانًا من نظمك، كيف تكونين كثعبان الكوبرا المميت تخفي سُمَّك بابتسامات صفراء وكلمات عارية من صدق المشاعر؟! تعطيني أملًا في الغد وسجنتِ مستقبلي بين يديك!

يا سارقة، سرقتِ عمري وريعان شبابي، سرقتِ قلبي ودقاته، وقتلتِ طموحي وهزمتِ مشاعري، كيف أبدلتني لدميتك التي تلهين بها وقتما
تشائين؟! جعلتني أذوب في تفاصيلك وأجعل حياتك همي وأنتِ لا تبالين! كم كنتِ بارعة بالتمثيل وكأنكِ تقمصت دور كارمن بجلالتها وقسوتها ودهائها وسيطرتها على الجندي وحولته من جندي مطيع إلى شقي خارج على القانون مطلوب رأسه، ليقوده هذا الحب الجارف أخيرًا إلى ساحة الإعدام بعد أن طعنها بسكين في صدرها!

حقًّا أنتِ ممثلة بارعة، أجدتِ دورك في تحطيم قلبي وكياني، لكني اخترت الانتقام منكِ عبر الورق ورسائلي، فإذا أردت أن تنتقم من شخص اترك له ذكريات جميلة تقتله كلما تذكرها.

أسرفتِ في دلالك وحبك لي، لم أعلم أنكِ تحملين خنجرًا مخفيًا أصبتِ به قلبي دون رحمة، كيف تعطيني طموحًا بخطبكِ الرنانة عن إجادتي في كل شيء أفعله، وقطعتِ عهودًا أن تكوني ظِلي؟! غزوتِ كياني وملكتِ فكري وملأتِ ليلي لآلئ وكسوتِ نهاري شمسًا لا تغيب، لكن مع بزوغ بصيص نور، ذبتِ وكأنك قطعة سكر زائفة، لها لون السكر وحلو مذاقه، ولكنه ملح قد حلل حياتي وأفسدها.

بارعة أنتِ بسهام نظراتك وتنويمك مغناطسيًّا لي؛ فسلبت مني الإرادة، جعلتني طفلًا صغيرًا لا يقدر على اللهو دون أوامر والديه، مثل الضال بالصحراء، كيف يا معاليكِ أسرتني في زنزانة أفكاركِ التي تحمل بظاهرها الحب والوفاء وفي باطنها الغدر والطعن؟! كيف لكِ أن تغدري بعهود كثيرة قد قطعناها بالدم قبل اللسان؟! تعاهدنا على أن يربطنا الهوى، بل يربطنا العشق، كيف بعد أن سكبت حبري ودونت على قلبي أنك سكن دائم لا يجوز إخراجه؟! كيف استطعتِ خداعي كل هذا الوقت وجعلتني أذوب بتفاصيلك وأحفظ ملامحك؟! أهذا سحر أسود اتبعتِه جعلني أرتبط بكِ أكثر وأكثر؛ فكنت أشعر بألمك وتعبك؟! فكلما شعرت بك، أخاطرِ ليلًا وأناشدك صباحًا وأحدثك أني أحسست بك، كنت أتمنى دومًا أن أكون بدلًا

منكِ وآخذ عذابك، فكنت أحرِّم عليك الحزن وأعلن الحداد لذاتي وأعاقب ذاتي إذا لم أستطع أن أمنع حزنك.

اندمجت بروحك، وشعرت بأن روحك خُلقت لي وحدي، كنت معكِ مثل الأسير الذي ليس له حق تقرير مصيره؛ فتركت لكِ شأني تتصرفين به كما شئتِ؛ فأفسدتِ حياتي وجرحتِ كياني.

يا امرأة أسقطت لديها نعمة الشعور والحس، كيف لكِ أن تتظاهري بأنك مُرهفة الحس وتحملين عواطف جياشة وحبًّا عميقًا وباطنك يحمل تلالًا من الغدر والخداع؟! كيف صدقتُ مشاعرك وأحاديثك لي وأنتِ بارعة في الغزل؟! لم أكن أتصور أنكِ تبيعين عواطفكِ لكل البشر وترددين نفس الكلمات والمفردات لكل شخص يعبر حياتك، حقًّا فأنتِ امرأة رخيصة المشاعر، لم تعتد بمشاعر الآخرين، تجرين خلف رغباتكِ، تحملين أنانية لم أرها بإنسانة!

أتذكر سذاجتي عندما تفوهتِ بكلمة "أحبك جدًّا" كيف أثرت هذه الكلمة على قلبي، وكيف غيرت حياتي، كيف كنت إنسانًا يعتزل الدنيا والحياة! أمكُث في غرفتي أقرأ وأدوِّن أشعاري وخواطري، أبتعد عن كل ما يثير المشاكل، مثل السياسة والفن والمناقشات الحادة، أكتفي بمشاهدة الأفلام الرومانسية والاجتماعية وأبتعد عن مشاهدة أفلام الأكشن وما تحمله من

عنف ودموية، والأفلام التي تندرج تحت مسمى الرعب، كنت شخصًا مُسالمًا، أحب كل الناس، وأفعل لهم الخير وأقدم لهم المساعدة كلما احتاجوني، أتقابل مع أصدقائي كل حين نلهو ونضحك ونتجاذب الأحاديث، ثم أعود مرة أخرى إلى صومعتي وقراءتي وأفلامي، أذهب إلى عملي حاملًا كتبي وخواطري في كل مكان أخطو إليه.

كنت عندما أشعر بسأم أسافر لأكتشف أشياء جديدة، وأقوم بمغامرات جديدة، وأغير جوًّا حتى أجدد نشاطي ثم أعود إلى شرنقتي ونظام حياتي وقوانيني التي فرضتها عليَّ ذاتي، فكنت أرى أن لا أحد يستحق الحب الجم، فابتعدت عن العلاقات التي تستهلك من أرواحنا، كنت أرى نفسي قويًّا دون حب، فكنت أرى الحب ضعفًا يضعفني ويهد قواي ويسيطر على حواسي؛ لذا تمسكت بمبدئي وأغلقت على قلبي وتمردت على العشق والهوى، واستنكرت على قلبي أن يقع في هذه الهرطقات.

حتى جئتني بشمس كلماتكِ وبستان أزهاركِ، وسورتِ قلبي برنين صوتكِ العذب، فكان رنين كلماتك يسقط عليَّ كخرير الماء الذي يروي الأزهار، يتفتح قلبي بأنشودة خطبك الرنانة عن المبادئ، وعن سحر ورونق كلمات العشق.

كيف كنتِ تجيدين كلمات الحب والهُيام فسلبتِ قلبي دون أن يقاوم، برغم صمود عقلي في عدم الانسياق لمشاعر الحب؟! ولكني سقطت في بحر العسل

وشهدك المُر؛ فانسجمت بألحانك واستعرت من حروفكِ مفرداتٍ، فأخذت أشدو في دفاتري وكتبت عنكِ:

"ما كُتِب لكِ وحدَكِ سيَظَل لكِ وحدكِ، فامرأة مثلك تمتاز بالعِناد والكِبرياء والغَيرة لا تَقبل أن تتناثر كلمات كُتبت فِيها ولها وتُبعثرها أعيُن النَّاس ويقتطفُون منها ما يحلو لهم، فكأنكِ تَشْعرِين أنهم يلتهمُون أفكاري أو يسرقون حُبي لكِ، فثقِي يا امرأتي الجميلة أن حُبي لكِ يفُوق تَفْكيرَكِ، ويسْبق دقات قلبِك ولا يصل إلى قُواكِ العقلية، حُبي لكِ مثل النَّجم، عالٍ في رُقيه، حُبي لكِ مثل القمر في سُطُوعه، حب لا يُقلد ولا يستنسخ منه، حب فريد من نوعه، فيا حبيبتي عندما أُغازلكِ فلا أُغازل فيك أُنوثتَك الطّاغية عليكِ، ولكن أُداعب عَقْلَك أولًا، فأنتِ امرأة استثنائية، جمال عَقلِها يطفُو ويزداد أُنوثة بنظري، عقلكِ يحلُو لي وأَمْلأ بدفاتري أشعارًا لا أستطِيع أن أُترجم شفراتها أحيانًا، فأسمح لإشارات قلبي أن تعمل فألتقط ما تَعْنِيه، فامرأة مثلُكِ تجمع بين العقل والقلب معًا يُكتَب لها كلِمَات تَعْنِيها هي فقط ولا تستطيع وصفها، فالاستثناء ذُكر في لغة من أجلك أنتِ، فأنتِ امرأة فريدة تَحملُ أفكارًا وطموحًا وجمالًا يسْلِب أفئدة الرِّجَال إذا نَطْقتِ، فماذا تُرِيدِين من رَجُل مِثْلي تَعْلَّم كُل فُنُون وصُنُوف الأدب وانتقاء حُرُوفِه وكَلماته لكي يَصِفَك؟ اكتَسب كل المهارات العقلية حتى يَصل إلى عَقْلِك، فأمام ثَقَافتِك أَشْعُر بجهلي وتأخري بمفاهيم الحياة، ينتابني شُعور كأني عابر سبيل في مدينة عَقلِك، ألتقط مِنكِ أفكارًا، فأتعلم كيف تكون ثقافة النِّساء

مُنْتَقاةً وراقيةً وعاليةً، فأعود للدراسة والتَّأمُّل فأصِل إلى مرحلة هُدنة معكِ، عندما تُخاطِبِيني بِقلبِك ومَشَاعِرك وبحنان امرأة فأتخلى عن الكتابة وأترك لعيوني العنان، فأتأمل صُورتك، فأجد تفاصيل قد وارى عليها زينة عَقلِك الذي قد سَلَب مِني النّظرَ إلى جَسْدِك الرَّشِيق ونَهْدَيكِ اللذين يُضِيئان جِسْمَكِ ويُشْعِل النار في رُجُولتِي، وخَصْرك الذي تخلى عن الثنايات وتمسك بمنحنى نَحته الخالق وأحسن تصوِيره، ولم أستطع أن أُطيل النظر في وجهِك الجميل وما تَحمله عُيونُكِ من سِيُوف وأسهُم، ترسل لي أفكارًا أملأ بها دواوين ودواوين العِشقِ والهُيَام، أما عن شَفتَيكِ، فيتوقف صانعو الخمر عن التصنيع ويتوقفون عن جنْيِ عناقيدِ العنب وتَخْمِيرها فلا تُعد الخمر مُنافسًا أمام تلك الشفاه، فهي تُسكر لمن يُطالعها، فعندما أُطيل النظر بها يتملكني شعور أن أتذوقها وأستمتع بنكهة الكريز وأذوب سُكرًا، فيا لكِ امرأة تجمع سحرين، زينة العقل، وروعة الجسد! فلا تخشي أن أكسو أوراقي بكلمات لم تكن إلا لكِ وحدك، فأنت امرأة يتمناها أي رجل ويخشاها أيضًا، نعم يخشى العذاب على يديك، يخشى السهر ليلًا في التفكير بكِ، أن يلهو في ممارسة عشقك؛ فتسلبِ منه عقله وأفكاره، أن يقع في شباك الغيرة فتملكه فتختفي ملامح عقله فيسير كالمجنون، فأنت امرأة تمتلك مفاتيح رجولتي، نعم أنتِ تمتلكين تلك الملَكة، أنتِ تذيبين أفكاري فلا أكتب إلا لكِ أو عليكِ، فليس لي عنوان غيرك، أنتِ مأواي وأنت سكني، فهل تقبلين أن تكوني امرأتي وأكون أنا رجلك؟".

- وكلما تغزلت بعيونك التي عشقتها من نظراتها وتعبيرها التي كانت أقوى من الكلمات فعشقت سحرها فنشدت بها وقلت:

" كلما أنظر إلى عينيكِ أشعر بقوة تجتاح كياني وتزلزل مشاعري؛ فأنطق بكلمات لا تدركينها لأني أغيب وأذوب من فرط إحساسي بتلك العيون، عيونك يا جميلتي نبع من الحنان، عيونك بر من الأمان، فكلماتها تضفي على الجو مشاعر راقية عالية، كلما نظرت إليها تعودت الصدق، فلا أستطيع إنكار ما بمشاعري، أستطيع أن أنكر السمع حين أراهم، أستطيع أن أسقط عني التفكير حين ترسلين نظراتك الصائبة التي تخترق قلبي دون استئذان، فلا أجد من يدافع عني سوى ضوء ولمعان عيني، أحب عينيكِ لأنهما سلاحي ضد غدر الأيام، أحب نظراتهما لأنهما عوض عن أيام الحرمان، أحب تلك النظرة الحانية في أوقات الشدائد، أحترم خجلها في وقت الشبق والوصول لقمة الاندماج، فبيننا يا حبيبتي توجد لغة لا يقرأها إلا من شعر بتراتيل قلوبنا، لا يعلم تلك اللغة إلا من تعلم فنون قتال النظرة، فنظرتك يا حبيبتي تعني إعلان الحرب على قلبي، الذي لا يجد مدافعًا عنه سوى رقة مشاعرك، وبرغم ما تملكين من قوة سهام النظرات والتعبيرات، فأنتِ تحافظين على مواثيقك التي عقدناها سويًّا في مغامرة حبنا الطائش الذي لم يُبنَ على رسائل ومكاتيب تلك الأيام، أو كما يفعل المراهقون من إرسال رسائل العشق والهُيام سهرًا في ليالي حنان، فالورقة المكتوبة قد تبقى سجينة أو دفينة الدفاتر الورقية، أو قد تُفقد وتبتاعها محال الأطعمة يومًا

ما، ولكن ما بيننا مواثيق أقوى وأمتن، فهي "النظرة" وما أدراك ما تلك اللغة التي تعتنقها العيون ذاتها عندما تريد الحديث معي! فهي لا تخشى انتقاء الكلمات أو تخونها الحروف في التعبير، فهي تسرد حروفها في إرسال النظرات والتعبيرات، وعليك أيها العاشق تفسير تلك الشفرات، فكلما أجدت فك شفراتها كلما وصلت لأبعد سماءٍ، وربما تصل إلى سدرة المنتهى عندما تجيد احتواء تلك السهام الصائبة من تلك العيون وما تحملها من نداءات وتوسلات ومحبة وحنين وشجن وبوح وكتمان واحتواء وضجر وحزن وفرح، عليك احتواء تلك الإشعاعات وليس ترجمتها فقط، عليك إدماجها لروحك وحفظها بقلبك وتناشد بها عقلك، فإذا امتلكت مفاتيح سياق تلك اللغة التي لا يملكها غيرك امتلكت حبيبتك للأبد، فيا جمال تلك اللغة التي تذهبنا لعالم آخر لا يعرف الماديات! عالم يحكمه النظرة، فكلما أحببت تلك العيون المعبرة بكل ما تحمل من مشاعر، كلما طال بينكما اللقاء، فتلاقي النظرات يعني تلاقي القلوب، وتواصل سهامها مع ضيِّك، يعني تواصل الأشواق. فيا لها من لغة! فيا أيها المحبون، أدعوكم باعتناق تلك اللغة ومعرفة قواعدها كي تنالوا قدرًا من السحر، فسحر العيون أبقى وأبقى".

- وكلما تماديتِ بالغياب كنت أذهب إلى دفتري وأكتب وأشجب مع أوراقي، على أمل أن يحن قلبك وتعلمي ماذا يفعل غيابك بي، فدونت مشاعري عن الغياب وقلت:

"متى سينسانا الحزن والألم؟ كيف نعرف طريق الأمل ونحن محكوم علينا بالفراق لمن نحب، لمن نعشق؟ نهوى التعلّق والتّشبث باللا شيء ونتعلق بلا وعي للمجهول، فنندفع ونندفع ثم نسقط في هُوَّة القدر، يُحكم علينا بالموت عشقًا، إما الرَّحيل أو الغياب، لماذا نسكن قلوبًا لم تكن لنا يومًا؟ لماذا لم نتعلَّم من الماضي؟ أنهوى جرح قلوبنا، أم نستمتع بتهتُّك مشاعرنا، أم نستحلي الألم؟ لماذا يرتبط الحبُّ بالعذاب؟ وما العلاقة ما بين التَّعوُّد والغياب؟ لماذا نغيب عمن عشقُونا وأحبُّوا همس حديثنا واسترقُوا النَّظر لِظلنا؟ دمجوا أفكارنا لأفكارهم، استعبدوا ضحكتنا في صورهم، صبغُوا حزننا في ملامحهم، نسوا أوطانهم وسكنُوا فينا، أحبُّوا أعداءنا لبُعده عنا وغاروا من أصدقائنا لقُربهم منَّا، لماذا نغيب ونحن نعلم أنَّ الغياب ذنب لمن أحب حد العشق؟

لماذا نرتكب تلك الذُّنوب لمن جعلوا أفكارنا زينة لهم، لمن جعلوا أفراحنا موسيقاهُم، لمن جعلوا أحزاننا أكبر مآسيهم، لماذا نُكافئهُم على صنيعهم بالغياب؟ ألا نعلم أنَّ الغياب يجعلهم يضلُّون الطَّريق الذي رسمناه لهم وأحسنا التَّقدير في زواياهُ، فكلما استقامُوا نجحنا في جرحهم ولم نترك لهم مصابيح الطّلة لكي يستضيئوا برؤْيتنا، لم نترك لهم غير فكرة وصوت مشوَّش يأتي ويغيب، يصل وينقطع، حتى أدمنوا الصور وألصقوها بالصوت المشوش ودمجوه بالفكرة، فاختلقونا في أذهانهم، وأشبعوا رغباتهم في أحلامهم، واستمعوا لنا كما أحبوا أن يسمعوا، فرأُوا ما طاب لهم وتذوَّقوا

حلو أفكارنا، واكتسبوا شعورنا وملمسنا للأشياء، وكلَّما أغرقوا في الاندماج نسوا بصمتهم وتطابقوا ببصمتنا، لماذا نأتي بما لا تشتهي السُّفن ونحكم عليهم بالرَّحيل؟ لماذا نُشعرهم بالخطر والخوف بعدما أذقناهم حلاوة القرب وأشعرناهم بكيانهم وطموحهم المنبثقة من أروَاحنا؟ فكلما تشابهنا في الفكرة التصقنا بالرُّوح، فلماذا نسلب منهم أرواحهم بالغياب؟ لما نتركهم لفكرهم وخيَالاتهم وشكوكهم وغيرتهم؟ لماذا نسحب منهم أيادي العون التي مددناها بعد كل هذه المشاعر بكلِّ ما أوتينا من قوةٍ، بل من قسوةٍ، وبدون أسباب أعلنا عليهم الغياب وتركناهم يخوضون تجربة الذي سلاحه العذاب ودفاعه العشق، لماذا نريدهم تطبيق مبدئهم من تغيب عمدًا؟".

- كيف لكِ أن تغيبي عني وتتركي قلبي نابضًا بحروف اسمك، فأصبحت أعشق كل كلمة تحتوي على حرف الراء؟ فأطلقت شعري في دفاتري، وتحديت نفسي على احتفاظي بالسجع والقافية أن تكون بحرف الراء، وعلى أن أصف شخصيتك وما مررنا به، فكتبت لكِ:

أخبروها أن اشتاقت الروح لروح
فقلبي في العشق ذاب وانصهر...
وهي لا تدري بما أصاب عاشق
اشتاق والعشق قوى عليه واقتدَر...
حرمه القدر منها فدعا وصبر...

وانتظر من الحظ أن يهدي صمتُها

موجًا أو عاصفة من العزيز المقتدر....

تشعر بقلب عاشق من البكاء قلبه انفطر....

هوًى وحبًّا فسقط في فراق منتظر...

لم يعلِ شأن الغيرة والاختلافات والشَّجر...

ترك نفسه للهوى ولم يؤمن بالقدر...

أراد استرجاع المحبوبة فسقط بالخطر..

أهملها وتركها تنتظر....

ولم يعلم أنها بانتظاره تنصهر

سهرت وبكت فكتمت مشاعر

حرقت قلبها وطالت في السهر

فعلمها سهدها كيف تقسو وتقتدر

على حبها وكبريائها وشوقها المنفطر

- أصبحت أداوم على سرد مشاعري، فكنت أشكو منكِ إليكِ في دفاتري، لا أحد كان يشعر بي، ولم أجدك بجانبي، ولا أعلم أنكِ سوف تتركيني وتذهبين برياح النسيان، فشكوت ربي والتزمت الصمت لأنني أؤمن أن الشكوى لغير الله مذلة، فكتبت أشجع ذاتي على الصمت:

"عندما تؤلمنا الكلمات فيجب الصمت، عندما يطعننا الشعور فيجب الصمت، عندما تخوننا الأحاديث والتعبير عما في صدورنا فيجب الصمت، لماذا تقتُلنا الكلمات حينما ننطقها لمن يهوى سماعها؟ لماذا اعتنقنا مذهب الصمت وأتقنا فروضه؟ يخوننا التعبير عما بأنفسنا وما نحمله من جراحٍ فلا نجد ملاذًا من صراعاتنا الداخلية غير سلاحنا الوحيد، ألا وهو الصمت، نعيش بصمتنا حياة داخلية نسمع بها تراتيل الآهات وخناجر الذكريات، ونتحمل ألمها دون شعور بأي حِمل، أو الإنصات لشيطاننا بإخراج ما نحمله، أونستخدم علاجًا لما نشعر به ونتحدث، لماذا رضينا بحمل عذاب جراحنا دون شريك يحمل ما تطيق أنفسنا حمله بمفردنا؟ فكلما شعرنا بثقل همومنا تمسكنا بصمتنا أكثر وأكثر، كلما ضاق الخناق وأردنا التنفيس دعونا رب العباد حافظ الأسرار ومُطمِئن القلوب فيطيِّب خواطرنا ويؤمِّن روعنا، وينظرنا حقيقة صِغر الأشياء، فأعطانا المولى قدرة تحمل الألم فجملناه "بالصمت". كم بنينا أسوارًا على مدينتنا كي لا تُخترق! كم هربنا من همومنا بأشياء قربتنا لآلمنا! لماذا نعتقد أن في الصمت علاجًا، لمَ لا نبوح بأثقال همومنا كي يشعر الجميع ما بنا؟! لماذا نريد بطولة زائفة لنا ألا وهي "التقدير" ونسينا أن الناس لا يجيدون التذكر وينسون؟! نشعر بالتردد عند البوح والتحدث، واعتنقنا حمل الجراح والتحمل، وأيضًا اعتنقنا التظاهر بالقوة بما ليس فينا، نعم..

أصبحنا ورقًا مقوى يتحمل ظاهريًّا ولكن عندما نتكئ عليه ينثني ويضعف. الصمت أصبح حياتنا، فأصبحنا نحدث أنفسنا ونسألها دومًا: لماذا نحمل كل هذا الكم من الجراح والأسرار؟ فلا نجد إجابة تعطينا علاجًا للنسيان، فالنسيان كباقي الأشياء، أناني يختار وينتقي ما يُنسي ويبقي لنا صدمات لا تنسى، كلما استعنا بالصبر أضعفنا تجديد الجراح، فبكينا فغسلت الدموع أرواحنا وطهرنا دعاؤنا لربنا، فكلما طلبنا منه العون فيعيننا بما لا نطيقه، ننتظر فنجد ما في خير الأمور، فالصمت يستر ما أراد الله ستره، فقد تزيد آمال وتخيب آمال، ويتجدد شعور ولا يتجدد، فربنا اسمه الستير، ستار، لأنه يعلم ما يحمله البشر يعطيه صبر ومقدرة على الصمت".

- كلما دونت لكِ رسائلي ومشاعري وجدتني لم أعد أتحمل كبت مشاعري التي تهد كياني وحبي المخلص لكِ، ورغم كل ما فعلتِه وجدتني أغفر لكِ كل مساوئك وألتمس لكِ الأعذار، ولكن سرعان ما أحكم عقلي بأنك بعتني بإرادتك ولم تحملي لي حبًّا صادقًا، فلا أستطيع أن أقاوم نيران هذه المشاعر، فتركت الحرية لمقلتي للبكاء، ووجدتني أكتب لكِ عن البكاء كي أقنع نفسي أني لم أُقلل من ذاتي وأن البكاء مفيد، فكتبت:

"كم نحمل من جمرات النار التي تأكلنا ليلًا وتذيب أجسادنا نهارًا، كم نحمل بداخلنا ينابيع من أنهار البكاء لا نستطيع الإفراج عنها ونقوم بسلسلتها وسجنها في معتقلات الكبرياء! نضعف وتجتاحنا مشاعرنا فنلجأ للإفراج عن

أنهار البكاء التي حبسناها في سدود الكبرياء، فتمطر بغزارة ولا نستطيع كبح جماح سيولها من كثرة ما قاسيناه وشعرنا به، ودائمًا يقال: الغيث خير وفرج، ولكن هناك بُكاء محبوس بداخلنا يمنعنا متع الحياة، يؤلمنا داخليًّا ويصيبنا بعجز وتبلد لا تستطيع العين التعبير عنه بشكل قطرات، ولكن "القلب" ينزف أمطارًا من الدموع، فعندما يقسو عليك أنين الحنين فالقلب يبكي، عندما يجرحك حبك فالقلب يبكي، عندما يخونك من كان ملازمًا للروح يبكي، عند هجران من كان بالقلب ساكنًا يبكي، عند فقدان عزيز غالٍ ورحيله يبكي، وأشد بكاءٍ هو بكاؤنا على أنفسنا، على أرواحنا التي استهلكت، من غدر وخيانة وانسحاب ورحيل وفراق وموت، كم نبكي من ضعف قوانا على من ظلمنا، من اشتياقنا وحنيننا للغائب! لماذا البكاء يحالفه الندم عندما نكون جرحه، ويحالفه انفراج وطمأنينة بالفرحة؟ لماذا نسقط بأعين أنفسنا عندما نبكي على الراحلين؟ أليس البكاء طُهر يغسل ذنوبنا من ألم الاشتياق ووجع الحنين؟ لماذا تأبى العين البكاء أحيانًا وتكتفي بنزيف قلوبنا داخليًّا؟ كم غسل البكاء أوجاعًا وخفف من خفقات قلوبنا! لماذا تعصين يا عين الدمع ولا تستجيبين؟

ألسنا بشرًا نشعر ونحس ونحمل خطايا وذنوبًا؟!

لماذا عندما ندعو الله ونكون في حضرته تبكي العين بدون رادع؟! كلنا ضعفاء أمام بكاء من أحببناه، ولكن الدموع فرج، لم ندرك أهمية بكائنا إلا عندما

أحببنا حد العشق، عندما رحلت أرواحنا وغابت في سماء الترحال، فالبكاء على من رحل القلب واجب، البكاء وقت الوداع فريضة لشفاء ما تملؤه النفس من ذكريات وللقلب من طاقات والعقل من صور، تتوب العين أحيانًا عن خطاياها، فيصرخ القلب داخليًّا من كثرة البكاء، لا يستطيع القلب تحمل عناد العين وتبلد الأنفس وبرودة الروح، القلب دائمًا حي عند الفرح والحزن، يعبر بدقاته عن زلازل وبراكين المشاعر، فالعين تقسو وترفض الاستجابة لرعد وغزارة الدموع، فيلبي القلب النداء فنُحطم داخليًّا وتشيخ قلوبنا؛ فيظهر علينا بؤس تعبر عنه العين، ولكن لا تدمع، فأصبحت بورًا لا تستجيب، فمن أراد الحياة يبكي كلما أصابه إحساس، فالطفل يبكي، والمرأة تبكي، والرجل يبكي، الطفل يبكي من أبسط الأشياء، فإذا جاع يبكي، وإذا ظمِئ يبكي، وإذا فقد لعبته يبكي.. إلخ فالتعبير عنده بالبكاء.

المرأة تبكي في الفقد والألم وكثرة الحب، البكاء يلازم المرأة في كل حالاتها، فهي تحمل مشاعر ورِقةً تجعلها تبكي باستمرار بسبب حساسيتها، الرجُل يبكي عند جرح رجولته أو الانتقاص من شأنه، بمختلف أشكاله عند الحب حد العشق، عندما يعشق من طرف واحد يبكي، عندما يخون نفسه وكرامته يبكي على ذاته وليس على من خانهم، الرجُل قليل البكاء ولكنه يبكي.

يا معشر بني آدم:

ابكوا، فالدموع تغسل القلب وتجعله نقيًّا، وتغسل النفس فتجعلها طاهرة،

وتغسل الروح فتجعلها تحلق في أعالي الجنان لجسد ما زال في الدنيا، في داخل كل منا دمعة حائرة تبحث عمن يخرجها".

- كيف لا تشعرين بما أصابني وبتلك الذكريات التي جمعتنا سويًّا ودفء مشاعري، كيف كنت واضحًا معكِ بكل صغيرة وكبيرة؟ تذكرت كم من المرات طلبت منكِ أن تبيحي لي بكل ما تشعرين به، فبين المحبين لا يوجد خجل ولا كتمان، وتذكرت ما أرسلت لك عن البوح..

" يحدث أن تخنقنا الكلمات في صدورنا فنبوح بها للشجر، للورود، للقمر، نحدث النجوم والبحر، ونشجي ليلًا عن مآسينا، نريد أن نخرج كتلة أحزاننا وأن يسمع شكوانا من يحمل لنا دفء مشاعرنا، قد تتعثر المشاعر داخلنا وتؤجج داخلنا حرارة الأسرار، ولكن يأتي علينا وقت لا نستطيع تحمل مشاعرنا، لا نستطيع تحمل نبض قلوبنا وما يحمله من دقات حائرة سجينة تريد الانطلاق، نشعر بضيق عندما نسجن الشعور ونكبت الإحساس، فأصابنا تبلد بكل الأشياء لأننا نكتم مشاعرنا ونتظاهر بالبرود،

كيف لإنسان حر أن يُقيد أنفاسه ويريد لذاته الظمأ من متع الدنيا والشعور والإحساس والحب؟ فالإحساس نعمة، لماذا نكبت إحساسنا بالأشياء؟ لماذا نرفض البوح بما تضِج به قلوبنا؟ لماذا يتملكنا الخوف ممن لا يفهم ما نحبسه في صدورنا؟ ألسنا بشرًا نشعر ونفرح ونتألم ونكتم ونبوح؟ لماذا اخترنا الصمت سبيلًا؟ أليس البوح رواء لظمأ أرواح عاشت لنا ظلًّا؟

لماذا ارتضينا السجن في بحار مآسينا وآلامنا وحدنا دون رفيق؟ فالكلمة تخرج محملة بألم ومغلفة بمأساة فينتشلها منا من هو ألصق بروحنا، فينقسم الجرح نصفين، فيبقى بالقلب باقية لدخول هواء الروح، وينتشر هواء المحبة حتى يُقضى على ما التصق بالقلب من هموم وغشاوة أفقدتنا النبض بما هو أقرب لنا، فالبوح راحة مما ارتكبنا من أخطاء وما حملنا من ذنوب، فنسمع أصواتنا فنتعلم مما سبق.

بالبوح نشعر بهدم جبال قد حملناها وحدنا وأعنا على حملها ربنا، خطفت من أعمارنا سنين وأيامًا، وعندما نصرح بما داخلنا فقد نشعر بأشخاص غيرنا يتحدثون ويشجون وينتصرون على تحطيم تلال الصمت، فالبوح قوة وثقة بالاعتراف على ما خضناه من تجارب، بحلوها ومُرها، فندرك بالتحدث أننا ما زلنا أحياء ولسنا موتى لأسرار تتحكم بنا، عندما نتحدث تتنفس قلوبنا محبة جديدة بعدما أذلتها وأربكتها تلال الصمت، نريد إخراج طاقات مدفونة ومشاعر سجناها، فيأخذنا الصمت والتردد لشعورنا بأننا لن نجد من يشعر بنا ويتفهم ما نحمله ويحفظ ما نعانيه، يأخذنا التردد لما خضنا من تجارب سيئة ألزمتنا الصمت؛ فتخبطنا وعشنا صراعًا مع أسرارنا، أخذنا نحدث أنفسنا وننظر لأسقف وجدران حجراتنا على أمل أن تحنو علينا وتتفهم وضعنا..

لكننا كنا نسمع أصواتنا فقط فلا يتجدد أي جديد، نعيش محملين بتلك التجارب والجراح وحدنا، نسأل نفس السؤال يوميًّا: لماذا نحن من نعاني، ولِمَ نحمل تلك الآهات التي تكسر قلوبنا وتمنعنا أن نستمتع بالحياة؟ وما فعلنا من ذنوب لكي نكافأ بتلك الأسرار التي نخفيها عن أنفسنا ولا نريد التحدث بها حتى مع ذاتنا؟

لماذا لا يشعر بنا الآخرون ولا يتفهمون ما تحمل أعيننا ولا تطيق ذاتنا تحمله؟ هل يعاني الآخرون مثلنا، أم نحن من نعاني؟! أثق أن كل فرد منا يعاني مآسي، فمنا من يختار الكبت والصمت ويتظاهر بالقوة، ومنا من يبيح ما بداخله كي ينفض عن ذاته حملًا لا يستطيع وحده حمله.

منا من أراد الحياة بمفرده داخل قوقعة صنعها لحاله منعزلًا عن متع الدنيا واقفًا بمكانه، ومنا من أراد الحياة في هموم الآخرين، يلتقط الفرحة من حكاويهم فاختار الانخراط في مشاكل غيره حتى تصغر مشاكلهم وتصبح لا شيء، لأنه أيقن أن العيش بمفرده يجعله يموت موتًا بطيئًا، فمن أراد الحياة عليه خوض التجارب بمآسيها وتحدي الحياة بالثبات، فلا يتوقف على ماضٍ قد يكون أرهق أنفاسه وأخذ من دقائق عمره وثوانيه ولا يتركه يتحكم بمستقبله، علينا بإخراج الشحنات السلبية لمن نحمل لهم ودًّا وثقة ومحبة لكي يساندونا ويلتصقوا بأرواحنا ونتحد سويًّا على ما تغرنا به دنيانا".

- يا سيدة الراء العظيمة، كلما حدثت ذاتي ألومها وأؤنبها، وجدت أن لا ذنب لكِ، بل كل الذنب لي وحدي، أنا من خلفت عهودي التي قطعتها على ذاتي بكل ما مررت به من تجارب سابقة، ولكن سمحت لكِ أن تلعبي بمشاعري وتعبثي بكرامتي، فصدقًا، أنا أصف ذاتي بالغباء ونشدت لكِ في آخر رسائلي وصفًا لحالي:

"أليس من الغباء أن ترضى لذاتك خوض التجربة مرتين، أليس من الغباء أن تعيش مرارة العذاب مرتين، تحب وتعشق وتدمن ثم تَفِي وتخلص فيغدر بك فتتألم وتذوق مرارة أيام لا يخلصك منها شيء غير إرادة ربنا الذي منحك الحياة لتسيء لذاتك مرات ومرات؟!

لماذا تختار تكرار تجارب كُتب عليها الفشل منذ بدايتها، لماذا لا نتعلم من الجرح، لماذا يحلو لنا العذاب، لماذا يشكلنا الألم ويرسم تفاصيل حياتنا، لماذا نحتفظ بتلك الدفاتر السوداء، ذكريات الماضي وأنين الوجع؟ أليس بتذكرنا الألم نعيد التجارب السلبية؟ أهذا عدل أن نسير على خطوط غادرة وضعها لنا غيرنا وأوقعونا بفخها، رسموها مزخرفة كي تغرينا وندخل شباكهم ثم نتوغل ونتوغل حتى نصل إلى قاع مليء بالمغريات؟!

نلتصق بالقاع، فنكره الخروج، ونَهيم شوقًا إذا تغيب النور، تلتهب مشاعرنا إذا غابت كلمة العشق، لا ندرك مشاعر أخرى دون أن نشرك معنا من

التصقنا بقاعه ووقعنا بشباكه، فنلغي دائرتنا وننتمي إلى دائرتهم كل الانتماء، نعشق استدارتها ودورانها وتحلقنا حولها وانجذابنا والتصاقنا بها، ونتناسى دائرتنا ولا نستطيع حتى شبك دائرتنا بهم، فدائرتهم الأقوى، نذوب من أنين شوقهم وحلاوة شكواهم، ونستمتع بآلامنا معهم، ننسى مشاكلنا لتبقى مشاكلهم أهم من تلك الهرطقات التي ندَّعي أنها مشكلة، فمشاكلهم محور اهتمام، نعطيهم هالة لم نرَ غيرهم بها، ننسحب من أنفسنا لنلتصق بهم روحيًّا وماديًّا، وعندما نريد أن نخرج من فرط ألمنا منهم لا نستطيع، ليس لأنهم متمسكون بنا أو لصونهم عشقنا، بل لأنهم قد أحكموا تربيتنا على عشقهم وعدم مخالفة أوامر حبهم.

انتهت

* * *

شكر خاص

أ. محمد الجمل.... الجنتل مان

شكر بحجم الكون للصديقة والكاتبة / إنجي مطاوع .

صديقة العمر المحامية / نرمين عبد الله .

الشاعرة العبقرية / شيماء أحمد ..(امرأة الياسمين).

المدقق اللغوي / محمد فهمي .

الرسام والنحات الصديق / رامي عاطف.. (روميو دافنشي) .

أمي...

السيدة وداد عفيفي عبد السلام..

الكلام ما يوصفش مكانتك بقلبي

محمود....أخي وسندي وصديقي

أخواتي...سوسن وعفاف ورشا.. شركائي في الجوزائية

اولاد أخواتي...حته من قلبي

كل الشكر لأهلي ، ولأصدقائي ،

وأصحاب الطفولة والجامعة والعمل

وكل من عاونني وشجعني بكلمة طيبة؛

شكر خاص

لتك الروح التي سكنت داخلي

واسميتها " توأم روحي"

وشجعتني للعودة للكتابة

وكانت سبب رئيسي لإخراج هذا العمل

وإن لم تكن بجانبي الأن

ولكن كما كانت تحدثنى الأرواح تتقابل .

شكرًا

لسيموفونية40 لموزارت...

لصوت أنغام وإحساسها...لمحمد فوزي..ألخ

الفهرس

كبرياء رَجُل 7

أحلام هاوية.. 40

جلسة اعتراف 106

حكاية رُوح.. 131

حلوى الصبار 224

خلف الستائر 250

رسائل إلى السيدة راء 293

للتواصل مع الكاتبة

https://www.facebook.com/monsh.em

/https://www.instagram.com/monsh666666

https://twitter.com/monsh6

https://www.youtube.com/channel/UCVOjhuiF--k63cGZc9tgE7A